



اللسانيات والصوتيات
جهود في اللغة والتحقيق
(لرمضان عبد التّواب)



رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2013/7/2601)

الدليمي، رياض عبود

السائيات والصوتيات جيود في اللغة والتعقيق (لرمضان عبد التواب) رياض عبود الدليمي

عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013

() ص

رقم (2013/7/2601) .

الواصفات: / السائيات / فقه اللغة / اللغة العربية /

تم إعداد بيانات الضهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

Copyright ©
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-572-37-2

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو بأي طريقة إلكترونية سكانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل و خلاف ذلك إلا بموافقة على هذا كتابه مقدماً.



دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاخ العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس : +962 6 5353402
مرب : 520946 عمان 11152 الأردن
جميع الصاف التجاري - المطابق الأول
خلسوي : +962 7 95667143
E-mail: darghidaa@gmail.com

اللسانيات والصوتيات

جهود في اللغة والتحقيق

(الرمض ان عبد برالت بواب)

الدكتور

رياض عبود غوار الدليمي

الطبعة الأولى

٢٠١٤ م - ١٤٣٥ هـ

الإهداء

إلى:

من بذر نبيّ بزرّة طلب علم العربية وحبّها، نسقاها من علمه وكرمه وحلمه، إليك سينزل ملك، ومزيّج - أرحم، أستقوي
الشيخ السّير مصطفى جميل الشّاذلي، أمدّه الله بطول العمر وحسن العمل...

إلى:

روح والدي، رحمك الله، وغفر لك، وأوكلك نسيج الجنان، أروتني أن أقرأ كتاب الله تعالى، وأن أفهم معاني آياته البينات،
لأنّه نفسي عن الدوّائل، وأظهرها من العيوب. فأتزج إليك عملي هذا، لترضى عني روحك الطاهرة...

إلى:

من منحني وعادها العون والرعاية، إليك والدي ووالدة وعرفانا...

إلى:

من عملت الكثير من أجل أن أتميز هذه الدراسة... أرحم أسامة، وإني أحسن في أعمالي أنك كنت مثالا تتأسى به بنات حواء،
من رافقت منهن أحدا من الباحثين...
أهدي هذا الكتاب...

رياض

الفهرس

المقدمة ١٥

الفصل الأول

حياته وأثاره العلمية

| | |
|----|--|
| ٢١ | المبحث الأول: (حيته)..... |
| ٢١ | اسمه ومولده ونشأته العلمية..... |
| ٢٣ | ثقافته..... |
| ٢٥ | مكانته العلمية..... |
| ٢٩ | أساتذته وتلاميذه..... |
| ٣٠ | أسلوبه..... |
| ٣١ | طريقته في التأليف..... |
| ٣٢ | المأخذ على طريقته في التأليف..... |
| ٣٣ | الاعتداد بالنفس..... |
| ٣٥ | الإسراف في النقل..... |
| ٣٦ | النقل من بعض كتبه إلى بعض كتبه الأخرى..... |
| ٣٧ | مأخذ منهجيه أخرى..... |
| ٣٨ | خلقه..... |
| ٣٩ | وفاته..... |
| ٤٠ | المبحث الثاني: (أثاره العلمية)..... |
| ٤١ | أولاً: التأليف..... |
| ٤١ | القسم الأول: الكتب..... |
| ٤٧ | القسم لثاني: البحوث والمقالات..... |
| ٦٤ | ثانياً: تحقيقاته اللغوية..... |
| ٧٠ | ثالثاً: الترجمة..... |

الفصل الثاني

(رمضان عبد التواب ومناهج اللسانيات الحديثة)

| | |
|----|--|
| ٧٥ | تمهيد: (المنهج المقارن بين مناهج اللسانيات الحديثة)..... |
| ٧٨ | المنهج المقارن..... |
| ٧٩ | مجالاته..... |

- ٨٠.....الصعوبات التي تقابل الباحث في ميدان الدراسات المقارنة
- ٨٢.....علاقة المنهج المقارن بالمنهج الوصفي والتأريخي
- ٨٣.....المبحث الأول: (تطبيقات المنهج المقارن عند رمضان عبد التواب)
- ٨٤.....أولاً: النون والميم في العربية
- ٨٥.....ثانياً: تعاقب الأصوات
- ٨٧.....ثالثاً: أولى وأولاء
- ٨٨.....رابعاً: همزة اطمأن
- ٨٨.....خامساً: ضياع صيغة المبني للمجهول في العامية العربية
- ٨٨.....سادساً: اشتقاق لفظة اسم
- ٨٩.....سابعاً: أصل (ليس)
- ٩٠.....ثامناً: أدوات التعريف والتنكير
- ٩٧.....تاسعاً: التذكير والتأنيث
- ١٠١.....المبحث الثاني: (علم اللسانيات الحديثة ومناهج العرب القدامى)
- ١٠٢.....أولاً: تفضيل لغة ما على غيرها
- ١٠٣.....ثانياً: السليقة اللغوية
- ١٠٣.....ثالثاً: العلاقة بين اللغات السامية
- ١٠٥.....رابعاً: الحركات الطويلة والقصيرة في اللغة
- ١٠٧.....خامساً: التنوين في العربية
- ١٠٨.....سادساً: الدراسة التركيبية ونظام الجملة

الفصل الثالث

(جهوده في دراسة اللهجات العربية)

- ١١٧ أولاً: نظرة تاريخية في دراسة اللهجات
- ١١٧ اللهجة لغة واصطلاحاً
- ١١٨ نشأة اللهجات
- ١١٩ أسباب نشأة اللهجات
- ١٢١ العلاقة بين اللهجة واللغة
- ١٢٢ مصادر دراسة اللهجات
- ١٢٣ صور رواية اللهجات
- ١٢٥ أهمية دراسة اللهجات وصعوبتها
- ١٢٨ اللهجات في الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام
- ١٢٩ ثانياً: موقفه من الفصحى ولهجاتها القديمة
- ١٣١ ثالثاً: لهجة طيى القديمة
- ١٣٢ نسب قبيلة طيى
- ١٣٢ منازل القبيلة
- ١٣٢ فصاحة القبيلة
- ١٣٣ خصائص لغوية من لهجة طيى
- ١٣٣ ١- ظاهرة الهمز
- ١٣٦ ٢- جهر السين والصاد
- ١٣٧ ٣- الطمطمائية
- ١٣٨ ٤- قلب الياء والواو ألفاً في المعتلات
- ١٣٩ ٥- كراهة توالي الأمثال
- ١٤٠ ٦- كسر حروف المضارعة
- ١٤٢ ٧- تسكين ضمير الغائبة المتصل وفتح ما قبله
- ١٤٣ ٨- المصدر الميمي واسما الزمن والمكان في المثال الواوي
- ١٤٤ ٩- قلب ألف المقصور ياءاً
- ١٤٦ ١٠- لغة (أكلوني البراغيث)
- ١٤٧ ١١- ذو الموصولة
- ١٤٩ ١٢- الوقوف على تاء التانيث
- ١٥٠ ١٣- القطعة
- ١٥١ رابعاً: امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة
- ١٥٢ ثلثة بهراء

- ١٥٣..... استعمال اسم المفعول من الفعل الأجوف اليائي على وزن مفعول
- ١٥٤..... سقوط الهمزة
- ١٥٥..... لغة (أكلوني البراغيث)
- ١٥٦..... إبدال الجيم ياءاً
- ١٥٦..... خامساً: تفسير ألقاب اللهجات العربية القديمة في ضوء علم اللغة الحديث
- ١٥٧..... الاستنطاء
- ١٥٩..... الطمطمانية
- ١٦٠..... العجعة
- ١٦١..... العنفة
- ١٦٢..... الفحفة
- ١٦٤..... الكسكة والكشكة والشنشنة
- ١٦٤..... اللخلخالية
- ١٦٥..... الوتم
- ١٦٦..... الوكم

الفصل الرابع

(رمضان عبد التواب ودراسة اللغة في ذاتها)

| | |
|-----|---|
| ١٦٩ | المبحث الأول (جهود الصوتية)..... |
| ١٦٩ | أولاً: التغيّر والثبات في أصوات العربية..... |
| ١٧٠ | ١- صوت الضاد..... |
| ١٧٣ | ٢- صوت الطاء..... |
| ١٧٣ | ٣- صوت القاف..... |
| ١٧٥ | ثانياً: المصوّتات عند علماء العربية..... |
| ١٧٦ | ثالثاً: الصلة بين صيغة (افعلّ) وصيغة (افعلّ)..... |
| ١٨٠ | المبحث الثاني: (جهود الصرفية)..... |
| ١٨٠ | أولاً: فكرة ثنائية الأصول..... |
| ١٨٢ | ثانياً: الاشتقاق الصرفي..... |
| ١٨٤ | ثالثاً: الإعلال في الأفعال المعتلة..... |
| ١٨٧ | رابعاً: صيغة (انفعل) المطلوع..... |
| ١٨٩ | خامساً: فَعَلَ وَأَفْعَلَ..... |
| ١٩٢ | المبحث الرابع: (جهود الدلالية)..... |
| ١٩٤ | أولاً: التطوّر اللغوي الدلالي..... |
| ١٩٦ | ثانياً: النحت والتركيب..... |
| ١٩٨ | ثالثاً: التعريب..... |
| ٢٠٣ | رابعاً: الترادف..... |
| ٢٠٧ | خامساً: المشترك اللفظي..... |
| ٢٠٩ | سادساً: التضاد..... |

الفصل الخامس

(جهوده في تحقيق التراث اللغوي)

- ٢١٧ المبحث الأول: (منهجه في التحقيق)
- ٢١٨ أسس التحقيق
- ٢١٨ أولاً: جمع النسخ المخطوطة للنص
- ٢٢١ ثانياً: توثيق عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه
- ٢٢١ ثالثاً: التمرس بالخطوط
- ٢٢٢ رابعاً: معرفة مصطلحات القدماء في الكتابة
- ٢٢٣ خامساً: المران على أسلوب المؤلف ومراجعة كتبه
- ٢٢٤ سادساً: الشك في النفس قبل النص
- ٢٢٥ سابعاً: مراجعة مصادر المؤلف
- ٢٢٥ ثامناً: مراجعة المؤلفات المماثلة
- ٢٢٥ تاسعاً: مراجعة النقول عن الحواشي والشروح
- ٢٢٦ عاشراً: تخريج النصوص
- ٢٢٨ حادي عشر: المقابلة بين النسخ
- ٢٢٨ ثاني عشر: إصلاح التصحيف والتحريف
- ٢٢٩ ثالث عشر: الزيادة والنقص
- ٢٢٩ رابع عشر: ضبط ما يشك من الكلمات
- ٢٣٠ خامس عشر: الإشارة إلى مصادر التخريج
- ٢٣٢ سادس عشر: المقدمة
- ٢٣٣ سابع عشر: الفهارس
- ٢٣٦ المبحث الثاني: (جهوده في إصلاح التحريف والتصحيف)
- ٢٣٧ أسباب الوقوع في التصحيف والتحريف
- ٢٣٩ مؤلفات العلماء في التصحيف والتحريف
- ٢٣٩ معالجة التصحيف والتحريف
- ٢٤٣ معالجة التصحيف والتحريف عند عبد التواب
- ٢٥١ المبحث الثالث: (جهوده في نقد تحقيق التراث)
- ٢٥١ أولاً: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي
- ٢٥٦ ثانياً: رسائل في النحو واللغة
- ٢٥٩ ثالثاً: رسائل في اللغة
- ٢٥٩ - خلق الإنسان، لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)
- ٢٦٦ - القول في ألفاظ العموم والشمول والفصل بينهما، للمرزوقي (ت ٤٣١هـ).....

- ٢٦٣..... - ما يذكر ويؤنث من الإنسان واللباس، لأبي موسى الحامض (ت ٣٠٥هـ).
- ٢٦٦..... - المسائل والأجوبة، لابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ).
- ٢٦٨..... رابعاً: العمدة في التصريف، لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ).
- ٢٧١..... الخاتمة.
- ٢٧٥..... ثبت المصادر والمراجع.

* * *

المقدمة

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانَ، بِمَا آتَاهُ مِنْ حَسَمَةِ الْعَقْلِ وَبَيَانِ اللِّسَانِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى حَبِيبِهِ (مُحَمَّدٍ) أَفْضَلُ الرُّسُلِ وَأَرْفَعُهُمْ مَقَامًا، وَأَفْصَحَ الْعَرَبِ وَأَحْلَاهُمْ كَلَامًا، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَفَاتِيحَ الْهُدَى، وَمَصَابِيحَ الدُّجَى وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ ﷺ لَمَّا شَرَّفَ الْعَرَبِيَّةَ وَعَظَّمَهَا، وَرَفَعَ ذِكْرَهَا وَكَرَّمَهَا، قَبِضَ لَهَا حَفْظَةً وَسَدَنَةً مِنْ خَوَاصِّ النَّاسِ، وَأَعْيَانَ الْفَضْلِ، وَأَنْجَمَ الْأَرْضِ، فَدَسُوا فِي خِدْمَتِهَا الشَّهَوَاتِ، وَأَسْهَرُوا فِي تَقْيِيدِ شَوَارِدِهَا أَجْفَانَهُمْ، وَأَنْفَقُوا عَلَى تَخْلِيدِ كِتَابِهَا أَعْمَارَهُمْ. وَبَعْدَ الصَّدْعِ الَّذِي أَصَابَهَا نَتِيجَةً تَرَدَّى أَحْوَالُ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، فِي أَثْنَاءِ النُّفُوزِ الْأَجْنَبِيِّ فِي عَصُورِ الْإِنْدِطَاطِ، وَمِنْذُ فَجَّرَ النَّهْضَةُ الْحَدِيثَةَ، رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى الْاِكْرَةَ، فَاهْبَبَ رِيحَهَا بِجَهُودِ رِجَالٍ مُخْلِصِينَ بِذُلُوقِ جَهُودًا مَحْمُودَةً فِي دِرَاسَةِ الْجَوَانِبِ اللُّغَوِيَّةِ، وَذَلِكَ بِاسْتِقْرَاءِ تَرَاثِ الْعَرَبِيَّةِ الزَّاهِرِ، وَكَشْفِ فَيْضِهَا الزَّاخِرِ مِنْ الْأَلْفَافِ وَالْأَسَالِيبِ، فَكَانُوا عَوْنًا عَلَى تَصْفِيَةِ الْأَغَةِ مِنَ الشَّوَابِ، وَإِقَالَتِهَا مِنَ الْعَثَرَاتِ الَّتِي أَنْتَابَتْهَا.

وَفِي مِصْرٍ - كَمَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَقْطَارِ - تَرَكَ الْمَعْنِيُونَ بِاللُّغَةِ وَعُلُومِهَا تَرَاثًا ضَخْمًا يَسْتَحِقُّ الْوَقُوفَ عِنْدَهُ وَتَدْوِينَهُ، فَجَاءَ هَذَا الْكِتَابُ لِيَسْجَلَ مِنْ هَذَا التَّرَاثِ جَهْدَ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَادِكَ الْأَعْلَامِ الَّذِي تَرَكَ أَثْرًا مَشْهُودًا فِي خِدْمَةِ لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ لِغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ذَلِكَ هُوَ الْأَسْتَاذُ الدُّكْتُورُ (رَمَضَانَ عَبْدُ التَّوَّابِ) الَّذِي بَدَلَ جَهْدًا عِلْمِيًّا ثَرًّا، فَأَخَذَ يَبْحِثُ وَيَعْقِبُ، ثُمَّ يَنْتِجُ، وَإِنْتَاجَهُ غَزِيرٌ وَمَتْنُوعٌ بَيْنَ تَأْلِيفٍ وَتَحْقِيقٍ وَتَرْجُمَةٍ فَاعْتَلَى سِنَانِ الذَّرْوَةِ فِي كُلِّ ذَلِكَ. فَهُوَ وَاسِعُ الْمَعْرِفَةِ، دَقِيقُ الْمَلَاظَمَةِ، سَهْلُ الْأَسْلُوبِ، خَدِمَ الْعَرَبِيَّةَ بَجْدٍ وَإِخْلَاصٍ، وَأَخْرَجَ لَنَا جَمَلَةً مِنْ كِتَابِ التَّرَاثِ الْأَلْفَاظِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ مُحَقَّقًا، فَتَجَلَّتْ مَوْهَبَتُهُ فِي هَذَا الْجَانِبِ، وَبَرَزَتْ أَصَالَتُهُ، فَكَانَتْ أَعْمَالُهُ مَنَهَلًا لِلْبَاحِثِينَ يَسْتَقُونَ مِنْهَا وَيَعْتَرِّونَ بِهَا. وَهَكَذَا وَجَدْتُهُ أَهْلًا لِلدِّرَاسَةِ وَالْبَحْثِ، فَضْلًا عَنِ إِيْمَانِي بِأَنَّ الْعُلَمَاءَ الْمُبْرَزِينَ فِي خِدْمَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ،

يستحقون أن نقف عندهم بدراساتٍ كثيرة، فجاء كتابي هذا موسوماً بـ (رمضان عبد التواب وجهوده في اللغة). متجاوزاً كل الصعوبات التي اعترضتني في مرحلة إعدادهِ، فبقدر ما كان عملي هذا متعةً فكريّةً؛ إذ وجدتُ نفسي في غمرةٍ مما تُعجُّ به كتب لغويّنا - رحمهم الله - من ظواهر اللغة ومشكلاتها، كان عملاً شاقاً ومضنياً تأتي من ضخامة جهود عبد التواب وتشعب مضامينها، وتفردّها في الكتب، والمجلات العلمية الكثيرة، ومهما يكن من ذلك كلّهُ فقد استطعت أن أحصي أغلب ما ألفهُ وحقّقه وترجمهُ، وإن كان ثمة كتاب أو بحث لم أقف عليه فحسبي أنّي بذلت جهوداً مضنية للوقوف على آثار هذا اللغوي، وتمثّلت جهودي بمفاتيح المكتبات، وسؤال الأساتذة، والاتصال بعائلته في جمهورية مصر العربية - الذين أرسلوا إليّ ببعض آثاره مشكورين. وأكون شاكراً ممتناً لمن يُوَقِّفني على ما فاتني من آثار هذا العالم الجليل. على أنّي أزعّم أنّي وقفت على جملةٍ مستفيضةٍ من آثاره، ولا أحسب أنّ ما فاتني يؤثرُ في مجرى هذه الدراسة وفي الصورة التي ظهرت عليها.

وبعد الاستقراء الوافي لمؤلّفات الدكتور رمضان عبد التواب، والإحاطة الشاملة بالموضوع والإمام بأهم جوانبه، شرعت برسم خطة للبحث تحدّد منهج دراسته وتناسب طبيعته، وقد ارتأيت أن أقسّم كتابي هذا على خمسة فصول، مقفّاة بخاتمة.

خصّصت الفصل الأول بالحديث عن حياته وآثاره العلمية، فقسمته على بحثين: الأول: تناولت فيه اسمه ومولده ونشأته العلمية، وثقافته، ومكانته العلمية، وأساتذته وتلامذته، وأسلوبه وطريقته في التأليف، والمآخذ عليها، ومزاياه، وختمته بوفاته.

والثاني: تناولت فيه (آثاره العلمية) فقسمتها على ثلاثة مجالات، الأول: عني بالتأليف: وجعلتها قسمين: عني القسم الأول بالكتب، وقد بلغت سبعة عشر كتاباً فوصفت كلّ كتاب وقفت عليه وصفاً عامّاً، وما فاتني منها عرفته بذكر عنوانه وتاريخ طبّعه ومكانه. وعرضت في القسم الثاني بحوثه ومقالاته المنشورة في المجالات العلمية المختلفة وكان عددها مائة وثلاثين بحثاً. والثاني بالتحقيق؛ إذ

عرضت فيه خمسة وثلاثين كتابًا وهي مجموع ما وقفت عليه من تحقيقاته. وجاء الثالث في الترجمة، فتناولت فيه سبعة كتب ترجمها من الألمانية إلى العربية. وربما أفضت الكلام على سيرته وأثاره، ومرّد ذلك أنّ سيرة الرجل العلمية لم تتسوّج لكثير من الدارسين الوقوف عليها، إذ إنّ هذه الشخصية اللغوية البارزة لم يتناولها أحد من الدارسين - بحسب علمي - في الجامعات العراقية في أقلّ تقدير.

أمّا الفصل الثاني فعني بجهوده في مناهج اللسانيات الحديثة، إذ عوّج في دراسة اللغة العربية على المناهج اللغوية الحديثة وكانت لدراسته في جامعة (ميونخ) بألمانيا الأثر البالغ في ذلك، وقد أغنت طريقة بحثه المقارن الدرس اللغوي الحديث بأراء علمية سديدة.

وجعلتُ هذا الفصل مبدئين يتقدّمهما تمهيد بيّنت فيه المنهج المقارن بين مناهج اللسانيات الحديثة، ومن ثمّ تناولت تطبيقات هذا المنهج عند عبد التواب في المبحث الأول، والآخر خصّصته لعلم اللسانيات الحديثة ومناهج العرب القدامى. بيّنتُ فيه ما وقف عليه الدكتور رمضان عبد التواب من تلك الآراء والنظريات في التراث اللغوي العربي، والتي تبين أنّ علماءنا من اللغويين القدامى لم يكونوا غافلين عن جملة مستفيضة منها، وكان يظنّ بعض الناس أنّها وليدة الفكر الغربي المعاصر.

وأفردتُ الفصل الثالث لجهوده في دراسة اللهجات العربية، وقد جاء على ثلاثة مباحث، الأول: كان نظرة تاريخية في دراسة اللهجات، تناولت فيه تعريف اللهجة لغةً واصطلاحًا، ونشأة اللهجات وأسباب نشأتها، والعلاقة بين اللهجة واللغة، ومصادر دراسة اللهجات وصور روايتها، وأهمية دراستها، واللهجات في الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام تمهيدًا لبيان جهود الرجل في هذا الحقل اللغوي والكشف عنها. والثاني: جاء في إسهامات الدكتور رمضان عبد التواب في دراسة اللهجات، تناولتُ فيه موقفه من الفصحى ولهجاتها القديمة، وامتداد اللهجات القديمة في بعض اللهجات المعاصرة، وختمته بعرض جهوده في تفسير ألقاب اللهجات العربية القديمة في ضوء علم اللغة الحديث.

أما الفصل الرابع: فتضمن جهوده في دراسة اللغة في ذاتها، وقد جاء على ثلاثة مباحث، الأول: ضمّ جهوده الصوتية، وقد تناولت فيه، التغيّر والثبات في أصوات العربية، والعلاقة بين (أفعال وأفعال)، والمصوّتات عند علماء العربية. والثاني تناول جهوده الصرفية، إذ عالج جملة مسائل في هذا المجال، هي: الاشتقاق الصرفي، وفكرة ثنائية الأصول اللغوية، والإعلال في (الأفعال المعتلّة)، وصيغة المطاوعة في (أنفعل). أما الثالث فوسم بـ (جهوده الدلالية)، وقد عرضت فيه جهوده في التطوّر اللغوي الدلالي، والنحت والتركيب، والتعريب، وجملة من الظواهر اللغوية الدلالية المتمثلة بالترادف والمشارك اللفظي والتضاد.

وأما الفصل الخامس: فتناولت فيه جهوده في مجال تحقيق التراث اللغوي فهو مثلما ألف عددًا غير يسير من المصنّفات اللغوية فقد حقّق عددًا كبيرًا من الكتب والرسائل اللغوية، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث، الأول: بيّنت فيه منهجه في التحقيق، أما الثاني: فعرضت فيه لجهوده في إصلاح التحريف والتصحيح اللذين ينتابان الكتب والمخطوطات. وجاء الثالث لبيان جهوده في نقد تحقيق التراث اللغوي؛ إذ تعقّب جملة كبيرة من الكتب ما بين لغة وأدب ناقدًا ومصوّبًا، وقدمت له نماذج على سبيل الإيضاح والبيان في أربعة كتب نشرها أساتذة أعلام في فنّ التحقيق، وعرضت كلّ كتاب على جدّة، وبيّنت تصحيحته واستدراكاته عليه.

أما الخاتمة فجاءت محمّلة بأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال عملي هذا، ويلى ذلك قائمة بمظللّ البحث سجّلت فيها المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة، ثم خلاصة الدراسة باللغة الإنكليزية.

وبعد: فينبغي أن أسجّل العرفان خالصًا لمن كان له فضلٌ كبيرٌ عليّ في مجال البحث وما يحيط به ويعتريه من صعوباتٍ وعقباتٍ ذلّتها بصدري رحيب، وتوجيهي تربويّ مسؤولٍ وملاحظاتٍ قيّمةٍ وسديدةٍ، الأستاذ الدكتور (عبد الرسول سلمان إبراهيم الزبيدي) الذي أشرف على إعداد هذه الدراسة فكان كريمًا معي في وقته وكتبه وملاحظاته، وحثّه إياي على ضرورة إنجاز البحث وإيصاله إلى النور.

وختامًا أرجو أن أكون قد أسهمت في إبراز هذه الشخصية العلمية التي خدمت
القرآن الكريم ولغته العربية.



الفصل الأول

حياته وآثاره العلمية

المبحث الأول

حياته

اسمه ومولده ونشأته العلمية :

رَمَضَانُ حَسَنُ عُمَرُ عَبْدِ الْقَتَّاحِ ابْنُ رَاهِمٍ عَبْدِ التَّوَّابِ، عَلَّامٌ مِنْ أَعْلَامِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاَصِرِينَ، ذَاعَ اسْمُهُ فِي الْمَجَامِعِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعَالَمِيَّةِ، وَالْمَحَافِلِ الْأَدَبِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ.

لَقَدْ كَانَ الدُّكْتُورُ رَمَضَانُ عَبْدِ التَّوَّابِ رَجُلًا الصِّدْقَانَيْنِ: صِنَاعَةَ التَّأْلِيفِ، وَصِنَاعَةَ التَّحْقِيقِ، وَهُوَ فِي الْمِيزَانَيْنِ حُجَّةٌ.

وُلِدَ فِي مَدِينَةِ (قَلْبُوب) مَرْكَزِ مَحَافِظَةِ الْقَلْبُوبِيَّةِ فِي مُنْتَصَفِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. وَكَانَ الْيَوْمَ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ مُوَافِقًا لِلْيَوْمِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ شَبَّاطِ عَامِ ثَلَاثِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ وَ أَلْفٍ مِنَ الْمِيلَادِ (١).

يَقُولُ الدُّكْتُورُ عَبْدِ التَّوَّابِ: ((حَكَّتْ لِي الْوَالِدَةُ - رَحِمَهَا اللَّهُ - أَنَّ الْأُسْرَةَ تَرَدَّدَتْ بَعْضَ الْوَقْتِ فِي تَسْمِيَّتِي بِرَمَضَانَ أَوْ صَبَاحِ أَوْ جُمُعَةٍ...، غَيْرَ أَنَّ الْوَالِدَ - عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ - حَسَمَ الْأَمْرَ وَاخْتَارَ اسْمَ الشَّهْرِ الْمُعْظَمِ لِيَكُونَ اسْمًا لِي بِرَجَاءِ أَنْ تَنَالَنِي مِنْ بَرَكَتِهِ...)) (٢).

تَفَقَّحَتْ عَيْنَاهُ عَلَى التَّعْلِيمِ فِي الْمَدْرَسَةِ الْأَوَّلِيَّةِ، وَهُوَ يَمْلَأُ الْبَيْتَ بِالطَّبَاشِيرِ كِتَابَةً عَلَى الْأَرْضِ وَالْحَيْطَانِ وَالشَّبَابِيكِ. وَكَانَتْ وَالدَّتُهُ تَصْرُخُ وَتَقُولُ: لِمَ نَعْلَمُكَ لَكِي تُوَسِّخَ لَنَا الْبَيْتَ؟! وَتَمْسُحُ كُلَّ مَا كَتَبَ، فَيَعُودُ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ لِيَنْقُشَ كُلَّ مَا تَعَلَّمَهُ فِي الْمَدْرَسَةِ عَلَى كُلِّ جِزْءٍ فِي الْبَيْتِ، وَكَانَ تَرْتِيْبُهُ الْأَوَّلُ بَيْنَ زُمَلَانِهِ دَائِمًا. وَمِنْذَ ذَلِكَ التَّارِيخِ وَهُوَ يَعْرِفُ قِيَمَةَ التَّعْلِيمِ، وَيَقْرَأُ كُلَّ شَيْءٍ وَيَحْلُولُ أَنْ يَنْتَقِفَ، وَأَنْ يَسْأَلَ. حَتَّى حَلَّ الْوَقْتَ الَّذِي وَجَدَ فِيهِ نَفْسَهُ وَجْهًا لَوَجْهِهِ مَعَ حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

استعداداً لدخول المعهد الديني ، فلم يكن يكتب في حفظ القرآن وإنما كان يسأل عن معاني كل شيء ، حتى أن الرجل الذي كان يقوم على تحفيظه كان يحار معه في تفسير بعض الآيات ، فما كان منه إلا أن دلته على تفسير الجلالين فاشتراه ، وكان سعيداً به؛ لأنه كان يعطيه على الأقل المعنى اللغوي للألفاظ ، وأتم حفظ القرآن الكريم في سنة ونصف ، وكان بينه في ذلك الوقت تسع سنوات أو عشرًا .

دخل المعهد الديني بعد اجتياز امتحان في القرآن والحساب والإملاء ، وهنا وجد نفسه أمام الكتب الصُفُر في الفقه والنحو والصرف وعلوم العربية المختلفة .

كان مبرزاً كعادته في فرقته ، وكانت تظهر النتيجة دائماً معلنة أنه الأول على دفعته من الدار سين ، إلى أن أنهى امتحان الثانوية ، وتأهل لكي يدخل كلية دار العلوم من بين مائتي طالب نجحوا في اختبارات القبول هم الزبدة من بين (١٥٠٠) طالب هو مجموع المتقدمين ، فدخلوا دار العلوم ، يقف فيهم إبراهيم أنيس بنظرياته ، ويقف فيهم عباس حسن بخصه في بطون أمات كتب النحو .

وتخرّج في دار العلوم سنة (١٩٥٦م) وكان ترتيبه الأول (ممتاز) مع مرتبة الشرف الأولى ، حصل على (٥ و ٩٢ %) وكان الثاني في الترتيب زميله الدكتور عبد الصبور شاهين وحصل على (٥ و ٨٩ %) . واتفق مباشرة مع أستاذه إبراهيم أنيس أن يسجل للماجستير وحضر السنة التمهيدية لها ، وفي السنة نفسها دخل كلية التربية ليدرس المناهج التربوية وطرائق التدريس . وهو في كلية التربية ظهر اسمه في بعثة إلى ألمانيا من كلية الآداب جامعة عين شمس مدتها خمس سنوات ، للتخصص في فقه اللغة العربية ، وتوجّه إلى معاهد جيته المنتشرة في ألمانيا ، ومكث هناك أربعة أشهر وهو يتعلّم الألمانية من الصباح الباكر حتى ساعات المساء المتأخرة ، انتهت من الدراسة بعد أربعة أشهر وهو يستطيع أن يتعامل مع الشارع الألماني ، وتوجه إلى جامعة (ميونخ) ، وكان يحضر في الفصل الثاني لغتين ساميتين جديتين عليه تماماً هما: الحبشية ، والسرانية ، وكان يدرسهما بالألمانية . عاد من

بعثته في ألمانيا بعد خمس سنوات عام (١٩٦٣م) حصل في أثناءها على الماجستير والدكتوراه (١).

ثقافته :

انمازت ثقافة الدكتور رمضان عبد التواب بسعة الاطلاع، فقد كان دؤوبًا على المطالعة والتأليف والتحقيق والترجمة، لا يصرفه عن ذلك أي شيء، فكانت له انجازات كثيرة في تلك المجالات تتجاوز الخمسين كتابًا. وله الكثير من البحوث والمقالات بلغت ربما أكثر من مائتي مقالة منشورة في مجلات كبرى عربية وعالمية.

وقد واظب منذ سنة (١٩٦٣م) على البحث اللغوي المتواصل المستمر على مدى أكثر من أربعين سنة، لم تُختم إلا بوفاته. فاللغة قد ملكته وأسرتَه فشغف بها، ووقف حياته في خدمتها. فكشف اللثام عن كثير من أسرار اللغة العربية الفصحى ولهجاتها، وأسهم إسهامات مبتكرة هو صاحبها، منها على سبيل المثال، مصطلح (الركام اللغوي للظواهر المنثرة) و (الإرهاص اللغوي) و (سياحة الألفاظ) و (شاهد الحال) وغيرها كثير. ((حتى غدت تحقيقاته وبحوثه وتصانيفه، موضع الثقة التامة عند كل الباحثين والعلماء، وحتى غدا مفخرة من مفاخر مصر، بل من مفاخر الوطن العربي في عصرنا هذا. وبات أستاذًا من أساتذة الجيل دون منازع ومثلا يحتذى)) (١).

لقد تنوعت موارد ثقافته فكانت على ثلاثة موارد: ثقافة مصرية، وثقافة أوروبية، وثقافة عربية. فمن كل مورد أخذ نوعًا من زاد ثقافته المتشعبة، ففي وطنه كانت أولى موارد ثقافته؛ إذ أنارت أمامه أضواء الدراسة، وبدأ يتزود بالعلم منذ نعومة أظفاره في دراسته الابتدائية فحفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنوات أو

(١) ينظر: الكتاب التذكري، في عيد ميلاده السبعين: ٢٣ - ٣٣.

(١) تحية الأستاذ هلال ناجي للدكتور عبد التواب: الكتاب التذكري في عيد ميلاده السبعين: ١٨.

عشر. وتزود بعلم الفقه والنحو والصرف وعلوم العربية الأخرى في المعهد الديني على يد كبار علماء ذلك الوقت، وبعد أن دخل كلية دار العلوم التقى عدّة أساتذة، منهم: عباس حسن، والدكتور إبراهيم أنيس. ونشأ عنده حب الاستزادة من العلم، وكان في أجازات الصيف يعكف على كثير من الكتب الأدبية، وقرأ لكبار الكتاب مثل: الرافعي، والعقاد، وطه حسين، وغيرهم. وكان يتفق مع موزع الصحف أن يأتيه بكلّ الصحف التي كانت تصدر آنذاك، فكان يحضرها إليه ويتقاضى نصف ثمنها بشرط أن يستردّها سليمة معافاة قبل منتصف النهار. أمّا المجالات فكان يبقّيها عنده يوماً آخر، ومن آنٍ لآخر كان يقني بعض الكتب من سور الأزبكية ومن المكتبات والباعة المتجولين أيضاً، حتى كَوّن مكتبة ثمينة ضمت عيون التراث العربي شعراً ونثراً، وعرف طريق دار الكتب المصرية وهو في الثنوية. وكان في يده كشكول كلما انتهى اشترى آخر لينقل فيه مختاراته من الشعر والنثر والأخبار، وكان يحفظ ما يكتبه، فكانت محفوظاته مجموعة هائلة من النصوص في كلّ العصور، ويروي لنا الدكتور رمضان عبد التواب نفسه حادثة وهو يؤدي امتحان الليسانس الشفوي، وكانت اللجنة مكوّنة من الأساتذتين: عباس حسن، والشاعر علي الجندي؛ إذ يقول: في امتحان النصوص ((قال لي علي الجندي: قل لي شيئاً من النصوص التي تحفظها، فقلتُ له: من أيّ عصر؟ فتّح عينيه متعجباً، وقال: أتدفظ كلّ العصور؟ قلتُ: نعم، قال: هات من العصر الجاهلي، قلتُ لِمَنْ؟، قال: وهناك اختيار أيضاً في العصر الجاهلي؟ قلتُ: نعم يا سيدي، قال: هات شيئاً لامرئ القيس، قلتُ: أيّ قصيدة لامرئ القيس، المعلّقة أم البائية أم الدالية؟ قال: أتدفظ كلّ هذا لامرئ القيس؟ قل ما تشاء، انتقلت من امرئ القيس إلى علقمة إلى طرفة، ثم قال لي في النهاية: فتح الله عليك يا بني، وأنا والله لا أُري الدرجة لصاحبها على الإطلاق، ولكّني سأريك إياها، ووضع يده على درجات زملائي السابقين ووضع ٢٠ من ٢٠ وقال: لبيت عندنا منك عشرًا (إذن لاستقام الأمر))^(١).

(١) الكتاب التذكري في عيد ميلاده السبعين...: ٢٥ - ٢٦.

وبجانب دراسته في دار العلوم درس اللغة الإنكليزية في العديد من مدارس اللغات في وسط البلد، فأجاد الإنكليزية، حتى كان بإمكانه أن يقرأ لشكسبير وغيره. أما أوربا فكانت مورده الثاني، وهي العنصر الأساسي في ثقافته وعلمه، فإنّ للدراسة الأكاديمية في ألمانيا أثرًا في سعة اطلاعه، وعمق ثقافته خلال خمس سنوات قضاها هناك. اطلع فيها على أحدث ما توصل إليه علماء الغرب في الدراسات اللغوية الحديثة، لا سيّما مناهج البحث اللغوي الحديث.

وقد درّسه عدد من الأساتذة الغربيين، أمثال: د. شبيتالر - الذي كان مشرفًا عليه فيما بعد في أطروحة الدكتوراه - والبروفيسور فيسمان أستاذ علم اللغة في جامعة ميونخ.

أفاد الدكتور رمضان عبد التّواب من السنوات التي قضاها في ألمانيا من الأساتذة الكبار الذين كانوا يدرّسونه في ذلك الوقت اللغة العربية ومقارنتها باللغات السامية، ولم يكتف بذلك بل أنّه في مدّة دراسته في ألمانيا تعلم عددًا من اللغات، فبجانب الألمانية التي أصبح مبرزًا فيها بطبيعة الحال، واللغة الأكدية، درس الفارسية والتركية وتزوّد بزادٍ من الفرنسية ودرس اللاتينية مجبرًا، ودرس العبرية والسريانية والحشية والسبئية والمعينية (١).

أما الثقافة العربية فكانت مورده الثالث؛ إذ تتقلّب بين الجامعات العربية كثيرًا، فقد عمل أستاذًا زائرًا في جامعات: المغرب، والجزائر، والسودان والسعودية، والأردن. وناقش مجموعة كبيرة من الرسائل العلمية في هذه الأقطار، وفي خلال وجوده فيها، عرف عددًا كبيرًا من أساتذة الجامعات والباحثين، وهؤلاء قد أضافوا إلى ثقافته الشيء الكثير عن طريق المناقشات والحوارات العلمية التي كانت تدور بينهم، فتنوع اطلاعه وتعمّقت ثقافته ومعرفته. وقد تعدّدت جوانبه الفكرية، فهو مؤلف ومحقق ومترجم كبير.

(١) ينظر: الكتاب التذكري في عبد ميلاده السبعين...: ٣٢.

يَتَّضِحُ مِمَّا مَرَّ، أَنَّ ثِقَافَةَ عَبْدِ التَّوَّابِ ثَلَاثِيَّةَ التَّرْكِيبِ: ثِقَافَةٌ مِصْرِيَّةٌ وَأُورُوبِيَّةٌ وَعَرَبِيَّةٌ، وَقَدْ مَكَّنَتْهُ هَذِهِ الْمَازِجَةُ فِي الثَّقَافَةِ مِنَ التَّصَدِّيِ إِلَى الْمَشْكَلاتِ الَّتِي عَاشَتْهَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَعَانتَ مِنْهَا.

مكانته العلمية:

قضى حياته كلها بين الكتب قارئاً ومؤلفاً ومحققاً ومدرساً ومترجماً. استغرقه هوى الكتاب، فانصرف إليه بكلِّ همّة، وعشقه فاكتفى به عن كلِّ ما يشغل الناس من زينة الحياة الدنيا.

وإنَّ مؤلفاته ومحققاته الكثيرة ومقالاته التي نشرت في المجلات العلمية خير دليل على غيرته العظمى على اللغة العربية والعناية باستعمالاتها. وتقديرًا لعلمه وعمله، شغل عدّة وظائف، منها: (١)

- (١) مدرس بمدرسة النقراشي النموذجية الإعدادية بالقاهرة: ١٠ / ٢٧ / ١٩٥٧.
- (٢) عضو بعثة جامعة عين شمس للحصول على الدكتوراه من جامعة ميونخ بألمانيا (كتون الأول / ١٩٥٧ - كتون الثاني / ١٩٦٣ م).
- (٣) معيد بكلية الآداب - جامعة عين شمس: ١ / ٩ / ١٩٦٣ م.
- (٤) مدرس بكلية الآداب - جامعة عين شمس: ٥ / ٢٩ / ١٩٦٣ م.
- (٥) أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة عين شمس: ٢ / ١١ / ١٩٦٩ م.
- (٦) أستاذ معار بكلية الآداب - جامعة الرياض: ٩ / ١ / ١٩٧٣ م.
- (٧) أستاذ العلوم اللغوية بكلية الآداب - جامعة عين شمس: ٨ / ١ / ١٩٧٤ م.
- (٨) أستاذ معار بكلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ٩ / ١ / ١٩٧٦ م.

(١) حصلت على هذه المعلومات من كلية الآداب جامعة عين شمس بوساطة أحد أقاربي في مصر بتاريخ: ١٢ / ١ / ٢٠٠٦، وينظر: الكتاب التذكري في عيد ميلاده السبعين: ٦١-٦٤.

٩) وكيل كلية الآداب جامعة عين شمس لشؤون التعليم والطلاب:
١٩٨٠/٩/٢٤ م.

١٠) عميد كلية الآداب - جامعة عين شمس: ١٩٨٢/١/٢١ م.
١١) عميد كلية الآداب - جامعة عين شمس للمرة الثانية: ١٩٨٥/٢/٥ م.
١٢) رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة عين شمس: ١٩٨٦/٩/١ م.
وكذلك كان عضوًا في كثير من الهيئات العلمية والندوات والمؤتمرات، وحائزًا
على الجوائز العلمية، وعلى النحو الآتي:

١) عضو الجمعية الدولية للأبحاث الشرقية (IGOF) منذ عام / ١٩٦٤ م.
٢) عضو جمعية المستشرقين الألمانية (DMG) منذ عام / ١٩٨٦ م.
٣) أستاذ زائر بجامعة فرانكفورت للدراسات اللغوية المقارنة، في عام/ ١٩٦٨ م.
٤) عضو مؤتمر المستشرقين الألمان في فورتسبورج، في عام/ ١٩٦٨ م.
٥) أمين سر الجمعية اللغوية المصرية، منذ عام / ١٩٦٩ م.
٦) عضو مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، منذ عام / ١٩٧١ م.
٧) عضو ندوة خبراء اللغة العربية المنعقدة في الرياض، في عام / ١٩٧٧ م.
٨) خبير اللهجات العربية بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، منذ عام / ١٩٧٨ م.
٩) مقرر لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، منذ
عام / ١٩٧٩ م.

١٠) أمين اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين (في اللغة العربية) في
عام / ١٩٨٠ م.

١١) عضو ندوة اللهجات العربية المنعقدة بجامعة أسيوط في آذار / ١٩٨١ م.
١٢) عضو الندوة الأولى عن التراث العربي بالقاهرة، في نيسان / ١٩٨١ م.
١٣) أستاذ زائر بجامعة (أم درمان) الإسلامية، في عامي / ٨٠ - ١٩٨١ م.
١٤) رئيس شعبة البرديات العربية بجامعة عين شمس منذ عام / ١٩٨١ م.
١٥) رئيس شعبة الدراسات الإنسانيّة بمركز بحوث الشرق الأوسط، منذ عام /
١٩٨١ م.

- (١٦) عضو مؤتمر اللغة العربية في الجامعات، المنعقد في: كانون الأول بالإسكندرية عام/ ١٩٨١م.
- (١٧) عضو ندوة الشيخ (جلال الدين السيوطي) المنعقدة بجامعة أسيوط في: نيسان / ١٩٨٢م.
- (١٨) مقرر اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين (اللغات الشرقية) منذ عام / ١٩٨٣م.
- (١٩) عضو لجنة الدراسات اللغوية والأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة، منذ عام / ١٩٨٣م.
- (٢٠) أستاذ زائر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في: كانون الثاني / ١٩٨٣م.
- (٢١) عضو الدورة الثامنة للسنائيات المنعقدة في الرباط بالمغرب في: آب / ١٩٨٣م.
- (٢٢) عضو الندوة العالمية لطف حسين في مدريد بأسبانيا في: نيسان / ١٩٨٣م.
- (٢٣) حائز على جائزة آل البصير العالمية في الدراسات الأدبية واللغوية لعام/ ٨٢-١٩٨٣م.
- (٢٤) ممثل جامعة عين شمس في الاحتفال بالعيد الخمسيني بمجمع اللغة العربية بالقاهرة في: شباط / ١٩٨٤م.
- (٢٥) أستاذ زائر بجامعة صنعاء في: آذار / ١٩٨٤م.
- (٢٦) عضو مؤتمر (التراث والمعاصرة) المنعقد بجامعة المنيا في: ١٧/٣/ ١٩٨٤م.
- (٢٧) أستاذ زائر بجامعة فاس ومكناس بالمغرب في: تشرين الثاني / ١٩٨٤م.
- (٢٨) ممثل جامعة عين شمس في ندوة (العلاقات المصرية التركية) المنعقدة في إسطنبول في: كانون الأول / ١٩٨٤م.
- (٢٩) أستاذ زائر بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة وجامعة بتنة بالجزائر في: نيسان / ١٩٨٦م.
- (٣٠) عضو لجنة (المصطلح النقدي) المنعقدة في جامعة فاس في: تشرين الثاني / ١٩٨٦م.

- (٣١) عضو مهرجان (طه حسين) المنعقد في كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا في: آذار /١٩٨٨م.
- (٣٢) عضو مؤتمر (النقد الأدبي الثاني) المنعقد في جامعة اليرموك بالأردن (إربد) في: تموز/١٩٨٨م.
- (٣٣) أستاذ زائر بجامعة مؤتة بالأردن في: شباط / ١٩٨٩م.
- (٣٤) عضو مهرجان الشعراء (عرار) المنعقد في جامعة اليرموك بالأردن في: نيسان /١٩٨٩م.
- (٣٥) عضو المجمع العلمي العراقي ببغداد: ٢٨/٢/١٩٨٩م.
- (٣٦) عضو مؤتمر النقد الثالث المنعقد في جامعة اليرموك بالأردن في: تموز / ١٩٨٩م.
- (٣٧) عضو ندوة (الأسس الشعبية) المنعقدة في بغداد في كانون الأول /١٩٨٩م.
- (٣٨) عضو ندوة (المداخلة اللغوية بين اللغة العربية واللغات الرومانسية)، المنعقدة في مدريد في كانون الأول /١٩٩٠م.
- (٣٩) عضو الملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، المنعقد في مدينة وهران بالجزائر من: ١٨-٢٠/٤/١٩٩٣م.
- (٤٠) عضو ندوة جلال الدين السيوطي، في مؤتة بالأردن من: ٢-٦/١٠/١٩٩٣م.
- (٤١) عضو ندوة (التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي) المنعقدة في طرابلس بليبيا (كلية الدعوة الإسلامية) من: ٢٠ - ٢٣/١٢/١٩٩٥م.
- (٤٢) عضو مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الدينية، للحفاظ على التراث العربي والإسلامي، المنعقد في عمان بالأردن من: ٢٤ - ٢٩ /٩ /١٩٩٦م.
- (٤٣) عضو مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الدينية الموسع، للحفاظ على التراث العربي والإسلامي، المنعقد في جاكارتا (إندونيسيا) من: ٢٦ - ٣١/١٠/١٩٩٧م.

أساتذته وتلاميذه:

تتلمذ رمضان عبد التواب على أبرز علماء العصر من المصريين والأجانب، منهم: الدكتور إبراهيم أنيس و الأستاذ عباس حسن، الذي يقول عنه الدكتور عبد التواب ((كان يحاضرنا في (حتى) حتى تملأوا (حتى))) (١).

ومن الأجانب الممستشرق الألماني شبيتلر الذي كان مشرفا عليه في أطروحة الدكتوراه. إذ يذكر لنا الدكتور عبد التواب مواظبته على حضور محاضرات أستاذه، فيقول: ((كنت أحضر لأستاذي شبيتلر كل محاضراته حتى محاضرات المبتدئين، وأذكر مرة وأنا أدخل محاضرة النحو للمبتدئين قال لي باللغة العربية: يا عيب الشوم! فقلت له بالألمانية: لا تبتئس سيدي، فأنا لم أت إلى هنا لأتعلم منك النحو وإنما لأتعلم منك طريقة تعليم النحو)) (٢).

وكذلك من أساتذته الأجانب البروفيسور فيسمان أستاذ علم اللغة في جامعة ميونخ، ويقول عنه: إن ((هذا الرجل حاضرنا في فصل دراسي كامل عن الكلمة ... وهو يشرح ما المراد بالكلمة وما موقع هذه الكلمة في الكلام ومم تتكون وما علاقتها بالأصوات وعلاقة الأصوات بعضها ببعض؟... الخ)) (٣).

أما تلاميذه: فقد تتلمذ عليه كثير من الدارسين المصريين والعرب والأجانب. أصبحوا فيما بعد علماء في اللغة والنحو والأدب، منهم: الأستاذ أحمد طه، والدكتور عادل سليمان جمال أستاذ الأدب بجامعة أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية، والأستاذ الدكتور عبد الحسين المبارك، والدكتور خالد فهمي إبراهيم المشهور بخلام رمضان، والدكتور محمد عودة أبو جري. والدكتور عادل أحمد زيدان، والدكتور خليل إبراهيم العطية^(٤) وغيرهم كثير.

(١) نصوص دراسات لغوية مهداة لشيخ المدرسة الرمضانية: ٢٥.

(٢) المصدر السابق: ٣٠.

(٣) ينظر: الكتاب التذكاري في عيد ميلاده السبعين: ٧٧، ١٠٣، ٢٣٩، ٣١٤، ٥١٩.

(٤) وقد ذكر لي مشرفي الأستاذ الدكتور عبد الرسول سلمان الزبيدي أنّ المرحوم الدكتور خليل العطية أستاذ الدراسات اللغوية في الجامعة المستنصرية هو أول طالب دكتوراه أشرف عليه الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب بجامعة عين شمس وقد أخبره بذلك شخصيا حينما كانا يعملان سوياً في الجامعة المستنصرية / قسم اللغة العربية.

أسلوبه :

يُعدُّ أسلوبه من الأساليب السلسلة المطنبة. وكان حينما ينتقد الكتب ويبين عوار مؤلفيها ومحققها، لا يلجأ إلى التلميح أو المواربة، بل يلتزم الصراحة في إقرار ما يظن أنه الصحيح، ونلاحظ في نقده وردوده عبارات يُلمَحُ فيها التجريح لبعض الباحثين أحيانا.

طريقته في التأليف:

تخصص الدكتور رمضان عبد لتواب في الدراسات اللغوية على نحو عام، والدراسات اللغوية الحديثة على نحو خاص. فقد كان للفيلوجيا الغربية أثرٌ في بحوثه من خلال تطبيق النظرة التاريخية والمقارنة في دراسة اللغة العربية، ويمكن تلخيص طريقته في التأليف على النحو الآتي:-

(١) أنه يكثر من الربط بين آراء الأقدماء والمحدثين من أصحاب الدراسات اللغوية الحديثة، مع ميله نحو الدراسات الحديثة.

(٢) يحاول في كثير من الأحيان أن يجعل له منهجًا خاصًا في التأليف كما فعل في كتابه (لحن العامّة والتطوّر اللغوي)؛ إذ درس تراث لحن العامّة في ضوء قوانين التطوّر اللغوي، التي أرسى قوا عدها المحدثون من اللغويين، ونحسب أن أحدا لم ينهج هذا النهج قبله، الذي حاول فيه تقرير واقع اللغة والكشف عن السر الذي يكمن وراء هذا الواقع، ليبين كيف تكونت العامية؟ ولماذا؟ وما السر في انحراف العامّة عن الفصحى؟. وكذلك درس الفكر اللغوي عند الأدباء على نحو ما فعل في بحثه (في درس اللغوي عند العقاد)^(١).

(٣) عني بدراسة اللهجات العامية. العامية المصرية والعاميات الأخرى، وكان متأثرًا في ذلك بالاستشراق الألماني الذي تعلّم في مؤسساته، وقد درس هذه العاميات من ناحية أصولها التاريخية، وقد نشر عدّة بحوث في هذا المجال، منها: (من امتداد اللهجات القديمة في اللهجات المعاصرة)^(٢). (والعلاقات اللغوية بين العربية الفصحى والعامية السودانية)^(٣). وكذلك

(١) مجلة منير الإسلام، العدد الثاني، السنة (٥٢) - ١٩٩٣.

(٢) منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٤، وفي بحوث ومقالات في اللغة: ٢٦٦ - ٢٧٥.

(٣) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ١١٧ - ١٢٨.

- درسها من ناحية تأثرها باللغات الأخرى كما فعل في بحثه (الاقتراض اللغوي بين التركية والعامية المصرية) (١).
- ٤) يستشف القارئ في بعض مؤلفاته، أنها كانت ثمرة دراسة مستوعبة لكتب اللغة، وفيها غناء في دراسة خصائص اللغات السامية، وأهميتها للدراسات اللغوية العربية؛ لذا يُعدُّ مؤلفه (فصول في فقه العربية) مرجعًا مهمًا للدارسين من مراجع فقه اللغة الحديثة.
- ٥) كانت ردوده على آراء غيره مؤيدة بالدليل والبرهان في كثير من المسائل، مثل رده نظرية الدكتور إبراهيم أنيس في قضية الإعراب (٢). ورده على ملاحظة العصر ممن اتهموا العربية الفصحى بالجمود وعدم مجاراة مستحدثات العصر، كاشفًا بطلان دعواهم وسوء نياتهم (٣).
- ٦) عنايته بكشف الأوهام، والتصحيحات، والتعريفات التي أصابت الدراسات اللغوية عند العرب القدامى على أيدي النساخ وأشباه المتعلمين والدعوة إلى تنقيتها (٤).

الماخذ على طريقته في التأليف:

إن جهود عبد التواب اللغوية في التأليف كانت جهودًا كبيرة تُظهر جهد صاحبها سنوات طويلة في البحث والتنقيب، وتحسب له في ميدان الدرس اللغوي. ووجدنا أن طريقة الدكتور رمضان عبد التواب في التأليف لم تخلُ من المآخذ والهنات، ومن أبرز تلك المآخذ:

١. الاعتداد بالنفس:

- (١) منشور في مجلة (مبهر الإسلام) بالقاهرة ١٩٩٦، ودراسات وتعليقات في اللغة: ١٠٧ - ١١٦.
- (٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ٣٧١ - ٣٩٥.
- (٣) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ١٨٠ - ١٨٧.
- (٤) المصدر نفسه: ١٤١ - ١٨٧.

تؤكد مناهج البحث أنّ على الباحث التركيز على الموضوع الذي يناقشه حتى لا يصرف القارئ عن ما يناقش، وهناك من يحبّذ استعمال المبني للمجهول بدلاً من المبني للمعلوم الذي لا بدّ فيه من ظهور ضمير المتكلم، لكن الدكتور رمضان عبد التواب تجلّوز هذا إلى الإشارة في مقدمات بعض كتبه إلى أهميّة ما يكتبه وإلى إلحاح الآخرين عليه أن ينشر تلك الكتب.

فيقول في مقمّة كتبه (فصول في فقه العربية): ((صدر هذا الكتاب ١٩٧٣ فتلقّفه القراء والمتخصصون في شتى أنحاء الوطن العربي بيدي الرضا والقبول، ونفذت تلك الطبعة في أقلّ ممّا قرّر لها من الوقت، وحالت ظروف انشغالي في بعض الأعمال العلمية الأخرى دون التفكير في إعادة طبعه من جديد... وإنّه لممّا يثلج الصدر حقّاً، أنّ هذا الكتاب، بما يتضمّنه من آراء ونظريات في اللغة، كان ذا صدى كبير في المؤلفات اللغوية، والرسائل العلمية في الوطن العربي، في السنوات الماضية))^(١).

أمّا في مقدمته لكتابه (التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه)، فيقول: ((وأصل هذا البحث مقالة نشرتها في العدد الخامس من مجلة كلية اللغة العربية بالرياض، في عام ١٩٧٥م. وقد رأيت كيف اشتدّ إقبال الدارسين على تصويرها والإفادة منها، ورجائي كثير من الزملاء والأبناء، أن اضمّنها بعض كتبي التي نشرتها في الفترة السابقة، غير أنني وقد رأيت في حواشي نسختي الشخصية، كثيراً من التعليقات والإضافات، وجملةً صالحة من الزيادات والتنقيحات، آثرتُ أن أجعل من هذه المقالة كتاباً مستقلاً))^(٢).

وفي مقدمته لكتاب (التطوّر النحوي للغة العربية) للمستشرق الألماني برجشتراسر، فيقول: ((وكثيراً ما كان يلح هؤلاء الأصدقاء والتلاميذ، راجين أن

(١) فصول في فقه العربية: ٣ - ٤.

(٢) الصواب: المدة، لأن الفترة لا تدل على استمرار الزمن بل تدل على انقطاعه. قال تعالى: ﴿

يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ فَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قَدَرٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ . المائدة / ١٩.

(٢) التطوّر اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه: ٣ - ٤.

أخرج هذا الكتاب للناس، بعد النظر في إصلاح ما اعوجَّ منه، والتعليق على ما وهم فيه صاحبه، وإكمال ما فتنه في موضعه،... وبعد، فهذا هو كتاب (التطور النحوي) في ثوبه الجديد، أقدمه للأصدقاء والتلاميذ، الذين طال شوقهم إلى اقتنائه في هذا الثوب الجديد^(١). وفي مقدمة كتابه (بحوث ومقالات في اللغة) مثل ذلك إذ يقول: ((ولم يدفعني إلى ذلك العمل، إلا حرص الزملاء والأصدقاء، من الباحثين والطلاب، على أن أجمع هذه البحوث في كتاب، وبعضها مما تهافت الباحثون على تصوير نسختي الخاصة منه...))^(٢).

وهناك أيضًا من مظاهر الاعتداد بالنفس بعض العبارات في مؤلفاته والتي يستشف منها إضفاء الأهمية على عمله، ومن ذلك:

قوله في كتاب (فصول في فقه العربية): ((فقد عثرت على نص خطير في كتاب (نثر الدرر) للوزير أبي أسعد الأبي...))^(٣). ومثله قوله: ((فقد عثرت على نص خطير في كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة (١٧٥ هـ) يقول:...))^(٤).

ويدخل تحت هذا الباب أيضا النيل من الآخرين عند اختلافه معهم أو عند نقدهم أعماله. ففي كتاب (بحوث ومقالات في اللغة) عندما تحدث عن عبد السلام هارون وعمله في نسبة الأبيات المجهولة في كتاب سيبويه إلى قائلها، قال: ((... بل لقد قال مرة [أي عبد السلام هارون] في زهو بعد أن عرف نسبة بيت لأبي وجزة: فيضاف هذا إلى ما عرفت نسبته من الخمسين))^(٥). ولم يوضح كيف عرف أن هارون قال ذلك في زهو. يضاف إلى هذا أنه في كثير من المواضع يستعمل علامات التعجب بعد إيراد رأي يختلف معه.

(١) التطور النحوي للغة العربية: ٤.

(٢) بحوث ومقالات في اللغة: ٥ - ٦.

(٣) فصول في فقه العربية: ٨٠.

(٤) المصدر نفسه: ٤٣.

(٥) بحوث ومقالات في اللغة: ٩١.

أقول: إنَّ هذا ممَّا لا يقدح كثيرًا فيه - رحمه الله - بيِّدَ أنَّ التواضع ينبغي أن يُلازمَ العلماء، والاعتداد بالنَّفْسِ يجب أن تخفَّفَ صيغته في المباحث العلمية.

٢. الإسراف في النقل:

يلاحظ في كتب الدكتور رمضان عبد التَّوَابِ العديد من النصوص المستشهد بها إذ يزيد بعضها على نصف الصفحة (١)، ومعلوم أنَّ الاستشهاد في أصول البحث يجب أن

يكون في إطار مقبول، غير مطوَّل إلا في حالات تستوجب ذلك.

ومن الإسراف أيضًا: كثرة النصوص المستشهد بها، فبدلاً من إيراد النصوص نفسها يستطيع الباحث أن يلخصها ويذكر النقاط ذات العلاقة بالبحث، ولكنَّ ما يلاحظ في كتب الدكتور رمضان عبد التَّوَابِ أنَّه يستشهد بنصوص كثيرة يدلو بعضها بعضًا، وتقدِّص مهمته في كثيرٍ من الأحيان على الربط بينها بجملة أو جملتين وأحيانًا بكلمة، وقد لا يفعل حتى هذه (٢). ممَّا جعل كتبه تمتلئُ بهذه النصوص وترهق القارئ وتجعله يخرج منها من نون حصيلة وافية في بعض الموضوعات. ومن أمثلة ذلك معالجته صوت الهمزة (٣)، فقد بدأ بوصف الهمزة صوتيًا وهذا الوصف مأخوذ من كتاب (مناهج البحث في اللغة) (٤) للدكتور تمام حسان، مع تغيير في بعض العبارات، ثم ينتقل في الفقرة الثانية - وهي مأخوذة أيضًا من كتاب الدكتور تمام حسان - إلى تسويغ وصف الهمزة بأنَّها صوت مهموس، وفي الفقرة الثالثة يورد نصًا من كتاب الدكتور حسان حول هذه المسألة، يصدِّره بقوله: ((ومع ذلك نجد سيبويه وغيره من القدماء، يعدُّ هذا الصوت مجهورًا، وهو...)) أمَّا الفقرة الخامسة فيقول فيها:

(١) ينظر: التطور اللغوي مظاهره...: ١٢، ١٤ - ١٥، ٦٢ - ٦٣، ٧٩، ٨٠ - ١١٣، ١١٤،

وفصول في فقه العربية: ٧٦ - ٧٧، ٨٤ - ٨٥، ٩٥ - ٩٦، والمدخل إلى علم اللغة...: ٦٥.

(٢) ينظر: التطور اللغوي مظاهره...: ٦٧ - ٦٨، ٨٧ - ٨٨، ١١١ - ١١٢، وفصول في فقه

العربية: ٧١، ١٩٠ - ١٩٣، ٣٣٤ - ٣٣٥، والمدخل إلى علم اللغة...: ٣٥، ٥٩ - ٦٠، ٦٤، ٦٧،

١٠٣ - ١٠٤، ١٩٧ - ١٩٩.

(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٥٦ - ٥٨.

(٤) ص: ١٢٥.

((والهمزة عند الدكتور أنيس صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، وهذا الرأي عند الدكتور كمال بشر هو الرأي الراجح، إذ يقول: ((...)) وبعد الانتهاء من إيراد نص الدكتور كمال بشر، يعقب قائلاً: ((وهذا الرأي غريب، لم يرض عنه جمهرة الدارسين للأصوات، يقول الدكتور أيوب: ((...))، وعند هذا تنتهي مناقشة صوت الهمزة من دون أن يتدخل أو يوازن بين هذه الآراء. ثم يدخل في التوزيع اللهجي لظاهرة (الهمز) في عصور الاستشهاد مُوردًا خمسة نصوص لبعض النحويين القدماء بصورة متوالية لم يفصل بينها إلا مرة واحدة، ثم يناقش في فقرة ينهي بها موضوع ظاهرة تحقيق الهمزة أو تسهيلها في بعض اللهجات القديمة. فلم يقتصر الأمر على الاكتفاء بحشد هذه الآراء حول هذا الموضوع، وإنما خرج من الموضوع كلية حين أخذ يورد النصوص القديمة عمّن يحقق الهمزة ومن لا يحققها، ومثل هذا فعل في مناقشته حرف الضاد في الكتاب نفسه(1).

٣. النقل من بعض كتبه إلى بعض كتبه الأخرى:

فضلا عن مناقشة بعض الموضوعات في أكثر من كتاب وإيراد النصوص نفسها ينقل الدكتور رمضان عبد التواب ما يقوله في أحد كتبه إلى كتاب آخر من دون تغيير ومن الشواهد على ذلك ما يأتي:-
نقل في (المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي) بعضًا مما قاله في مقدمة (فقه اللغات السامية) من دون أن يشير إلى ذلك.
وقد نقل ما ورد في كتابه (بحوث ومقالات في اللغة: ص/ ١٦٦-١٧٠) من كتابه الآخر (فصول في فقه العربية: ص/ ٤١٥-٤٢١) وأن أكثر ما في الفصل الثاني من الباب الرابع في كتابه (بحوث ومقالات في اللغة) منقول أيضًا من كتابه (فصول في فقه العربية) كما في (ص/ ١٧٩-١٨٠) مأخوذ من (ص/ ٤١٤-٤١٥)، وما ورد في (ص/ ١٨٣-١٨٧) مأخوذ من (ص/ ٣٦١-٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٩) وأخذ كذلك في

(١) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٦٢ - ٧٤.

(ص/ ١٤٦-١٥٠) كثيرًا من الفقرات فيما بين (ص/ ٢٨٦-٢٨٨) من (فصول في فقه العربية).

وإنه ينسى أن يستعمل علامتي الاقتباس في بعض هذه الحالات، فقد نقل في (ص/ ١٨١) من كتاب (بحوث ومقالات في اللغة) فقرة مطوّلة من (ص/ ٢٩٢) في (فصول في فقه العربية)، ومع أنه وضع هذه الفقرة بين علامتي اقتباس في (فصول في فقه العربية) إذ أشار إلى أنه أخذها من كتاب (من أسرار اللغة) للدكتور إبراهيم أنيس (ص/ ٤٨)، فقد أهمل علامتي الاقتباس هنا. وكذلك الحال في الفقرة التالية لهذه الفقرة في الصفحة نفسها، وفي (ص/ ١٨٢) و(ص/ ١٨٥) في نص مأخوذ من كتاب علي عبد الواحد وافي (علم اللغة: ص/ ٢٣١).

٤- مأخذ منهجية أخرى:

وهناك أيضًا بعض المآخذ المنهجية الأخرى منها:-

أ - يلاحظ إغفال التناسب بين عدد صفحات الفصول في كتابه (المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي)، ففي حين يكون الفصل الأول في القسم الأول من (٩٤) صفحة^(١)، يقصر الفصل السادس من ذلك القسم على خمس صفحات فقط^(٢)، وهذا من عيوب التأليف. فالفصول ينبغي أن تكون متناسبة من حيث حجمها

ب - كذلك نلاحظ أن الدكتور رمضان عبد الثواب يورد عنوانًا في كتابه السابق لفظه (الأصوات الصامتة والمتحركة)^(٣) وينهي الكلام الذي ذكره تحت هذا العنوان من دون أن يأتي على ذكر الأصوات المتحركة، وبدلاً من ذلك يأتي كلام آخر بعنوان (نظرية الفونيم والكتابة)^(٤). وهو كلام لا صلة له بأيّ من الأصوات المتحركة على مستوى الوصف، وبعد أن

(١) ص: ١٣ - ١٠٧.

(٢) ص: ١٦٥ - ١٧٠.

(٣) ص: ٤٢.

(٤) ص: ٨٣ - ٨٩.

ينتهي الكلام تحت هذا العنوان يأتي عنوان آخر بلفظ (أصوات العلة) أي (الحركات)^(١) ولم يبين السبب الذي دعاه إلى هذا العمل.

خُلقه:

إنَّ المرء يقف كثيرًا أمام مناقب هذا العالم المدقق الجليل وسجاياه الإنسانيَّة، فهو راسخ العقيدة، معتدل الإيمان، قوي في الحق، لا يخشى فيه لومة لائم، أنفق حياته منذ نعومة أظفاره مدافعًا عن الإسلام، ومنافعًا عن اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم، ضد أعدائها من الملاحدة والشعوبيين.

تتجلى فيه روح الوسطية، يتحلَّى بنعم ربانية عديدة، فهو صاحب قلب امتلأ حبًا لكل الناس، ولأبنائه من الطلاب والدارسين بوجه خاص، صادق العهد والوعد، كريم معطاء، ينفق على أبنائه وتلامذته بكلِّ سخاء، يفتح لهم أبواب مكتبته العامرة، ويقضي بينهم راضيًا سعيدًا سحابة يومه الأطول، وشطرًا من الليل، يخرس فيهم قيم العلم وفوائده، ويهدي إليهم - بحب لا حدود له - خلاصة فكره وخبرته، ترى على محياه إمارات البشر والسرور والغبطة عندما يجد أبنائه وتلامذته في مناصب رفيعة وأماكن سامية^(٢).

وكلَّ مَنْ تتلمذ على يد الدكتور عبد التواب واقترب من شخصيته يحبه ويحترمه عالمًا وأستاذًا وأبًا فاضلاً، يقول الدكتور أحمد طه أحد تلامذته: ((كذَّا نعدُّ أنفسنا من أبنائه ويعتدنا هو كذلك. كن يصرَّ على أن يضع لنا الطعام بيديه، وكم من مرة كنت أخرج من عملي مباشرة إليه، فإذا وصلت قام ووضع لي الطعام بنفسه ويدعوني إلى تناوله قبل الاطلاع والبحث، وأقوم أنا في شدة الخجل وأقول له: كنت أستطيع أن أضعه لنفسي، فيقول لي: لا عليك أنت مرهق من العمل وأنتم جميعًا أولادي...، ولا أعلم مناسبة لأحد تلامذته من فرح ومثم يُدعى إليها فلا يذهب، بل

(١) ص: ٩١.

(٢) ذكر لي الأستاذ كريم سلمان الحمد - رحمه الله - كثيرًا عن خلقه من خلال زيارته إلى بيت الدكتور رمضان حينما كان طالبًا للماجستير في القاهرة.

كان أحد شاهدي العقد للعديد منّا... ويسمح لنا بنقده - بكل أدب طبعًا - ويأخذ برأينا في بعض الأحيان دون * حرج ((^(١)).

وفاته:

فَقَدَّ أَهْلُ اللُّغَةِ وَاحِدًا مِنْ أَعْلَامِهِمْ بِوَفَاتِهِ فِي يَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ آبِ عَامِ (٢٠٠١م)، بَعْدَ أَنْ بَلَغَ الْحَادِي وَالسَّبْعِينَ مِنْ عَمْرِهِ، وَقَدْ قَضَى حَيَاةً حَافِلَةً بِالْعَطَاءِ الْعِلْمِيِّ، فَكَانَ الْعِلْمَ رَائِدَهُ، وَطَلَبَ الْإِسْتِزَادَةَ مِنْهُ غَايَتَهُ، أَصْطَفَاهُ اللَّهُ لِحِوَارِهِ فِي بِلَدَتِهِ (قَلْيُوب) وَدَفِنَ فِيهَا^(٢) تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ حُلُلَ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ.

● الصواب: من دون.

(١) الكتاب التذكري في عيد ميلاده السبعين: ٢٠ - ٢١.

(٢) حصلت على هذه المعلومات من الاتصال الهاتفي مع الأستاذ (كمال) نجل الدكتور رمضان

عبد التواب، بتاريخ: ١٨/٩/٢٠٠٧م.

المبحث الثاني

آثاره العلمية

ترك الدكتور (رمضان عبد التواب) ثروة علمية كبيرة لنا بعد رحيله من مؤلفات وتحقيقات وترجمة، أغنت المكتبة العربية بقيمتها وأنواعها. لقد خلّف لنا تسعة وخمسين كتابًا مطبوعًا (١). ومائة وثلاثين بحثًا ومقالاً منشورًا في المجالات العلمية العربية. هذا ما استطعت الوصول إليه، والحصول عليه بعد جهد من المتابعة لما خلّفه من آثار علمية مختلفة. وقد أتبعْتُ بغية الحصول على ذلك خمسة أساليب (٢).

إننا نستطيع تقسيم الآثار العلمية للدكتور (عبد التواب) على ثلاثة مباحث:

الأول: التأليف، وهو على قسمين:

أ. الكتب.

ب. البحوث والمقالات.

الثاني: التحقيق، وهو معنيٌّ بالكتب.

الثالث: الترجمة.

إن كثرة الآثار العلمية للدكتور (رمضان عبد التواب) وتنوعها بين تأليف، وتحقيق، وترجمة تدعو الباحث إلى أن يعطيها حقّها من الدراسة، وحقّ مؤلّفها.

(١) سبعة عشر كتابًا في مجال التأليف، وخمسة وثلاثون كتابًا في مجال التحقيق خمسة منها بالاشتراك مع غيره، وسبعة كتب في مجال الترجمة.

(٢) الأول: نسخ بعض مؤلفاته وتحقيقاته المودعة في المكتبات العامة.
الثاني: اقتناء بعضها من الأسواق المحلية. وكذلك تم إهداء مجموعة من مؤلفاته لي من أولاد الدكتور رمضان عبد التواب.

الثالث: إفادة الباحث من الشبكة من الشبكة العالمية للمعلومات.
الرابع: الإفادة من عدد من الأساتذة الأفاضل في الجامعات العراقية بتوفير بعض المصادر التي أعانتي عملي كثيرًا.

الخامس: مراسلة جامعة عين شمس، وكذلك أولاد الدكتور رمضان عبد التواب، والاتصال بهم.

ولكن لكثرة هذه الآثار ومقتضى المقام سنتناولها بوصف عام وبدرج المباحث الثلاثة التي ذكرناها آنفاً.

أولاً: التأليف:

وهو على قسمين: أولاً: الكتب ، ثانياً: البحوث والمقالات.

القسم الأول: وهو الكتب:-

ويضم سبعة عشر كتاباً، وهي مملوكة على الترتيب الزمني لتأليفها على نحو ما هو موضح فيما يأتي:-

أولاً: التذكير والتأنيث في اللغة - مع تحقيق رسالة أبي موسى الحامض في المذكر والمؤنث:

طُبِعَ هذا الكتاب طبعته الأولى في القاهرة سنة (١٩٦٧م). ويقع في (٣٣) صفحة، إذ بدأه بدراسة التذكير والتأنيث في اللغة دراسة مقارنة مع اللغات السامية (١). بعد ذلك تكلم على حياة أبي موسى الحامض ذاكراً أسمه، وسبب تلقيه بالحامض، ومذهبه النحوي (٢).

ثم ذكر أشهر من تلقى العلم على يد أبي موسى الحامض (٣). وذكر وفاته (٤)، ثم أورد قائمة بأسماء كتبه مشيراً إلى أماكن ورودها في كتب التراجم (٥). بعد ذلك تكلم على كتاب (ما يذكر ويؤنث من الإنسان واللابس) لأبي موسى الحامض مورداً أسماء العديد من العلماء الذين ألفوا في هذا الموضوع (٦). أمّا سائر الكتاب فكان تحقيقاً لرسالة الحامض في التذكير والتأنيث.

وعول المؤلف في دراسته وتحقيقه على خمسين مصدراً ومرجعاً متنوعاً ذكرها في آخر الكتاب.

(١) ص: ١-٧.

(٢) ص: ٨-١٠.

(٣) ص: ١٠-١١.

(٤) ص: ١٢-١٣.

(٥) ص: ١٣-١٤.

(٦) ص: ١٥-١٦.

ثانيًا: لحن العامة والتطور اللغوي:-

صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة (١٩٦٧م)، وهو دراسة ما بقي لنا من تراث لحن العامة في ضوء قوانين التطور اللغوي الحديث .
يقع المؤلف في (٤٢٦) صفحة، وينقسم على بابين: الباب الأول بعنوان (اللحن والتطور)، احتوى عددًا من المباحث منها:- معنى اللحن^(١)، والعلاقة بين اللحن بمعنى الخطأ والتطور اللغوي^(٢)، وقوانين التطور اللغوي^(٣)، وأصحاب المعاجم العربية وظاهرة التطور^(٤)، وأهداف من ألف في لحن العامة^(٥)، وأهمية لحن العامة في موضوع التطور اللغوي^(٦).
أما الباب الثاني فكلن بعنوان (تراث لحن العامة)، درس فيه (٥٢) مؤلفًا من تراث لحن العامة^(٧).
وعول المؤلف على (١٤٥) مصدرًا ومرجعًا في دراسته هذه ذكرها في آخر الكتاب.

ثالثًا: فصول في فقه العربية:-

صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة (١٩٧٣م) في القاهرة، ثم صدر عن طريق التصوير (بالأوفسيت) من مكتبة دار التراث مرة في سنة (١٩٧٧م)، كما أصدرته مكتبة الختجي مرة أخرى في سنة (١٩٧٩م)، ثم طبع في القاهرة سنة (١٩٨٠م - ١٩٨٢م) طبعة ثانية، زاد فيها فصلاً جديدًا بعنوان (مشكلة تعليم العربية)^(١) وصدرت طبعته الثالثة في القاهرة سنة (١٩٨٧م) وقد اعتمدت عليها في دراستي هذه.

(١) ص: ٢٩-٩.

(٢) ص: ٣٣-٢٠.

(٣) ص: ٥٩-٣٤.

(٤) ص: ٦٣-٦٠.

(٥) ص: ٦٤.

(٦) ص: ٦٥.

(٧) ص: ٣٧١-٩٥.

(١) ينظر: فصول في فقه العربية: ٣.

يقع هذا المؤلف في (٤٥٦) صفحة. وهو دراسة لأهم قضايا العربية ومشكلاتها في أوليتها وارتباطها بالفصيلة السامية (الجزرية)^(٦)، وعرض للغات هذه الفصيلة والاكتشافات الأثرية التي تمت فيها، وموطن الساميين الأصلي^(٧)، وعلم اللغويين العرب القدامى بالساميات^(٨)، وخصائص اللغات السامية وأهميتها في الدراسات اللغوية العربية^(٩). ويتناول هذا الكتاب علاقة الفصحى باللهجات العربية القديمة^(١٠)، وتفسير ألقاب تلك اللهجات في ضوء علم اللغة الحديث^(١١). وفي العلاقة بين الشعر والنثر يثير الدكتور رمضان عبد التّواب قضية الضرورة الشعرية والخطأ في اللغة^(١٢)، وأثر الوزن الشعري في أبنية العربية^(١٣).

ويوضح أيضًا في هذا الكتاب مدى الأثر اللغوي للعربية وتأريخ المعجم العربي^(١٤)، وأثر الاشتقاق والنحت والتعريب في نمو اللغة^(١٥)، وقضايا الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد في سياق دلالة الألفاظ^(١٦). ويتحدث كذلك عن الإعراب ونظام الجملة ويردّ على المتشككين في أصالة إعراب الفصحى^(١٧). ويعرض أيضًا لمشكلات الخط العربي ومعالجتها^(١٨)؛ إذ تناول أثر الخط العربي، في نظرية اللغويين العرب القدامى إلى أصوات العلة العربية^(١٩).

(٢) المصدر نفسه: ٣٧-٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ٤٢-٣٨.

(٤) ص: ٤٥-٤٢.

(٥) ص: ٤٩-٤٥.

(٦) ص: ٦٩ - ٧٥.

(٧) ص: ١١٦-١٥٤.

(٨) ص: ١٦٣-١٩٢.

(٩) ص: ١٩٣-٢٢٦.

(١٠) ص: ٢٢٧-٢٨٩.

(١١) ص: ٢٩٠-٣٠٧.

(١٢) ص: ٣٠٨-٣٣٥.

(١٣) ص: ٣٦٩-٣٩٥.

(٢) إنَّ السبب الذي جعله يتناول موضوع الخط العربي ومشكلاته، في إطار موضوعات فقه اللغة، مع أنَّ اللغة التي تكون موضوع هذا العلم، إنما هي اللغة المنطوقة، وليست المكتوبة؛ هو ((أنَّ اللغويين العرب القدامى، قد تأثروا في بعض الأحيان بالصورة المكتوبة، وغفلوا عن

ومما يميّز به هذا الكتاب كثرة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه، فبلغت (٣١٧) مصدرًا ومرجعًا متنوعًا من المصادر والمراجع العربية، و(٢٦) مصدرًا من المصادر الأجنبية ذكرها في آخر الكتاب.

رابعًا: اللغة العبرية، قواعد ومقارنات باللغات السامية:-
 طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة (١٩٧٧م)^(٤).

النطق، فوقعوا لذلك في أوهام كثيرة في قواعدهم وقوانينهم وأحكامهم اللغوية)). فصول في فقه العربية: ٣٩٦.

(٣) ص: ٤١٢-٣٩٦.

(٤) بذلت جهدًا في الحصول عليه إلا أنني لم أوفق في ذلك، وقد أشار رمضان عبد التّواب إليه في كتابه فصول في فقه العربية: ٤٧ (الحاشية).

خامسًا: نصوص من اللغات السامية، مع الشرح والتحليل والمقارنات:-

طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة (١٩٧٩م)^(١).

سادسًا: في قواعد الساميات، العبرية والسريانية والحبشية، مع النصوص والمقارنات:-

طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة (١٩٨١م)^(٢).

سابعًا: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه:-

نشرت هذا الكتاب سنة (١٩٨١م) مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض. يقع هذا المؤلف في (١٤٣) صفحة. وأصل هذا البحث مقالة نشرها الدكتور رمضان عبد التواب في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض في العدد الخامس عام (١٩٧٥م). وعن سبب تأليفه قال الدكتور رمضان عبد التواب: ((دفعني إلى كتابة هذا البحث، ما أؤمن به من أن اللغات لا تسير في حياتها على نحو من الصدفة المطلقة، ولا تخبط في تنقلها على ألسنة الناس خبط عشواء، بل يحكمها في هذا وذاك قوانين، تكاد ترقى إلى مكانة القوانين الطبيعية، ثباتًا وقوة، ولا يعني جهلنا بهذه القوانين في بعض الأحيان أنها غير موجودة، ومهمة العلم هو البحث عن هذه القوانين، يكتشفها ولا يخترعها، يميظ اللثام عنها ولا يتحكم فيها))^(٣).

أما عن منهجه في هذا الكتاب فكما يقول: ((إننا نعالج هذه القضايا هنا من الناحية الوصفية التاريخية وهناك فرق كبير في مناهج اللغة بين الوصفية والمعيارية))^(٤).

(١) أشار إليه الدكتور رمضان عبد التواب عند حديثه عن أصالة الإعراب في اللغات السامية القديمة في كتابه فصول في فقه العربية: ٣٨٥ (الحاشية). وقد أجهدت نفسي في الحصول عليه بيد أنني لم أوفق لذلك.

(٢) ذكره الناشر لكتاب التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه في قائمة لمؤلفات عبد التواب: ١٤٢.

(٣) مقدمة الكتاب.

(٤) التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه: ٩.

لقد اختار هذا المنهج؛ لأن دراسة الأغة من قديمها إلى حديثها تحتاج إلى وصف كامل لكل ما ظهر فيها من تطور لغوي، بعد ذلك تحتاج إلى تتبع تاريخي لكل هذا التطور خلال تاريخ اللغة الممتد من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، فكان لابد من الدراسة الوصفية التاريخية، ولم يكن هدفه الدعوة إلى الصواب في استخدام اللغة، ولا تصويب أخطاء الناس ولهذا لا يصلح المنهج المعياري في هذا العمل.

أما التطور عنده فيعني بعبارة ((إن استخدام اللغويين المحدثين لكلمة (التطور) لا يعني تقييم^(٥) هذا التطور، والحكم عليه بالحسن أو بالقبح، فإنه لا يعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة: التغيير))^(١).

أما طريقته في العرض والتحليل فقد استخدم المنهجين الوصفي والتاريخي في عرضه للظواهر اللغوية وتحليلها، فيبدأ بتحليل الظاهرة والمصطلح الخاص بها ثم يذكر أمثلة من العربية وأحواتها من الجزريات (الساميات)، فهو يغوص معك في تحليله للظاهرة إلى جذورها حتى يصل إلى أعماق هذه الظاهرة في أحقاب سحيقة من تاريخ العربية والساميات مقارناً إياها بغيرها من اللغات، ومعه فيض لا ينتهي من الأمثلة من كل تلك اللغات، مستشهداً بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي قديمه وحديثه، وذاكراً ملاحظات علماء العربية في كتبهم وأسفارهم ومعاجمهم المختلفة حتى يتأكد لك أنّ هذا الرجل جمع من اللغة كل شاردة وواردة في كتابه.

وتعرض لمستويات التحليل اللغوي المختلفة من أصوات وأبنية وتراكيب ودلالة^(٢)، والقوانين اللغوية التي تحكم التطور في كل جانب من هذه الجوانب^(٣)،

(٥) الصواب: تقويم.

(١) التطور اللغوي مظاهره...: ٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٣-٤٦.

(٣) وهي: القوانين الصوتية، وقانون السهولة والتيسير، وأثر النظام المقطعي، والقياس، والحدقة أو المبالغة في التفصح، والعادات اللغوية للشعوب، وانتقال الذب، وقانون الأصوات الحنكية، وبلبلى الألفاظ، والفصل الخاطي، والاشتقاق الشعبي، وأخطاء السمع، والتطور الدلالي، وتجديد الألفاظ، والإعراب وترتيب أجزاء الجملة.

واللهجات العربية في بيناتها المختلفة، وقد وضع كثيرًا من المصطلحات التي سُجلت باسمه في المجامع اللغوية لأنه الواضع الأول لها.

وأعطانا الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه هذا فكرةً جيّدة عن حركة التطور اللغوي على مستويات اللغة المختلفة، فقد ذكر أنّ الظاهرة اللغوية تبدأ جديدة وغريبة على المجتمع اللغوي، ثم يحدث الصراع بين أنصار الشكل القديم، وأنصار الشكل الجديد وبعد مدة يصبح قديمًا ما كان بالأمس جديدًا، فيتصارع مع جديد آخر، وتضمحل لغة العصر الأسبق أو تندثر، بيّد أنّ كلّ جديد لا يظهر فجأة، ولا يقضي على القديم بين يوم وليلة، بل يظلّ الصراع بينهما مدة قد تطول أو تقصر، غير أنّ الانتصار يكون في النهاية للشكل الجديد، تلك سنّة اللغات، وتأريخها كلها يشهد بهذا، ولا نعرف لغةً على ظهر المعمورة جمدت على شكل واحد مئات السنين^(١).

واعتمد المؤلف في كتابه هذا على (١٣٧) مصدرًا ومرجعًا عربيًا، وسبعة مصادر أجنبية ذكرها في آخر الكتاب.

ثامنًا: بحوث ومقالات في اللغة:-

صدر هذا الكتاب بطبعته الأولى عام (١٩٨٢م)، والثانية عام (١٩٨٨م) وطُبِعَ في مكتبة الخاجي بالقاهرة، ويقع هذا المؤلف في (٢٨٨) صفحة، اعتمد في تأليفه على (٢٦٠) مصدرًا ومرجعًا عربيًا، و (١٨) مصدرًا أجنبيًا.

إنّ مادّة هذا الكتاب هي بحوث ومقالات لغوية كان قد نشرها الدكتور رمضان عبد التواب في شتى المجلات العلمية في مصر والعالم العربي وبعض مجلات الغرب، وبعضها بحوث ألقاها في بعض الندوات والمؤتمرات العلمية، بعد أن أجرى فيها بعض التعديل والتنقيح والتهذيب والصقل والحذف والإضافة^(٢).

(١) ينظر: التطور اللغوي... : ٧ - ٨.

(٢) من هذه البحوث: (أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيوبه)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد ٢/٤٩ (١٩٧٤): ٦١، و(كراهة توالي الأمثال في العربية)، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد ١٧ (١٩٦٩)، و(نظرية المكافأة الصوتية ومناسبة اللفظ للمعنى)، مجلة (قافلة الزيت) السعودية، العدد (١٩٧٧)، و(من امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات

ومعظم ما فيه من أبواب وفصول، جديد في بابه وإبداع من الإبداعات التي تحسب للمؤلف في ميدان الدرس اللغوي؛ فقد ظلَّ الناسُ زمانًا طويلًا يكررون في بحوثهم مقولة أسطورية تدَّعي أنَّ الشعر غير المنسوب في كتاب سيبويه خمسون بيتًا؛ فإذا به يكشف أنَّ غير المنسوب من الشعر في كتاب سيبويه أضعاف هذا العدد المزعوم^(١).

ووضع المؤلف أسسًا علمية لتفسير الشواذ في لغة العرب، وأصبحت نظرياته في (الركام اللغوي) و(الإرهاص اللغوي) و(الاقتراض اللغوي) في تفسير هذا الشذوذ، موضع إعجاب العلماء^(٢).

كل هذا وغيره استغرق من المؤلف جهدًا أربى على ربع قرن من التتبع والاستقصاء، واستحقَّ هذا الكتاب أن يفوز بجائزة آل البصير العالمية السعودية في الدراسات اللغوية لعام (١٩٨٣م)، بترشيح الهيئات العلمية المختلفة من المجمع اللغوية والجامعات المصرية والعالمية.

تاسعًا: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي:-

صدر هذا الكتاب بطبعته الأولى سنة (١٩٨٢م)، والثانية سنة (١٩٨٥م)، والثالثة سنة (١٩٩٧م) وهي التي اعتمدنا عليها هنا، يقع في (٣٢٠) صفحة بقسمين: الأول: (المدخل إلى علم اللغة)^(٣)، و الثاني: (مناهج البحث اللغوي وتطبيقات المنهج المقارن)^(٤).

المعاصرة)، مقالة كتبها في مجلة المجمع العلمي العراقي، ١/٣٥٢ (١٩٨٤م)، ص: ١٧٣ - ١٩٢.

(١) من: ٨٩ - ١٤٠.

(٢) من: ٥٧ - ٨٥.

(٣) من: ٥ - ١٧٧.

(٤) من: ١٨٢ - ٣٠٧.

ذكر في القسم الأول الكثير من القضايا التي لا تخص لغة معينة، كدراسة الصوتية للغة، واختلاف الأصوات والعوامل المؤثرة فيها، والعائلات الصوتية وتنوعاتها في هذه اللغة أو تلك^(١).

و ناقش المذاهب المتعددة في نشأة اللغة الإنسانية^(٢)، وعلاقة اللغة بالمجتمع البشري الذي نعيش فيه^(٣)، والنفس الإنسانية وأثر الانفعالات والعواطف المختلفة في تعدد الأنماط اللغوية، واحتكاك اللغات، وهو يشير إلى علاقة علم اللغة بالعلوم الأخرى، ومدى إفادته من معطياتها المتجددة على مر الزمن.

وقد درس في القسم الثاني مناهج البحث اللغوي عند علماء اللغة: (المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن) وبيّن الفروق بينها، وتاريخ كل منهج منها، وأهم أنصاره من العلماء^(٤)، وقد عني بعد ذلك بالدراسة التطبيقية للمنهج المقارن في مجال الأصوات والبنية والتركيب، وضرب لها الأمثلة المختلفة من اللغات السامية (الجزرية)، ليستبين للدارسين مدى الفائدة التي تجنيها الدراسات العربية من البحث اللغوي المقارن^(٥).

أما مصادر الكتاب فقد بلغت (١٤٤) مصدرًا ومرجعًا عربيًا، و(٣٠) مصدرًا أجنبيًا.

عاشراً: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين:-

صدر هذا الكتاب بطبعته الأولى سنة (١٩٨٦م)، نشرته مكتبة الخانجي في القاهرة. يقع هذا المؤلف في (٤٣٦) صفحة حول فيه مؤلفه ربط جهود المحدثين بجهود القدامى من علماء العربية في فن التحقيق ردًا على ما استقر في أذهان بعض

(١) من: ١٣ - ١٠٣.

(٢) من: ١٨ - ٣٤.

(٣) من: ١٢٥ - ١٧١.

(٤) من: ١٨١ - ٢١١.

(٥) من: ٢١٣ - ٢٩٩.

الدارسين العرب من أنّ هذا الفن وافدٌ علينا من الغرب^(١). وهو أول من نهج هذا النهج من الدارسين في حدود علمي.

أما موضوعات الكتاب فمقسّمة على تمهيد وثلاثة أبواب: ففي التمهيد: عرّف مصطلحي (التحقيق) و(التراث)، وقال بخطورة الوثوق في النصوص المنشورة من غير تحقيق^(٢). والباب الأول: بيّن فيه المؤلف جهود القدامى نظرياً وعملياً في تحقيق النصوص^(٣). والباب الثاني: بيّن فيه منهج المحدثين في التحقيق، وأشار إلى أنّ معرفة هذا المنهج يجب أن يعرفها الباحثون والناشرون على حدّ سواء، وذكر مقومات المنهج وأبرز معالمه^(٤). أمّا الباب الثالث: فجعله للمقالات^(٥) التي نشرها في نقد بعض ما ظهر من النصوص خلال ربع القرن الماضي، أو أعدّها وحالت ظروف من دون نشرها، وهي في مجملها تلخيص لمعظم قواعد تحقيق النصوص التي تضمّنها الكتاب في فصوله المتعدّدة.

ومما يمتاز به الكتاب هو كثرة مصادره، فقد اعتمد المؤلف على (٣٣٣) مصدرًا ومرجعًا عربيًا متنوعًا، وخمسة مصادر أجنبية.

حادي عشر: في أصول اللغة:-

(١) ينظر: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: ٣.

(٢) من: ٥-١٠.

(٣) من: ٢٨-٤٤.

(٤) من: ٥٧-٢١٩.

(٥) وهي على الترتيب الزمني: ١- المزهر في اللغة للسيوطي، كتبها سنة ١٩٦٠م ولم تنشر لأن الكاتب كان مغمورًا آنذاك على حدّ قوله، ينظر مناهج تحقيق التراث...: ٢٢٢ الحاشية ٢٠- حول لحن العوام، لأبي بكر الزبيدي، نشر في مجلة المجلة، العدد/١٠٠ (١٩٦٥م) ٣٠- رسائل في اللغة: مجلة الأعلام العراقية ج/٨ (١٩٦٦م): ١٥٥-١٦٥. ٤٠- نور القيس المختصر من المقتبس للمرزباني، نشر في مجلة المجلة العدد/١٢١ كانون الثاني (١٩٦٧) ٥٠- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: نشرت في مجلة الأعلام العراقية، ج/٢ (١٩٦٩م) ٦٠- رسائل في النحو واللغة: نشرت في مجلة الأعلام العراقية ج/١٠ (١٩٧١م). ٠- شعر عمرو بن أحمد الباهلي: نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: م/٤، ج/٢ (١٩٧٢) ٠- ما يجوز للشاعر في الضرورة للقرّاز القيرواني: نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ج/٤٤ (١٩٧٩).



طبع هذا الكتاب بالقاهرة سنة (١٩٩٠م)^(١).

ثاني عشر: محاضرات في علم الصرف:

محاضرات مخطوطة، بخط الدكتور رمضان عبد التواب، كتبها بالقاهرة سنة (١٩٩٢م)^(٢). وتقع هذه المحاضرات في (١٦٠) صفحة، ضمت أبواب الصرف المعروفة في الكتب الصرفية، مراعيًا في تأليفها دقة العرض، وسهولة التناول، والابتعاد عن الخلافات الصرفية التي لا تفيد، ورجع في شئ غير قليل من أمثلتها إلى معين العربية الصافي، وكتابها الخالد (القرآن الكريم).

ثالث عشر: دراسات وتعليقات في اللغة:-

صدر هذا الكتاب بطبعته الأولى سنة (١٩٩٤م)، إذ نشرته مكتبة الختجي بالقاهرة. يقع المؤلف في (٢٩٥) صفحة، ويضم مجموعة من البحوث اللغوية، التي نشرها المؤلف في المجلات العلمية، أو الدوريات المصرية والعربية، ويضم مجموعة الدراسات التي شارك فيها المؤلف في الندوات والمؤتمرات التي عقدت بمصر وعواصم العالم العربي والأوربي^(٣).

وهو يحتوي على ثمانية أبواب تحوي ستة عشر فصلاً^(٤)؛ فالباب الأول في المعجم العربي^(٥)، ويعرض فيه المؤلف لمعجم العربية الفصحى الذي يصدر في ألمانيا، ويتناول بالدراسة معاجم المصطلحات العربية. والباب الثاني^(٦) يعرض كتاب

(١) لم أوفق للحصول على هذا الكتاب، وأشار إليه الدكتور عبد التواب في كتابه (دراسات وتعليقات في اللغة): ٩٢، وأورده أيضًا في قائمة المصادر في الكتاب نفسه: ت ١١٣.

(٢) حصلت عليه من أبناء الدكتور رمضان (كمال، وعمرو، وإيمان) سنة ٢٠٠٦م بواسطة إحدى زميلاتي في الدراسة.

(٣) في اسطنبول -١، ومدريد -١، والقاهرة -١، وفاس -١، والإسكندرية -١، أما المجلات فقد نشرت له مجلة (مذير الإسلام) أربعة بحوث، ومجلة (الفكر العربي) بحثين، ومجلة (عالم الكتاب) واحدًا، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة واحدًا، ومجلة حوليات كلية دار العلوم واحدًا، تنظر: مقدمة الكتاب.

(٤) كل باب يحوي فصلين.

(٥) من: ١١ - ٥٠.

(٦) من: ٥١ - ٧٠.

(الصاحبي في فقه اللغة) لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، وكتاب (فقه اللغة وسر العربية) للشعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، وذلك في إطار التعريف والنقد لتراث فقه اللغة العربية. أما اللهجات العربية فهي موضوع الباب الثالث^(٢)، ودرّس فيه المؤلف بعض الخصائص اللغوية لهجة طيّئ القديمة، وعرض للهجة العامية المصرية في القرن الحادي عشر الهجري.

والباب الرابع^(٣) خاص بالعلاقات اللغوية بين التركية والعامية المصرية، وكذلك العلاقات بين العربية الفصحى والعامية السودانية.

والباب الخامس^(٤) عبارة عن محاولة جديدة للمؤلف، كشف فيها عن الفكر اللغوي عند الأدباء. وقد تناول فيه المؤلف: طه حسين في مجمع الخالدين، والدرس اللغوي عند العقاد.

أما الباب السادس^(٥) فتناول بعض قضايا الدرس اللغوي الحديث، كالتراث العربي وموقعه من مناهج المحدثين في الدرس اللغوي، وكذلك فكرة الثبات اللغوي والإبداع الأدبي.

والمؤلف وهو يحمل على عاتقه هموم العربية الفصحى، نراه قد عقّد الباب السابع^(٦) لتعليم هذه العربية، ورأى أنّ التعليم الابتدائي هو حجر الأساس في العملية التعليمية، ويبرز أهمية الوسائل السمعية في تحسين الأداء اللغوي.

وجعل الباب الثامن^(٧) لنقد كتابين في اللغة، هما: (سيبويه جامع النحو العربي)^(٨) و (العُمد في التصريف)^(٩).

(٢) من: ٧١ - ١٠٤.

(٣) من: ١٠٥ - ١٢٨.

(٤) من: ١٢٩ - ١٧٨.

(٥) من: ١٧٩ - ٢٢٠.

(٦) من: ١٢١ - ٢٤٢.

(٧) من: ٢٤٣ - ٢٨٢.

(٨) أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب، في عام ١٩٨٦ م للدكتور فوزي عبد العزيز مسعود، ويقع في (١٥٦) صفحة من القطع المتوسط.

(٩) لعبد القاهر الجرجاني بتحقيق الدكتور البدر اوي زهران.

قد اعتمد المؤلف في تأليفه لهذا الكتاب على (١٦٨) مصدرًا ومرجعًا عربيًا متنوعًا وسبعة مصادر أجنبية.

رابع عشر: مشكلة الهمزة العربية:-

ألف كتابه هذا في ٢١ / ٢ / ١٩٩٢^(١)، ونُشرَ بطبعته الأولى بالقاهرة سنة (١٩٩٦م).

يقع هذا المؤلف في (١٨٤) صفحة، حول فيه المؤلف الوصول إلى حلول علمية لكثير من القضايا التي كانت غامضة في موضوع الهمزة العربية. وقد كشف هذا الكتاب اللثام عن أنواع كثيرة من نطق الهمزة القديمة في الجزيرة العربية وصل إلى سبعة أنواع لا تجدها مجتمعة في غير هذا الكتاب. وقد كان الإطار العام لهذا الكشف هو البحث في تأريخ الخط العربي وأصوله التي اشتق منها، وتطور الكتابة بهذا الخط خلال العصور^(٢).

وفي هذا الكتاب كذلك محاولات لتيسير تعليم الهمزة للنشء^(٣). وقد عرض المؤلف هذا التيسير على مجمع اللغة العربية بالقاهرة فناقشه الأعضاء وأقرّوه، وأقرّته من قبل شعبة اللغة العربية في المجالس القومية المتخصصة. وكان رئيس الشعبة آنذاك هو المرحوم الدكتور عبد العزيز القوسي.

وقد وضع المؤلف تيسيره هذا في موقعه بين ما شاع عند القدامى والمحدثين من قواعد كتابة الهمزة فظهر مقدار الجهد الذي بذله في تخليص قواعد الهمزة من كثرة التفريعات والتقسيمات عند الآخرين.

والفصل الثالث من هذا الكتاب جديد تمامًا في محاولة المؤلف أن يكشف عن السر في كتابة بعض الكلمات بالهمز، وهي في الأصل غير مهموزة^(٤). وبهذا

(٤) ينظر: ص ٧.

(٥) ينظر: ١١ - ٥٠.

(٦) ص: ١١٧-١٦٦.

(١) ص: ١١٧-١٦٦.

الكشف انتفى البحث الصعب عن مسوّغ صوتي لانقلاب الواو والياء همزة في بعض أمثلة العربية، وحلّ محله قانون القياس الخاطي والحذقة .
وقد اعتمد المؤلف في تأليفه لهذا الكتاب على (١٨٨) مصدرًا ومرجعًا عربيًا متنوعًا، وأربعة مصادر أجنبية.

خامس عشر: العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق:-

طبع هذا الكتاب بالقاهرة سنة (١٩٩٨م) (١).

سادس عشر: تحفة الأحباب في النحو والصرف والإعراب:-

طُبِعَ هذا الكتاب في دار الفردوس للطباعة، منشية السد العالي بمصر، سنة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، وهو كتاب منهجي تضمن محاضرات في أبواب النحو المعروفة، من صنعة الدكتور رمضان عبد التواب بالاشتراك مع الدكتور رجب عثمان.

تقع هذه المحاضرات في (٢٩٩) صفحة، راعى مؤلفها في تأليفها، أن توفي بالغرض بوضوح العبارة، ودقة العرض، وسهولة التناول، والابتعاد عن الجدل النحوي، الذي لا يفيد، ورجّعا في شيء غير قليل من أمثلتها إلى معين العربية الصافي، وكتبتها الخالد، وهو القرآن الكريم، ((حتى يقترب الطالب من مذبح دينه، وعماد شريعته، وليتضح له الغرض الأساسي من دراسة قواعد العربية، وهو الاستعانة بها على فهم آيات الله البينات، وليستقيم بها لسانه فيرتلها بلا لحن أو تحريف)) (١).

(٢) دُكِرَ في الكتاب التذكاري في عيد ميلاده السبعين: ٦٥.

(٣) ص: ٣ .

سابع عشر: التطور اللغوي في عربية القرون الأولى:-

هذا الكتاب ذكر في قائمة لكتب الدكتور رمضان عبد التواب في آخر كتاب (التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه)^(١)، وقال: إنه تحت الطبع. القسم الثاني: البحوث والمقالات:-

وعدها (١٣٠) بحثاً، توزعت على المجالات العلمية في الشرق والغرب، وقد ذكر قسمًا منها في حواشي الكتب المطبوعة؛ لذا لا يمكن إحصاؤها بيسر وسهولة. وها أنذا أسرد ما حصلت عليه مما نشر في تلك المجالات، بحسب ترتيبها الزمني^(٢):-

١. حول أوائل بعض سور القرآن الكريم: حوليات آداب عين شمس (١٩٦٣م). ويقع البحث في تسعة عشرة صفحة^(٣).
٢. حول لحن العوام، لأبي بكر الزبيدي: مجلة المجلة بالقاهرة (١٩٦٥م).
٣. قضية الإعراب بين أيدي الدارسين:- مجلة (المجلة) بالقاهرة (١٩٦٦م)^(٤).
٤. رسائل في اللغة، نقد وتعريف:- مجلة الأقلام العراقية (١٩٦٦م).
٥. السليقة اللغوية والضرائر الشعرية: مجلة الأقلام العراقية (١٩٦٦م)^(٥). ص ٣، ٣٤ / ص: ٨٠ - ٩٤.
٦. نور القبس المختصر من المقتبس، للمرزباني: مجلة (المجلة) بالقاهرة (١٩٦٧م).
٧. التعبير عن الجنس في اللغة: مجلة الأقلام العراقية (١٩٦٧م).
٨. القرآن الكريم محور الدراسات العربية: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة العدد السابع - السنة / ٢٥، ص / ٢١٩ - ٢٢١.
٩. في التاريخ القديم في مشكلة فلسطين: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٦٧م).

(١) ص: ١٤٢.

(٢) ينظر: الكتاب التذكري في عيد ميلاده السبعين: ٦٧-٧٦.

(٣) ينظر: الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري: ٣٢١.

(٤) المصدر نفسه: ٣٦٥.

(٥) المصدر نفسه: ٢٦٦.

١٠. أوابد العرب في الجاهلية وموقف الإسلام منها: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٦٧م).
١١. الاقراءات القرآنية وحديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف): مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٦٧م).
١٢. نظام المقاطع الصوتية وأثره في أبنية اللغة: مجلة الأعلام العراقية (١٩٦٧م) (١).
١٣. الخط العربي وأثره في نظرة اللغويين الأقدمي إلى أصوات العلة: مجلة (المجلة) بالقاهرة (١٩٦٨م) (٢)، ع / ١٣٩ تموز ١٩٦٨م، ص ٥٦ - ٦٢.
١٤. كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي، نقد وتعريف: مجلة الأعلام العراقية (١٩٦٨م) (٣) ص ٥ / ٢٤ / ص: ١٢٧ - ١٥١.
١٥. ترجمة القرآن الكريم بين المعارضة والتأييد: مجلة الرسالة الإسلامية بالعراق (١٩٦٩م) (٤).
١٦. من خرافات التلمود (١ - ٢): مجلة منبر الإسلام بالقاهرة العدد العاشر، السنة / ٢٧، (١٩٦٩م)، ص ٤٩ - ٥١.
١٧. كراهة توالي الأمثال في أبنية العربية: مجلة المجمع العلمي العراقي (١٩٦٩م).
١٨. أصلاح المنطق لابن المنكيت: مجلة (تراث الإنسائية) بالقاهرة، م ٨، ١٤، (١٩٧٠م)، ص ١ - ١٨.
١٩. جيمية (هميان بن قحافة السعدي)، جمع وتحقيق: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٧١م).
٢٠. مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء: يقع هذا البحث في خمس عشرة صفحة. ذكر فيه (٣٠) مؤلفاً من مؤلفات اللغويين العرب في موضوع الضاد والظاء ودل على المطبوع والمخطوط منها (٥).

(١) المصدر نفسه: ٣٦٥.

(٢) الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري: ١٣٢.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢٦٦.

(٥) مجلة المجمع العلمي العراقي: م / ٢١ (١٩٧١م).

- ٢١ . رسائل في النحو واللغة، لابن فارس والرماني: مجلة الأعلام العراقية، ع / ١٥، (١٩٧١م)، ص: ١٠٥ - ١١٠.
- ٢٢ . المستشرقون والقرآن الكريم: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٧١م).
- ٢٣ . اليهود عدو الإسلام الأول: مجلة منبر الإسلام بالقاهرة (١٩٧١م).
- ٢٤ . شعر (عمرو بن أحمد الباهلي)، نقد وتعريف: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٧٢م).
- ٢٥ . لامية (منظور بن مرثد الأسدي) جمع وتحقيق: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٧٢م). ج ٢٩، ص: ٢٠٨ - ٢٢٩.
- ٢٦ . في أصول البحث العلمي وتحقيق النصوص: مجلة (المورد) العراقية (١٩٧٢م).
- ٢٧ . صيغة (افعال) في العربية، وأثر الوزن الشعري في أبنية العربية: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج / ٤٨ (١٩٧٣م)، ص: ٥٦٢ - ٦٩٥.
- ٢٨ . أبنية الفعل في اللغات السامية: مجلة (كلية اللغة العربية) بالرياض العدد الرابع، (١٩٧٤م) من ص: ٥٥ - ٦٨.
- ٢٩ . أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٧٤م).
- ٣٠ . التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس: مجلة (الموسم الثقافي لجامعة الرياض) لسنة (١٩٧٤م).
- ٣١ . التطور اللغوي وقوانينه: مجلة (كلية اللغة العربية) بالرياض، ع / ٥ لسنة (١٩٧٥م) من، ص: ١٠١ - ١٩٣.
- ٣٢ . التغيرات التاريخية والتركيبية للأصوات اللغوية: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٧٥م). مج / ٥٠، ص: ١٤٣ - ١٧٢.
- ٣٣ . التطور اللغوي وقانون السهولة والتهيؤ: مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد/ ٣٦ لسنة (١٩٧٥م).

- ٣٤ . الجغرافية اللغوية وأطلس برجشتراسر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٧٦م). ج ٣٧، ص: ١١٩-١٢٤ . ١٩٧٦م.
- ٣٥ . تحقيق التراث، أساليبه وأهدافه: مجلة (قافلة الزيت) بالرياض (١٩٧٧م).
- ٣٦ . نظرية (المحاكاة الصوتية) ومناسبة اللفظ للمعنى: مجلة (قافلة الزيت) بالرياض (١٩٧٧م).
- ٣٧ . الركام اللغوي للظواهر المنتشرة في اللغة: مجلة (المجلة العربية) بالرياض (١٩٧٧م).
- ٣٨ . العربية بين المدرس ومنهج التدريس: ضمن كتاب (ندوة خبراء) بالقاهرة (١٩٧٨م).
- ٣٩ . القرآز القيرواني وكتابه (في ضرورة الشعر): مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٧٩م).
- ٤٠ . أسباب الشذوذ في اللغة: المجلة التذكارية لعيد ميلاد (شيبتيالر) السبعين - فيسبا دن (١٩٨٠م).
- ٤١ . الغريب في اللغة وألفاظ القرآن الكريم: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٠م).
- ٤٢ . الألفاظ المترادفة في الاستعمال القرآني: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٠م).
- ٤٣ . حرف القاف، هل يختفي في اللغة العربية: مجلة (المجلة العربية) بالرياض (١٩٨١م).
- ٤٤ . من امتداد اللهجات القديمة في بعض اللهجات المعاصرة: ضمن دراسات في اللهجات العربية، القاهرة (١٩٨١م).
- ٤٥ . تراثنا اللغوي في حاجة إلى التهذيب: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٨١م).
- ٤٦ . العلاقة العضوية بين اللغة العربية والإسلام: مجلة (العروة الوثقى) بالقاهرة (١٩٨٢م).

- ٤٧ . التعريب بين القرآن ومجامع اللغة: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٢).
- ٤٨ . اللغة القرآنية واللهجات العربية: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٢).
- ٤٩ . القرآن ليس كمثلته قول: مجلة (العروة الوثقى) بالقاهرة (١٩٨٢).
- ٥٠ . العربية الفصحى ولغة القرآن الكريم: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٢).
- ٥١ . من الخصائص اللغوية لقبيلة طيى القديمة: مجلة (المجلة العربية) بالرياض (١٩٨٢).
- ٥٢ . فواصل الآيات بين المعنى والنغم والموسيقى: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٢).
- ٥٣ . اللغة العربية قديمة جديدة: مجلة (العروة الوثقى) بالقاهرة (١٩٨٢).
- ٥٤ . الشعر الجاهلي حقيقة ثابتة: مجلة (العروة الوثقى) بالقاهرة (١٩٨٢).
- ٥٥ . بلاغة الحذف في اللغة القرآنية: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٢).
- ٥٦ . تصريف الخطاب بين العربية الفصحى والأسلوب القرآني: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٣).
- ٥٧ . الأزهر الشريف حصن العربية وعلوم الدين: مجلة (منبر الإسلام) في العيد الألفي للأزهر (١٩٨٣).
- ٥٨ . مصادر جلال الدين السيوطي في كتابه (المزهر): مجلة (الدارة) السعودية (١٩٨٣).
- ٥٩ . الشعوبيون واللغة القرآنية: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٣).
- ٦٠ . علم اللغة والاحتجاج للقراءات: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٣).
- ٦١ . القسم في الأسلوب القرآني: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٣).
- ٦٢ . الإعراب ونظام الجملة في اللغة العربية: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٣).
- ٦٣ . الكناية والتصريح في اللغة القرآنية: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٣).

٦٤. التعريض والتلويح في اللغة القرآنية: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٣م).
٦٥. خواطر من تجاربي في تحقيق التراث: مجلة (مركز البحوث) بالرياض (١٩٨٣م).
٦٦. انتشار الإسلام وضرورة ترجمة القرآن الكريم: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٤م).
٦٧. أهمية السماع في تعليم اللغة: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٤م).
٦٨. المستشرقون واقتراءاتهم على الإسلام: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٤م).
٦٩. بشريات المولد النبوي الشريف: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٥م).
٧٠. تراثنا اللغوي في حاجة إلى التهذيب: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة للمرة الثانية (١٩٨٥م).
٧١. العربية الفصحى وتحديات العصر: مجلة (كلية اللغة العربية) بالرياض (١٩٨٤م).
٧٢. من امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة: مجلة المجمع العلمي العراقي (١٩٨٤م) مج ٣٥، ج ١، ص: ١٧٣ - ١٩٢.
٧٣. الصاحبى في فقه اللغة لابن فارس اللغوي: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٧م).
٧٤. فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٧م).
٧٥. رأي في تفسير الشواذ في لغة العرب: مجلة (مجمع اللغة العربية) بالقاهرة (١٩٨٢م) وظهرت (١٩٨٧م).
٧٦. سيبويه جامع النحو العربي، للدكتور فوزي مسعود، عرض وتقديم: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٧م).
٧٧. من بدع الباحثين والمحققين: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٧م).

- ٧٨ . الفراء المفسر النحوي الكوفي صاحب القول المأثور: ((أموت وفي نفسي شيء من حتى)): مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٧م).
- ٧٩ . معجم العربية الفصحى الذي يصدر في ألمانيا الغربية: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ضمن بحوث العيد الخمسيني للمجمع (١٩٨٤م).
- ٨٠ . العمدة لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق البدراوي زهران، نقد وتعليق: مجلة (عالم الكتاب) بالقاهرة (١٩٨٨م).
- ٨١ . تهذيب الألفاظ العامية، للشيخ محمد علي الدسوقي، عرض وتعليق: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٨م).
- ٨٢ . عقود البيع بمصر في صدر الإسلام من خلال أوراق البردي: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٨م).
- ٨٣ . معاجم المصطلحات العربية: مجلة (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) بفاس (١٩٨٨م).
- ٨٤ . لغة القرآن وتحديات العصر: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٩م).
- ٨٥ . الزواج بمصر في صدر الإسلام من خلال أوراق البردي: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٩م).
- ٨٦ . المعاصرة في تراثنا اللغوي القديم: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٩م).
- ٨٧ . الفكر اللغوي عند العرب والدرس الحديث: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٨٩م).
- ٨٨ . التراث العربي ومناهج المحدثين في الدرس اللغوي: مجلة (الفكر العربي) بيروت (١٩٩٠م).
- ٨٩ . المنهج الوصفي للغة بين القدماء والمحدثين: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٠م).
- ٩٠ . ضرورة التزاوج بين التراث والمعاصرة في الدرس اللغوي: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٠م).
- ٩١ . الثبات اللغوي والإبداع الأدبي: مجلة (الفكر العربي) بيروت (١٩٩٠م).

٩٢. الشعوبيون الجدد وموقفهم من العربية الفصحى: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٠م).
٩٣. العلمانية والمدّ الشعبي: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٠م).
٩٤. تحقيق النصوص ومسؤولية المراجع: مجلة المورد العراقية (١٩٩٠م).
٩٥. من تجربتي في تحقيق نسبة الكتاب وتوثيق عنوانه: مجلة (معهد المخطوطات العربية) القاهرة (١٩٩٠م). مج ٣٤ - الجزآن ٢-١، ص: ٧-٢٤.
٩٦. مناسبة اللفظ للمعنى، وفكرة المحاكاة لأصوات الطبيعة في اللغة: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩١م).
٩٧. القرآن الكريم وظاهرة المشترك اللفظي في اللغة: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩١م).
٩٨. نشأة الدراسات العربية وارتباطها بالقرآن الكريم: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩١م).
٩٩. اللغة القرآنية وثبات العربية الفصحى: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩١م).
١٠٠. زيادة البناء للتوكيد في اللغة القرآنية: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩١م).
١٠١. تراث لحن العامة وأهميته في التأريخ اللغوي للعربية: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٢م).
١٠٢. محاولات تنقية العربية الفصحى في الأندلس على يدي أبي بكر الزبيدي: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٢م).
١٠٣. الشفاء في بديع الاكتفاء، لشمس الدين النواجي، تحقيق محمود حسن الشيباني، نقد وتعليق: صحيفة (دار العلوم) بالقاهرة (١٩٩٢م).
١٠٤. ابن هشام اللخمي والعربية الفصحى في الأندلس: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٣م).

١٠٥. لغة الإمام الشيخ محمد الغزالي في مؤلفاته، نظرة تحليلية: الكتاب التذكري
لعيد ميلاد الغزالي، القاهرة (١٩٩٣م).
١٠٦. التطور الصوتي والدلالي في الفصحى واللغة القرآنية: مجلة (منبر الإسلام)
بالقاهرة (١٩٩٣م).
١٠٧. اللغة وحدود الإبداع عند الأديب: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٣م).
١٠٨. درس اللغوي عند العقاد: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٣م).
١٠٩. تعليم اللغات الأجنبية ومستوى الدارسين للعربية: مجلة (منبر الإسلام)
بالقاهرة (١٩٩٤م).
١١٠. معاجم المصطلحات العربية وقضية التعريب والترجمة في الوطن العربي:
مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٤م).
١١١. من مشكلات العربية المعاصرة: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٤م).
١١٢. الإسلام والحضارة الحديثة: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٥م).
١١٣. العربية لغة العلم: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٥م).
١١٤. التعليم الابتدائي حجر الأساس في العملية التعليمية: مجلة (التربية) في قطر
(١٩٩٥م).
١١٥. درس اللغوي عند العقاد، المميزات والمآخذ: مجلة (التربية) في قطر
(١٩٩٥م).
١١٦. الاقتراس اللغوي بين التركية والعامية المصرية: مجلة (منبر الإسلام)
بالقاهرة (١٩٩٦م).
١١٧. (لو) الشرطية في اللغة القرآنية: مقالة بمجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة
(١٩٩٦م).
١١٨. القرآن الكريم والشعر الجاهلي: مقالة بمجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة
(١٩٩٦م).
١١٩. كتاب الوجوه والنظائر للدامغاني، تحقيق محمد أبو العزم الزفيتي، عرض
ونقد: مقالة بمجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٦م).

١٢٠. قضية إحياء المخطوطات، منهج معهد المخطوطات في نشر التراث: بحث ألقى في ندوة العيد الذهبي لمعهد المخطوطات، ونشر في مجلة المعهد (١/٤٠) ١٩٩٦م.
١٢١. مصادر الإمام السيوطي في كتابه (الأشباه والنظائر في النحو)، وقيمتها التاريخية: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (٣/٧١) ١٩٩٦م.
١٢٢. كتابان في اللغة، لابن الأجدابي: مجلة معهد المخطوطات (٢/٤٠) ١٩٩٦م.
١٢٣. من أو هام الباحثين في قراءة البرديات والنقوش والمخطوطات: مقالة بمجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٧م).
١٢٤. البشارات بمولد المصطفى ﷺ: مقالة بمجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٧م).
١٢٥. كفاية المتحفظ، لابن الأجدابي وأثره في الدرس اللغوي للعربية: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٧م).
١٢٦. الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٧م).
١٢٧. كتاب (معترك الاقتران في إعجاز القرآن) للسيوطي: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٧م).
١٢٨. المذكر والمؤنث، لأبي العباس المبرد: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٧م).
١٢٩. من الذكريات البعيدة في الشهر الكريم: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٧م).
١٣٠. الدرر في اختيار المغازي والسير، لابن عبد البر: مجلة (منبر الإسلام) بالقاهرة (١٩٩٧م).

* * *

ثانياً: تحقيقاته اللغوية:-

ويشمل خمسة وثلاثين كتاباً، وهي على الترتيب الزمني لطباعتها كالآتي:-



١. لحن العوام، لأبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ):-

نشره بالقاهرة سنة (١٩٦٤م).

٢. البلاغة، لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ):-

طبع بالقاهرة سنة (١٩٦٥م) طبعة أولى، وسنة (١٩٨٥م) طبعة ثانية، ذكر هذا الكتاب في الفهرست^(١) وإنباه الرواة^(٢) وإرشاد الأريب^(٣). وقد نشر الدكتور رمضان عبد التواب هذا المخطوط أول مرة بعد أن عثر عليه في أثناء تقليبه فيهارس مكتبات ميونخ وبرلين^(٤)؛ فشارك به في إحياء آثار هذا العالم الجليل وهذا الكتاب عبارة عن رسالة صغيرة، أجاب بها المبرد عن رسالة بعث بها (أحمد بن الواثق)^(٥) إليه يسأله فيها عن أفضل البلاغتين أهو الشعر أم النثر؟

٣. قواعد الشعر، لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ):-

طبع بالقاهرة سنة (١٩٦٦م) طبعة أولى، ثم صدر بطبعة ثانية في سنة (١٩٩٥م).

٤. ما يذكر ويؤنث من الإنسان واللباس، لأبي موسى الحامض (ت ٣٠٥هـ):-

طبعته جامعة عين شمس بطبعته الأولى سنة (١٩٦٧م)، مع دراسة للدكتور رمضان عبد التواب بعنوان (التذكير والتأنيث في اللغة).

وقعت هذه الدراسة في (٣٥) صفحة^(١) اعتمد فيها على (٦٣) مصدرًا عربيًا وستة مصادر أجنبية.

ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الرسالة قام بتحقيقها الدكتور إبراهيم الصامرائي - رحمه الله - ^(٢).

(١) ص: ٨٨.

(٢) ٢٥٢/٣.

(٣) ١٤٤/٧.

(٤) ينظر: البلاغة: مقدمة المحقق.

(٥) هو ابن الخليفة العباسي، الواثق أبي جعفر هارون بن محمد المعتصم، ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٤٨٣/١٣، والعقد الفريد: ١٢٢/١٧.

(١) الدراسة: ٤-١، والتحقيق: ١٥ - ٣٠.

(٢) طبع ضمن (رسائل في اللغة)، وعدد صفحاته ست صفحات.



٥. الحروف، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):-
يقع هذا المؤلف في (٤٩) صفحة، وطبع بالقاهرة سنة (١٩٦٩م)، كذلك نشر في مجلة (حوليات كلية الآداب) (٣) جامعة عين شمس.
٦. المذكر والمؤنث، لابن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ):-
نشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة (١٩٦٩م)، ويقع الكتاب في (٧٥) صفحة.
٧. الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها، لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ):-
نشره في القاهرة سنة (١٩٦٩م).
٨. المذكر والمؤنث، لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٢هـ):-
حققه بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين الهادي، ونشرته دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة (١٩٧٠م). وهو يقع في (١٦٨) صفحة.
٩. كتاب الثلاثة، لابن فارس اللغوي:-
نشرته دار الكتب العربي سنة (١٩٧٠م) بالقاهرة. ويقع في (٧٢) صفحة.
١٠. البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ):-

قال الدكتور رمضان عبد التواب: ((عشقت ابن الأنباري، عشقا ملك عليّ فوادي، منذ مدة طويلة، عندما كنت طالبا... وعندما كنت أدرس للحصول على درجة الدكتوراه، من جامعة ميونخ العريقة بألمانيا، عرفت لابن الأنباري مجموعة مخطوطة بمكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم (٢٧٢٩) بها تسع رسائل لهذا العالم... وقد استهوتني هذه المجموعة القيمة فأخرجت منها الطبعة الأولى من كتابنا هذا، في مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية سنة (١٩٧٠م))^(١). ويقع هذا المؤلف في (١١٥) صفحة، وطبع طبعة ثانية من قبل مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة (١٩٩٦م).

١١. كتاب النبّر، لأبي عبد الله بن الأعرابي (ت ٢٣١هـ):-

(٣) ينظر: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: ٢٦٦. ورسائل في اللغة، نقد بقلم الدكتور عبد التواب، مجلة الأقاليم العراقية: ج١/ السنة الثانية، نيسان (١٩٦٦م)، ص: ١٥٥-١٦٥.
(١) البلغة...: ٣.

حققه الدكتور (نوري حمودي القيسي) في بغداد سنة (١٩٦٦م) في (٧٨) صفحة. ثم صدرت طبعة أخرى بتحقيق الدكتور عبد التواب عام (١٩٧٠م) من قبل الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة في (٩٥) صفحة. وطبع في بيروت سنة (١٩٨٣م).

١٢. كتاب الأمثال، لأبي فيد مؤرّج السدوسي (ت ١٩٥هـ):-
 طبع بالقاهرة سنة (١٩٧١م) وطبع في بيروت سنة (١٩٨٣م). وقد حققه أحمد محمد الضيبي^(٢)، سنة (١٩٧٠م).

١٣. زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والطاء، لأبي البركات بن الأنباري:-
 طُبِعَ في دار الأمانة ودار الرسالة في بيروت سنة (١٩٧١م)، و مرة أخرى سنة (١٩٨٧م). ويقع الكتاب في (١٣٣) صفحة.

١٤. القوافي وما اشتقت ألقابها منه، لأبي العباس المبرد:-
 نشره بالقاهرة سنة (١٩٧٢م).

١٥. مختصر المذكر والمؤنث، للمفضل بن سلمة (ت ٢٩١هـ):-
 نشره بالقاهرة سنة (١٩٧٢م).

١٦. كتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي (ت ٢٥٠هـ):-
 أصدره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة (١٩٧٤م)، ويقع في (١٩٠) صفحة.

(٢) طبعة الضيبي في (١٤٦) صفحة، وطبعة عبد التواب في (١٣٠) صفحة.

١٧. المذكر والمؤنث، لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ):-

هذا الكتاب أقدم كتاب ألف في موضوع التذكير والتأنيث في العربية. وأقدم طبعات هذا الكتاب الجليل الشأن، قام بها أحد علماء الشام الأفاضل، وهو الأستاذ مصطفى الزرقاء سنة (١٣٤٥ هـ) ^(١)، وحققه بعد ذلك في عام (١٩٧٥م) الدكتور (رمضان عبد التواب)، ونشرته دار التراث، بعد استئذان الأستاذ الزرقاء في ذلك. ثم طبع بتحقيق عبد التواب طبعة ثلثية سنة (١٩٩٠م). ويقع هذا المؤلف في (١٤٨) صفحة، اعتمد عبد التواب في البحث والتحقيق على (٢١٢) مصدرًا متنوعًا.

١٨. الممدود والمقصور، لأبي الطيب الوشاء (ت ٣٢٥هـ):-

صدر بالقاهرة سنة (١٩٧٩م)، ونشر في مجلة (كلية اللغة العربية) ^(٢)، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض سنة (١٣٩٧هـ).

١٩. الوافي بالوفيات، للصفدي (ت ٧٦٤هـ):-

حقق الجزء (الثاني عشر) منه، ونُشر في فيسبادن (١٩٧٩م).

٢٠. ذم الخطأ في الشعر، لابن فارس اللغوي:-

وهو رسالة من أصغر الرسائل التي كتبها أحمد بن فارس. وطبعت مرتين: الأولى سنة (١٣٤٩هـ) مع كتاب (الكشف عن المتنبي). والطبعة الثانية سنة (١٩٨٠م) حققها الدكتور رمضان عبد التواب.

٢١. اشتقاق الأسماء للأصمعي (ت ٢١٦هـ):-

وهو بالاشتراك مع الدكتور (صلاح الدين الهادي)، صدر بالقاهرة سنة (١٩٨٠م).

٢٢. ثلاثة كتب في الحروف، للخليل وابن السكيت والرازي:-

صدر هذا الكتاب بتحقيق عبد التواب بالقاهرة سنة (١٩٨١م) بطبعته الأولى. وقد قال عبد التواب في كلامه على مؤلفات الرازي برقم (٤) مانصّه: ((الحروف - وهو هذا الكتاب الذي نشره لأول مرة)) ^(٣). علمًا إن الكتاب قد طبع في مجلة (معهد

(١) ينظر: المذكر والمؤنث، لأبي زكريا الفراء: ٣.

(٢) مجلة (كلية اللغة العربية): العدد ٧ (١٣٩٧هـ)، ص (٥٦ - ١٢٦).

(٣) ثلاثة كتب في الحروف: ١٢٠.

المخطوطات العربية^(١) سنة (١٩٧٤م) بتحقيق الدكتور (رشيد عبد الرحمن العبيدي) فمن الغريب أدعؤه هذا مع قرب المدة بين الطبعتين وقرب المسافة بين مكانيهما إذ إنهما مطبوعان بالقاهرة.

٢٣. الفرق، لابن فارس اللغوي:-

نشره في القاهرة سنة (١٩٨٢م).

٢٤. ما يجوز للشاعر في الضرورة، للقران القيرواني (ت ٤١٢هـ):-

صدر بالقاهرة سنة (١٩٨٢م) بالاشتراك مع الدكتور (صلاح الدين الهادي). ثم

صدر بطبعة أخرى سنة (١٩٩٢م). وكان (المنجي الكعبي) قد حقق هذا الكتاب بتونس سنة (١٩٧١م)^(٢).

٢٥. التطور النحوي للغة العربية، لبرجشتراسر:-

وهو كتاب صاغه المستشرق الألماني (برجشتراسر) باللاغة العربية سنة (١٩٢٩م)، وكان نصه غفلاً من الضبط بالشكل وتشيع فيه العبارات الركيكة والملحونة، وسقوط بعض الكلمات، وبُعد شيء من أمثاته عن الصواب، وقد تدارك الدكتور رمضان عبد التواب ذلك كله مشيراً إليه في حواشي الكتاب، وأجرى قلمه بالتعليق على آراء المؤلف واجتهاداته^(٣).

وصدر الكتاب محققاً سنة (١٩٨٢م) في (٢٣١) صفحة. وبطبعة ثانية سنة (١٩٩٤م).

٢٦. ما تلحن فيه العامة، للكسائي (ت ١٨٩هـ):-

نشرته مكتب الخانجي بالقاهرة سنة (١٩٨٢م).

٢٧. عمدة الأدياء في معرفة ما يكتب بالألف والياء، لأبي البركات بن

الأنباري:-

نشره بالقاهرة سنة (١٩٨٢م).

٢٨. ضرورة الشعر، لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ):-

(١) م/٢٠، ج/١، ربيع الأول (١٣٩٤هـ)، ص: ٥١ - ١٢٤.

(٢) ينظر: فصول في فقه العربية: قائمة المصادر (٢٤٤).

(٣) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: (٣ - ٥).

نشره ببيروت سنة (١٩٨٥م). ونشره أيضًا عوض حمد القوزي سنة ١٩٨٩م.

٢٩. شرح كتاب سيويوه، لأبي سعيد السيرافي:-

(الجزء الأول) الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة سنة (١٩٨٦م).

٣٠. الخطب والمواعظ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ):-

هذا الكتاب جامع لكثير من الخطب والمواعظ التي جاءتنا عن النبي محمد ﷺ

(١)، ويشتمل على مواعظ كثير من الأنبياء - عليهم السلام - (٢)، وتُذكر في الكتاب

شيءٌ من حكم لقمان عليه السلام (٣)، وبعض ما ذكر في كتب الحكمة المأثورة عن القدماء

(٤)، وبعد ذلك تأتي بعض المواعظ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبه ووصاياه (٥)،

وشيء من مواعظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٦). في الخطب والوصايا والكتب.

وحرص أبو عبيد على ذكر الإسناد المتصل إلى صاحبه من الأنبياء

والصحابية والتابعين. ولم يكن تحقيق هذا الكتاب من الدكتور رمضان عبد التواب

((نزهة في بستان، ولا ميرًا في درب من الأمان، فكم كانت بعض أعلامه محرّفة!

وكم كانت نصوصه مضطربة! مشوشة...)) (٧). حتى يسر الله الطريق له لإخراج

هذا الكتاب بالقاهرة سنة (١٩٨٦م) بطبعته الأولى وقد وقع في (٢٣٢) صفحة.

واعتمد الدكتور رمضان عبد التواب (١٦٥) مصدرًا ومرجعًا في دراسته وتحقيقه.

(١) ينظر: الخطب والمواعظ: (٨٧ - ١٠٨).

(٢) ينظر: المصدر نفسه: (١٠٩ - ١٧٢).

(٣) ينظر: المصدر نفسه: (١٧٣ - ١٧٨).

(٤) ينظر: المصدر نفسه: (١٧٩ - ١٨٢).

(٥) ينظر: المصدر نفسه: (١٨٥ - ٢٠٠).

(٦) ينظر: المصدر نفسه: (٢٠١ - ٢١٣).

(٧) الخطب والمواعظ: مقدمة المحقق / ٦.



٣١. الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام:-
نشر الجزء الأول منه بالقاهرة سنة (١٩٨٩م). وحققه بجزئين محمد المختار
العبيدي - بيت الحكمة - قرطاج / تونس - المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق
والدراسات / ١٩٨٩م.

٣٢. نجدة السؤال في عمدة السؤال، لأبي البركات الأنباري:-
نشره في عمان سنة (١٩٨٩م).

٣٣. شرح كتاب سيوييه، لأبي سعيد السيرافي:-

(الجزء الثاني) الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة (١٩٩٠م).

٣٤. لوح الضبط في علم حساب الغبط، لأبن المغربي:-

تحقيق ودراسة - مجلة معهد المخطوطات العربية (١٩٩٢م).

٣٥. فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام:-

أشار إليه الناشر في كتاب التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، وقال: إنه

تحت الطبع (١).

ثالثا: الترجمة:

ترجم الدكتور رمضان عبد التواب سبعة كتب عن اللغة الألمانية، وهي على
الترتيب الزمني:-

١. اللغات السامية، لثيودور نولدكة: نشره بالقاهرة سنة (١٩٦٣م).

٢. الأمثال العربية القديمة، لرودلف زلهيم: تناول المؤلف في كتابه هذا

مجاميع الأمثال بالتحليل، في استقصاء يبعث على الإعجاب، مبيّنا مناهجها

وطرقها المختلفة، ومتبعا روايتها، ونشر كتابه بالألمانية في عام (١٩٥٤م) (٢).

واعتمد المترجم في ترجمة هذا الكتاب على نسخة المؤلف الخاصة التي أعطاها له

سنة (١٩٦٢م) في (فرانكفورت). حين كان يشغل آنذاك منصب عميد كلية الفلسفة

(١) ص: ١٤٣.

(٢) ينظر: الأمثال العربية القديمة: ٨.

بجامعة (فرانكفورت)، وصدر هذا الكتاب في بيروت سنة (١٩٧١م) ثم طبع طبعات متعددة.

٣. تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان: ترجم منه الجزء الرابع والخامس، وصدر بالقاهرة (١٩٧٥م).

٤. فقه اللغات السامية، لكارل بروكلمان:-

نشره بالرياض سنة (١٩٧٧م)، ويقع هذا المؤلف في (١٦٩) صفحة، وهو يدرس اللغات السامية، درسًا مقارنًا نشره بروكلمان في لبيزج سنة (١٩٠٦م)^(١). ويهمني أن أشير هنا إلى أن بروكلمان استعمل في الدلالة على بعض أصوات اللغات السامية، رموزًا لا تتوافر في مطبعنا في الشرق؛ لذا استبدل الدكتور رمضان عبد التواب بها رموزًا أخرى وسنعرضها هنا ليتمكن القارئ من تعرّفها في حالة استخدامها في هذه الرسالة، فصارت رموز عبد التواب على النحو الآتي:

للهمزة () وللباء (b) وللپاء (P) وللتاء (t) وللاثاء (t) وللجيم (ġ) وللحاء (h) وللخاء (h) وللدال (d) وللذال (d) وللراء (r) وللزاي (z) وللسين (s) وللسامخ في العبرية (š) وللشين (š) وللصاد (š) وللضاد (d) وللطاء (t) وللظاء (z) وللعين () وللغين (ġ) وللفاء (f) وللغاء (b) وللقالف (k) ولللام (l) وللميم (m) وللنون (n) وللهاء (h) وللواو (w) وللياء (y) وللقتحة القصيرة (a) والطويلة (ā) وللكسرة القصيرة الخالصة (i) والطويلة (i) وللكسرة القصيرة الممالة (e) والطويلة (ē) وللضمة القصيرة الخالصة (u) والطويلة (ū) وللضمة القصيرة الممالة (o) والطويلة (ō) وللقتحة المخطوفة (ä) وللكسرة المخطوفة (ē) وللضمة المخطوفة (ö) وللمد غير الأصلي ((ā))^(٢).

٥. العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ليوهان فك:-

نشره بالقاهرة سنة (١٩٨٠م).

٦. في نحو العربية الفصحى، لتيودور نولدكة، مع تعليقات انطوان شبيتلر:-

(١) فقه اللغات السامية: ٦.

(٢) فقه اللغات السامية: ٧.



ذَكَرَ في كتابه (التطور اللغوي) أنه (تحت الطبع) ^(١).

٧. الأطلس اللغوي لسوريا وفلسطين، لبرجشتراسر:

ذَكَرَ في (التطور اللغوي) أنه (تحت الطبع) ^(٢).

إن ما سقته من مؤلفات سواء أكانت كتباً أو مقالات تمثل الجهد اللغوي البناء من لدن الدكتور رمضان عبد التواب وهو جهد كبير وواسع وعريض ينم عن تضلعه في أفئتين اللغة العربية ورحابها الواسعة، وفهم ثاقب لأسرارها اللغوية، ودقائقتها البليغة، ومسيرة لتأريخها التليد، وعلم بتطورها خلال الزمان.

* * *

(١) ص: ١٤٣.

(٢) ص: ١٤٣.

الفصل الثاني

رمضان عبد التواب ومناهج اللّسانيات الحديثة

الفصل الثاني

رمضان عبد التواب ومناهج اللسانيات الحديثة

تمهيد: المنهج المقارن بين مناهج اللسانيات الحديثة

اللسانيات هو مصطلح من بين عشرين مصطلحًا أو أكثر ظهر على لائحة الدراسات، والبحوث اللغوية، مما تضمنته توصيات الندوة المنعقدة بتونس عام (١٩٧٨م)^(١).

وهو: ((العلم الذي يقرأ اللغة الإنسانية، على وفق منظور علمي عميق ودقيق، يستند إلى معالنة الأحداث، وتسجيل وقائعها، قلمًا على الوصف، وبناء النماذج، وتحليلها، بالإفادة من معطيات العلوم والمعارف الإنسانية الأخرى، ويرمي هذا العلم إلى كشف حقائق، وقوانين، ومناهج الظواهر اللسانية، وبيان عناصرها، ووظائفها، وعلاقتها الإفرادية، والتركيبية داخل وخارج (هـ) بنية النص))^(٢).

وفي أواخر القرن الثامن عشر أميط اللثام عن رموز اللغة السنسكريتية - لغة الهند القديمة - على يد (السير وليم جونز) القاضي الإنكليزي في المحكمة العليا بالبنغال، سنة (١٧٨٦م)^(٣).

وإن هذه الواقعة حدت بداية الدراسات اللسانية الحديثة، وانتظمت، منذ هذا الاكتشاف، ثلاثة مناهج لدراسة اللغة، والكشف عن محتوياتها. وتعدّ هذه المناهج

(١) من هذه المصطلحات: الألسنية، اللسانيات، الألسنيات، علم اللسان، اللغويات، الدراسات اللغوية الحديثة، علم اللغة العام، علم اللغة، وسواها، ينظر: المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية: بحث، (أحمد مختار عمر)، مجلة عالم الفكر - الكويت، المجلد ٢٠، العدد ٣، ١٩٨٩م.

(هـ) الصواب: داخل بنية النص وخارجها.

(٢) علم اللسانيات الحديثة: ١٠٦.

(٣) ينظر: اللغة العربية في إطارها الاجتماعي: دراسة في علم اللغة الحديث: ١٥، والبحث اللغوي: ٣٢.

الأساس في البحث اللساني، ومنها دخلت اللغة ميادين العلوم، والمعارف الإنسانية، هذه المناهج هي: المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن.

أما المنهج الأول، فإن الدراسات اللغوية الأوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قد طبعت بالطابع التاريخي المقارن، إلى أن جاء القرن العشرون فمالت الدراسات اللغوية إلى اتجاه جديد عُرف (بالدراسات الوصفية) التي لاتعنى بالتطور التاريخي للغة، إنما تركّزت الجهود فيه على وصف اللغة وصفاً دقيقاً، في مستوياتها الأربعة^(١). فأخذت البحوث اللغوية تكثفي ((بوصف أي لغة من اللغات عند شعب من الشعوب، أو لهجة من اللهجات، في وقت معين، أي إنّه يبحث اللغة بحثاً عَرَضِيّاً لا طوليّاً، ويصف ما فيها من ظواهر لغوية مختلفة، ويسجل الواقع اللغوي، تسجيلاً أميناً))^(٢).

ويُعَدّ (دي سوسير) أشهر من عرفه الدرس اللغوي الحديث، والأب الحقيقي لهذا المنهج^(٣)، وله الفضل في تأصيله، والذي دعا إلى طرح دراسة اللغة في حال التغيير (Diachrony) ودراستها في حال الاستقرار (Synchrony)، وأن تطبيق هذا الاتجاه وجد سبيله عند (إدوارد سابير) و(بلومفيلد)^(٤). وإن أهم ما يميّز الدراسات الوصفية أمران:

أما الأول فإنّ الدراسة الوصفية لأيّ لغة أو لأيّ جزء منها في الوقت الحاضر أو في الماضي تهتم على وجه الحصر بهذه اللغة في الوقت المحدد، ولا يهم - على أنّها دراسة وصفية - ما يمكن أن يكون قد سبقها أو جاء بعدها؛ فلا اعتبارات التاريخية غير مناسبة لدراسة حالات اللغة الزمنية الخاصة.

وأما الثاني، فإنّ الدراسة الوصفية للغة ما لا تعتنى بالمقارنات بين هذه اللغة وغيرها من اللغات في الوقت نفسه^(٥).

(١) ينظر: نظريات في اللغة: ٣٧.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ١٨١.

(٣) ينظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: ٢٣، ومدخل إلى الآلسنية: ١٣، ٣١.

(٤) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث: ٤٢ - ٤٣.

(٥) ينظر: الفكر اللغوي: ٩٨ - ٩٩.

أما المنهج التاريخي: ((فيدرس اللغة دراسة طولية، بمعنى أنه يتتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة، وأماكن متعددة ليرى ما أصابها من التطور، محلولاً الوقوف على سرّ هذا التطور، وقوانينه المختلفة))^(١). فيتناول المنهج التاريخي تأريخ اللغة الواحدة وتطورها وتغيرها خلال القرون من جوانبها الأربعة: الصوتية والصرفية والتركييبية والدلالية^(٢).

ويحسن القول هنا إن الدراسات اللغوية التاريخية للغة ما تعتمد على الدراسات الوصفية للغة نفسها، إذ يقول بلومفيلد مبيّناً هذه الحقيقة: ((إن ظهور التيار التاريخي - المقارن، والتيار الفلسفي - الوصفي في الدراسة اللغوية في أواخر القرن التاسع عشر يدلّ على أنّ الدراسة التاريخية للغة تتوقف درجتها دقةً واتقاناً على دقة الدراسة الوصفية للغة موضوع الدرس وعلى إتقانها))^(٣)، وإذا كان علم اللغة الوصفي، يمكن أن يوصف بأنه علم ساكن static إذ فيه توصف اللغة بوجه عام على الصورة التي توجد عليها في نقطة زمنية معينة، فإن علم اللغة التاريخي يتميز بفاعلية مستمرة Dynamic، فهو يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة.

وتغير اللغة خلال الزمان والمكان خاصّة فطريّة في داخل اللغة، وفي اللغات كلّها، و إنّ التغير يحدث في الاتجاهات كلّها: النماذج الصوتية، والتراكيب الصرفية والنحوية، والمفردات.

ولكن ليس على مستوى واحد، ولا طبقاً لنظام معين ثابت - هذه التغيرات اللغوية تعتمد على مجموعة من العوامل التاريخية.

ولما كانت دراسة هذه التغيرات دراسة وصفية، هي محض تعريف لأشكال التغيرات الحادثة، فإنّه لا يمكن عزلها عن الأحداث التاريخية التي تصاحب وجودها. وإذا كانت الوظيفة الأولى لعلم اللغة الوصفي، هي أن يصف، ولعلم اللغة التاريخي هي أن يعرض التغيرات اللغوية، فمن الصعب كثيراً الفصل بين النوعين

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ١٩٦.

(٣) ينظر: مدخل إلى علم اللغة: ٢٤.

(٤) علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي: ٢٦٤.

في مجال التطبيق العملي، وذلك لأن كل المصطلحات، التي استُعملت تحت العنوان الوصفي، قابلة من الناحية العملية للاستعمال مع الفرع التاريخي^(١).

المنهج المقارن :-

يطبق المنهج المقارن على مجموعة اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة^(٢). وهو يقوم على المقارنة بين الظواهر اللغوية المشتركة في تلك اللغات - ذات الأصل الواحد - للكشف عن أواصر القربى بينها^(٣).

ولهذا المنهج ((أهمية بالغة ولازمة في كل الميادين اللغوية التي سارت فيها الاتجاهات اللغوية، وهو يؤدي أحسن النتائج وأفضلها متى أمكن حسن الاستخدام ودقة التطبيق))^(٤).

فالمنهج المقارن إذن ((يقوم على الموازنة بين الظواهر اللغوية في طائفة من الألسنة، إمّا للكشف عمّا بين هذه الألسن من أواصر القربى وهو ما يجري في اللسانيات المقارنة، وإمّا للكشف عمّا بين الألسنة جميعًا من خصائص مشتركة تؤدي إلى الكشف عن القوانين العامة للظاهرة اللغوية وهو ما يجري في اللسانيات العامة))^(٥).

ويمكن التوصل من خلال هذه الدراسات المقارنة إلى معرفة درجة القرابة بين مجموعة اللغات التي وضعت تحت الدراسة، والأصل المشترك لهذه اللغات الذي تفرّعت منه جميعها والذي يدعى (اللغة الأم)^(١)، ((تلك اللغة التي لا وجود لها الآن

(١) ينظر: أسس علم اللغة: ١٣٧.
 (٢) ينظر: علم اللغة: مقدمة للأقارئ العربي: ٢٦٧، ومدخل إلى علم اللغة: ٢١، والمستشرقون والمناهج اللغوية الحديثة: ٤١.
 (٣) ينظر علم اللغة العام: ٢٣.
 (٤) المصدر نفسه: ٢٤.
 (٥) اللسانيات من خلال النصوص: ١٤١.
 (١) ينظر: أسس علم اللغة: ١٦٨.

في صورة وثائق أو نقوش مكتوبة))^(٢)، وأنها ((لا تخرج عن كونها افتراضًا قليلًا للتعديل في أي وقتٍ طبقًا لما تؤدي إليه بحوث المستقبل))^(٣).

مجالات المنهج المقارن:

يتناول المنهج المقارن بنية اللغة في مجالاتٍ أربعة، وهي: الأصوات Phonology، وبناء الكلمة Morphology، وبناء الجملة Syntax، والدلالة Semantics.

ففي المجال الصوتي يقوم المنهج المقارن على افتراض ((التغيرات الصوتية التي تلاحظ بين مجموعة اللغات المقارنة، والتي تلخص آخر الأمر فيما يسمى (القوانين الصوتية) كقانون جريم (Grimm's Law) تغيرات مطّردة، وأنها تعمل في مساحات محددة وأزمنة محددة))^(٤).

لقد تبين في مجال البحث الصوتي المقارن أنّ مجموعة من الأصوات لا تكاد تخلو منها أي لغة من اللغات السامية كالأصوات الشفوية والأصوات الأسنانية، وعلى العكس من ذلك فهناك أصوات آخر توجد في قسم من اللغات ولا توجد في القسم الآخر^(٥).

أمّا في مجال بناء الكلمة، فيقوم على أساس الصوامت ويتصل معنى المادة اللغوية في اللغات بمجموعة الصوامت التي تكوّن كل مادة، وتكون الكلمات في اللغات السامية من مادة ثلاثية. وقد عبر عن هذه المادة بالصوامت الثلاثة (الفاء، والعين، واللام).

وكذلك تعد دراسة الضمائر في اللغات السامية من دراسات علم الصرف المقارن، فضلاً عن ظاهرة الإعراب التي تعدّ من خصائص اللغات السامية والتي

(٢) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: ١٦٧.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٠١.

(٤) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي: ٢٦٩، وينظر: مدخل إلى علم اللغة: ١٥٣.

(٥) ينظر: علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية: ١٣٩، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢١٣-٢٢٨.

احتفظت بها العربية والأكدية. ويدخل في بناء الكلمة أيضاً الجنس بنوعيه المذكر والمؤنث، وصيغ الفعل التي يطلق عليها في العربية: (المضارع، والماضي، والأمر) كل هذه العلوم تدخل ضمن علم الصرف المقارن للغات السامية^(١).

أمّا في مجال بناء الجملة، فإن أهم نتيجة وصلت إليها الدراسات النحوية المقارنة هي تقرير صلة القرابة (Relationship) بين جمل أي مجموعة من اللغات؛ ((إذ يتناول المنهج المقارن دراسة الجملة الخبرية في اللغات السامية مثلاً. فعلياً كانت أو اسمية، ويتناول كذلك جميع القضايا المتعلقة ببناء الجملة في اللغات السامية كالاستفهام، والاستثناء، والمطابقة بين الفعل والفاعل والعدد والمعدود))^(٢).

أمّا في مجال الدلالة، فيتناول المنهج المقارن مقارنة بين الألفاظ ذوات المعنى المطبق، أو المقارب، وبحث هذه الألفاظ والتغير الدلالي الذي حصل لها حتى يصل اللغوي المقارن إلى شكل يعده الشكل الأصلي أو ما يدعى (بالشكل المنجوم Starred form) لهذه المجموعة من الألفاظ التي قامت المقارنة بينها، وهذا يدخل كله في علم الدلالة المقارن^(٣)، ((وأهم جانب تطبيقي لعلم الدلالة المقارن هو تأصيل المواد اللغوية في المعاجم، وتأصيل المواد المعجمية العربية بردها إلى أصولها السامية إن وجدت))^(٤).

الصعوبات التي تقابل الباحث في ميدان الدراسات المقارنة:

١. إن الباحث في هذا الميدان يتعامل مع نصوص قديمة في صورتها المكتوبة، لا المنطوقة، فضلاً عن اندثار أغلب اللغات القديمة من واقع الاستعمال اللغوي، قسمة مشكلات تتعلق بالكتابة، وطريقة النبر، وتطور الدلالة، والأصوات... إلى غير ذلك^(١).

(١) ينظر: علم اللغة العربية، مدخل تاريخي...: ١٣٩-١٤٠.

(٢) مناهج البحث بين التراث والمعاصرة: ١٧٢.

(٣) ينظر: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي: ٢٧٠.

(٤) مدخل إلى علم اللغة: ٢٣.

(١) ينظر: المستشرقون ومناهجهم اللغوية: ٣٠.

٢. استنباط الأصول الأولى، للاظواهر اللغوية المختلفة أمر بالغ الصعوبة؛ لأن سير تطوّر اللغات غامض في تفاصيله بالنسبة لنا غالباً، وذلك في المرحلة السابقة للمرحلة التي وصلت إلينا منها وثائق لغوية^(١).
٣. ليس من اليسير الوصول إلى ترتيب يوضّح تسلسل اللغات القديمة زمنياً في انشعابها من اللغة الأم، ليتّضح لنا أيها أقدم، أو أكثر تمثيلاً للأصل^(٢).
٤. تعترض المقارنين عقبة معرفة الأصل من الدخيل في لغات الأسرة اللغوية الواحدة. فضلاً عن وجود ((ظواهر لغوية مشتركة تُعدّ إرثاً مشتركاً بين هذه اللغات، ورثته من الأصل الذي تفرّعت عنه^(٣)). وهو أصل توارى في ظلمات الزمن الموهل. ولم تُعدّ منه سوى ملامح الشبه التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء لتدل على أنّ هؤلاء ينحدرون من سلالة واحدة^(٤).
٥. ومن الصعوبات التي يواجهها المنهج المقارن، أنّه يتجاهل العوامل التاريخية العديدة التي تأثرت بها اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة، منذ نشأتها حتى عصرنا^(٥).

(٢) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٠٠.

(٣) ينظر: المستشرقون ومناهجهم اللغوية: ٣٩.

(٤) الصواب: منه.

(٤) المستشرقون ومناهجهم اللغوية: ٤١.

(٥) ينظر: لغات البشر: ٧٢.



علاقة المنهج المقارن بالمنهج الوصفي والتأريخي:

المنهج المقارن امتداداً للمنهج التأريخي، في أعماق الماضي السحيق، وينحصر في نقل منهج التفكير، الذي يطلق على العهود التأريخية، إلى عهود لا نملك منها أي وثيقة (١)

وقد أوضح مايبه (Meillet) التداخل بين المنهجين المقارن والتأريخي، بقوله: ((حقيق بنا أن نقرّ ونعترف بأنه لا يوجد علم يسمى بالقواعد المقارنة... إذ لا توجد إلا طريقة مقارنة، وأنّ ما ندعوه خطأً بالقواعد المقارنة ليس إلا شكلاً من أشكال علم اللغة التأريخي، فإذا ما أردنا بحث القواعد المقارنة لإحدى اللغات درسنا تأريخ هذه اللغة على هدي الطريقة المقارنة)) (٢).

ويعتمد المنهج المقارن على المنهجين الوصفي والتأريخي ((إذ إنّ هذا المنهج يتطلّب القيام بدراسة وصفية مستقلة لكل لغة تقارن بلغة أو بلغات أخرى ومعلوم أنّ الدراسات المقارنة هي شكل من أشكال الدراسة التأريخية؛ لأنّ تشعب اللغة الأم أو الأصل إلى لغات إنّما هو تطوّر تأريخي)) (٣)

(٣) ينظر: أسس علم اللغة: ١٧٦.

(٤) تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين: ١٨٣، ١٨٧.

(٥) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: ١٧٣.

المبحث الأول

تطبيقات المنهج المقارن عند الدكتور

رمضان عبد التواب

لقد أدرك الدكتور رمضان عبد التواب أنّ دراسة العربية في ضوء المنهج المقارن ضرورة يقتضيها البحث اللغوي على الرغم من الصعوبات التي تواجه الباحث في هذا الميدان، إذ يقول: ((ومع كل هذه الصعوبات أثمرت الدراسات السامية المقارنة في القرن الماضي، والقرن الحالي، ثمرات عظيمة، وأصبحنا نقف في كثير من المسائل فيها، على أرض ليست هشة. والفضل في كل هذا للممشرقين من علماء الغرب))^(١).

وكان يؤكد أهمية الدراسات السامية للعربية؛ إذ يقول: ((لا شك أنّ هناك فوائد كثيرة، تعود على درس اللغوي، من معرفة الدارس باللغات السامية؛ فبّه فضلاً عمّا تفيد هذه المعرفة، بتأريخ الشعوب السامية، وحضارتها، ودياناتها، وعاداتها وتقاليدها - تؤدي مقارنة هذه اللغات باللغة العربية، إلى استنتاج أحكام لغوية، لم نكن نصل إليها، لو اقتصرنا على العربية فحسب. ونفسر بهذا الأمر سر تقدم الممشرقين، في دراستهم للغة العربية، ووصولهم فيها إلى أحكام لم يسبقوا إليها؛ لأنهم لا يدرسون العربية في داخل العربية وحدها، بل يدرسونها في إطار اللغات السامية))^(٢).

والدكتور (رمضان عبد التواب) من اللغويين العرب المعاصرين الذين أفادوا من مناهج البحث الحديثة، ودرسوا العربية في ضوءها، فوصلوا في دراستهم إلى

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٠١.

(٢) فصول في فقه اللغة العربية: ٤٧.

آراء ناضجة، صححت بعض أو هام القدامى، وحطت كثيراً مما كان مستغلقاً من ظواهر العربية في الأصوات والمفردات والتراكيب. وسأبين ما قرره عبد التواب من آراء في الظواهر اللغوية اعتماداً على المنهج المقارن، وعلى النحو الآتي:-

أولاً: النون والميم في العربية:-

النون والميم من الأصوات المائعة، وهي: (اللام، والميم، والنون، والراء) وهي التي يسميها علماء العربية بالأصوات المتوسطة. تناول الدكتور (رمضان عبد التواب) حرفي النون والميم في مجموعة الأصوات المائعة، وقال: إن هذه الأصوات قد بقيت في اللغات السامية كلها، مستعينا على ذلك بالمنهج المقارن فمثال الميم: كلمة: (ملاً) في العربية، يقابلها: في العبرية: malē، وفي الآرامية: mlā، وفي الحبشية: malá، وفي الأكادية: malū. ومثال النون: (نَفَخَ) في العربية، يقابلها: في العبرية: nāfah، وفي الآرامية: nfah، وفي الحبشية: nafha، وفي الأكادية: napāhu⁽¹⁾. وبعد ذلك انتقل الدكتور عبد التواب إلى الحديث عن انقلاب حرف (الميم) إلى نون في العربية مستدلاً بمقارنة العربية مع أخواتها الساميات، فقال: ((... غير أن اللغة العربية، قد تحولت فيها (الميم) التي تقع في الطرف أصلاً، إلى (نون)، إلا إذا أريد الاحتفاظ بها، طرداً للباب على وتيرة واحدة؛ مثل الأمر: (قُمْ) من: (قام)، أو لم تصر متطرفة إلا بعد سقوط الحركة الأخيرة من الكلمة، مثل الضمير: (هُم)، وأصله: (هُم)).

ومن أمثلة انقلاب (الميم) نوناً: كلمة: (إن) فهي: في العبرية: im، وفي الحبشية: ema، وفي الأكادية: Šumma. ومن أمثلة ذلك أيضاً: (التَّمِيم) الذي يوجد

(1) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٢٦- ٢٢٧.

في الأكادية، في مثل: kalbum، وهو يقبل: (التتوين) في العربية في نحو: (كلبُ) ((٢)).

ولهذه العلاقة الصوتية بين الميم والنون يرجع الدكتور رمضان عبد التواب السبب في أن يتوالى هذان الصوتان في السجع والفاصلة، في اللغة العربية، من دون أن يختل النغم، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿تَ وَالْقَلْبَ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنْتَ بِتَعْمُرُ رَيْكَ بِمَجْنُونَ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَمَنْ خُلِقْتَ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (١)، وفي الشعر كقول الراجز: والله ما فضلي على الجيران إلا على الأخوال والأعمام.

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أيضاً، أن هذه العلاقة هي التي تفسر لنا ورود بعض الكلمات في العربية القديمة، بروايتين في آخرها، إحداها: بالميم، والأخرى: بالنون؛ مثل: الغَيْمِ والغَيْنِ، والقَاتِمِ والقَاتِنِ (للاُسود)، وغير ذلك (٢).

ثانياً: تعاقب الأصوات:-

قال الله تعالى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقَائِهَا وَقَتَابِهَا وَفُومِهَا وَعَدِيِّهَا وَيَعْبِلِهَا ۝٣﴾ (٣). اختلف أهل التفسير في قوله تعالى: وفومها(٤)، هل أصل الكلمة في العربية بالثاء أم بالفاء؟ قرأ ابن مسعود: (وثومها) بالثاء(٥).

قال ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ): ((وذهب بعض أهل التفسير في قوله تعالى: (وفومها) إلى أنه أراد الثوم، فالفاء على هذا بدل عنده من الثاء. والصواب عندنا إن الفوم: الحنطة وما يختبز من الحبوب، يُقال: فومُ الخبز، أي: خبزته، وليست الفاء على هذا بدلاً من الثاء)) (٦).

(٢) المصدر نفسه: ٢٢٧.

(١) القلم / ١ - ٤.

(٢) ينظر: المنهج إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٢٧ - ٢٢٨. وأمثلة أخرى في: القلب والإبدال لابن السكيت: ١٧ - ٢٢.

(٣) البقرة / ٦١.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٥١/١، و الجامع لأحكام القرآن: ٤٢٥/١.

(٥) شواذ القراءات: ٦٣، وهي لغة تميم.

(٦) سر صناعة الإعراب (تح: حسن هنداوي): ٢٥١/١.

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب في ضوء معرفته باللغات الآرامية أن ((الشرين العبرية، التي تقابل تاء في الآرامية، تقابل ثاء في العبرية وتلك قاعدة مطردة، في مقارنات أصوات اللغات السامية؛ فمثلاً: كلمة: (شور) Sor في العبرية، تقابل: (تورا) tawrā في الآرامية، وتقابل كلمة (ثور) في العبرية. وكذلك كلمة: (شوم) Sūm في العبرية، هي: (ثوما) tawma في الآرامية، و(ثوم) في العبرية. ومعنى هذا أن أصل هذه الكلمة في العبرية بالثاء، وأما الفاء، فهي تطوّر عنها. وقد جاءت كلمات كثيرة في العبرية، وقد تعاقبت فيها الاء والفاء، مثل: اللثام واللفام، وجدّث وجدّف (للقبر)، وحنّالة وحنّالة^(١))).

كذلك يطبق الدكتور رمضان عبد التواب القاعدة السابقة ((على الفعل: (ثاب) بمعنى: رجّع، نعرف أن الفعل الآخر: (تاب) بمعنى رجع عن الذنب، ليس أصيلاً في العبرية، وإنما هو مستعار من الآرامية، من النصوص الدينية التي استعمل فيها هذا الفعل بكثرة، في هذا المعنى الخاص، فالفعل في العبرية: (شاب) šāb، والآرامية: (تاب) Tab بمعنى (رجع) مطلقاً، كالفعل (ثاب) في العبرية^(٢))).

إنّ السبب في تعاقب الأصوات هذا يرجع - في نظر الدكتور رمضان عبد التواب - إلى الخطأ السمعي، فهو يقول: إنّ الانقلابات الصوتية ((ليست إلا نتيجة لأخطاء السمع، فإنّ الطفل يعتمد في تلقي اللغة عن المحيطين به على حاسة السمع، ولما كانت هذه الحاسة عرضة للزلل في إدراكها للأصوات، ولا سيما تلك الأصوات المتقاربة المخارج، كان من الطبيعي أن يجانب الطفل السداد في بعض ما ينطق به محاكياً من حوله، وليس ذلك قاصراً على الطفل، إذ قد يخطئ الشخص البالغ كذلك في السمع، ويخلط بعض الأصوات بأصوات أخرى قريبة منها في المخرج، وأذكر أننا كنا نكتب وراء مُلّ ينطق بكلمة (شعث) فكتبها بعضنا (شعفت) بالفاء لا بالثاء))^(٣).

(١) فصول في فقه العبرية: ٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ٤٨.

(٣) لحن العامة والتطور اللغوي: ٣٦.

يبدو لي أنّ هذا الرأي لا يخلو من إيغال أو مغالاة؛ لأنّ الخطأ السمعي لا يمكن أن يرقى إلى تكوين ظاهرة لغوية، وإتّما يعزى ذلك إلى طبيعة اللغات، فإنّ لكلّ لغة سنّتها في النطق والتركيب.

ثالثاً: أولى و أولاء:-

جاء في كتب النحو أنّ صيغتي (أولى وأولاء) من أسماء الإشارة لجمع المذكر والمؤنث، بمعنى: هؤلاء، وعزيت (أولى) لقبيلة تميم، كما عزيت (أولاء) بالمد لأهل الحجاز^(١). فأَيّ الصيغتين هي الأصل في اللغة؟

يرى الدكتور رمضان عبد التواب أنّ الصيغة غير المهموزة (أولى) هي الأصل في اللغة مستعيناً بمقارنة العربية مع شقيقاتها من الجزريات الأخرى؛ فلا يوجد أثر للهمزة في هذه الصيغة في العبرية والسريانية والحبشية^(٢).

وبعد نظرة في اللغات السامية يقرر عبد التواب أنّ ما روي عن الحجازيين ((ليس إلا حذاقة ومبالغة في التفصح منهم، إذ كانوا يقولون في لهجات الخطاب عندهم، بكل تأكيد: صحراء، ودمراء، وميناء؛ فعاملوا (أولى) - التي لا همز فيها في الأصل - معاملة هذه الكلمات، وقالوا لذلك: (أولاء) على طريق الحذاقة والمبالغة في التفصح))^(٣).

رابعاً: همزة (اطمأن):-

اطمأن: معناها (هبط، أو هدأ وأستقرّ وسكن) والثلاثي منها غير مستعمل في العربية، وهو في العبرية بمعنى: أخفى، والشيء إذا خَفِيَ هدأ وأستقرّ^(٤). ذهب سيبويه إلى

(١) ينظر: أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك: ١٣٤/١، ومع الهوامع: ٧٥/١.

(٢) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ١٥٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٥.

(٤) ينظر: فصول في فقه العربية: ٢٠٩.

أذنه مقلوب وأن أصله من طَمَن. وخلافه أبو عمر الجرمي (ت ٢٢٥ هـ) فرأى رأياً آخر^(٥). ويقول ابن جنى: ((إنهما أصلان متقاودان كَجَبَدٌ وَجَدَبٌ))^(٦).

ويرى الدكتور (رمضان عبد التواب) أن اعتقادهم الهمزة في كلمة مثل: (اطمأن) أصلية ((يكذبه أن المادة في العبرية: (طَمَن) Tāman ليس فيها الهمز والتعليل العلمي لوجود الهمز فيها في العربية، أن الكلمة أصلها: (اطمأن)، على وزن: احمأً واصفأً، ثم استخدمت الكلمة في الشعر بكثرة، فاضطر الشاعر إلى التخلص من النقاء الساكنين - على قول النحاة - بإقحام همزة، كما قال كثير عزة: وأنت ابن ليلى خير قومك مشهداً إذا ما احمأرت بالعبيط = العوامل))^(٧).

خامساً: ضياع صيغة المبني للمجهول في العامية العربية:-

يلاحظ أن صيغة المبني للمجهول (فَعِلَ و يُفَعَلُ) في الفصحى قد نابت عنها في العامية: (انفَعَلْ)؛ مثل: انكذب، وانفهم، وينعمل. بدلاً من: كذب، وفهم ويعمل، أو صيغة: (انفَعَلْ)؛ مثل: اتقتل، واترعى، بدلاً من: قتل، ورعى.

ويرى الدكتور (رمضان عبد التواب) أن دراسة اللغات السامية قد تفسر لنا مثل هذه الظواهر في العامية العربية، ففي اللغة العبرية توجد الصيغة الأولى، وهي على وزن: (نفعل)؛ مثل: نقتل، بمعنى قتل، وفي الآرامية توجد الصيغة الثانية، على وزن: (انفعل)؛ مثل: اتقتل، بمعنى: قتل^(٨).

سادساً: اشتقاق لفظة أسم:-

أختلف اللغويون القدامى في أصل اشتقاق الاسم، فقد ((ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوسم وهو العلامة، وذهب البصريون إلى أنه مشتق من الأسمو، وهو العلو... أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا أنه مشتق من الوسم؛ لأن

(٥) ينظر: الكتاب: ٢ / ١٣٠، والخصائص: ٢ / ٧٤، واللسان (طمن): ١٧ / ١٢٨.

(٦) الخصائص: ٢ / ٧٥.

(*) العبيط: ((الدم الخالص الطري))، مختار الصحاح: (عبط) ٤٠٩.

(١) فصول في فقه العربية: ٤٩. والبيت في ديوانه: ٢٩٤.

(٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ٤٩، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٣٩.

الوهم في اللغة هو العلامة، والاسم وسم على المسمى، وعلامة له يعرف به... وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا أنه مشتق من السمو؛ لأن السمو في اللغة، هو: العلو، يقال: سما يسمو سموًا، إذا علا، ومنه سميت السماء سماءً لعلوها، والاسم يعلو على المسمى، ويدل على ما تحته من المعنى... ((^(٣)).

وفي ضوء مقارنة الأصوات السامية يقرّر الدكتور عبد التواب ((أن هذه الكلمة، مع كلمات أخرى كثيرة؛ مثل: (يد) و(دم) ذات أصل ثنائي، فهذه الكلمة في العبرية: (شيم) Šēm، وفي الآرامية: (شما) Šmā، والألف الأخيرة فيها أداة التعريف، وفي الحبشية: (سم) Sem، وفي الأكادية: (شُم) Šumu))^(١).

وإلى مثل هذا ذهب الدكتور إبراهيم السامرائي وقرّر: ((أن الاسم من المواد الثنائية القديمة في العربية وهي كذلك في اللغات السامية الأخرى فالسين والميم أو الشين والميم مادة الكلمة، ولم تكن الألف إلا زيادة اقتضاها الوصول إلى الساكن وهو السين؛ لأن العربية قد جرت على ألا يُبتدأ فيها بساكن... ولعلّ بسبب من ذلك أن طريق هذه الألف في رسم (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) كما حذف ألف (ابن) بين علمين))^(٢).

سابعًا: أصل (ليس):-

إنّ اللغويين الأقدمين عرّضوا لمواد فعلية إلا أنّهم ذكروا فيها ما لا يتصل بحقيقتها إمّا لنقص في أدواتهم، وإما لبعدهم عن الأسلوب العلمي الذي يقوم على المقارنة في بحث المسائل اللغوية السامية^(٣).

ومن هذه المواد الفعل (ليس)، إذ يقول الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ): إنّها مركبة من ((لا أيس، فطرحت الهمزة، وألزقت اللام بالياء، ودليله: قول العرب:

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف: (١/م)، ٦/١، وينظر: مسائل خلافية في النحو: ٥٩/١.

(١) فصول في فقه العربية: ٤٩.

(٢) النحو العربي، نقد وبناء: ٤٣.

(٣) ينظر: مباحث لغوية: ٦٧.

انتني به من حيث آيس وليس)، ومعناه: من حيث هو ولا هو^(٤). وتبعه الفراء والكوفيون من بعده^(٥).

ويرى الدكتور محمد حسين آل ياسين أن الفراء مصيب في هذا؛ إذ يقول: ((والحق أن مذهبه^(٦) ذلك أنها - أي ليس - سامية قديمة، يقابلها في العبرية (يش) و(لويش) أي: يوجد ولا يوجد، وهو المعنى المقصود من قول العرب الذي نقله الفراء))^(١).

وهناك آراء للغويين آخرين جاءت بخلاف ما قاله الخليل والفراء. فهي عند ابن السراج (ت ٣١٦هـ) حرف بمنزلة (ما)، وتبعه ابن شقير (ت ٣١٧هـ)، وأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)^(٢).

وهناك رأي آخر يذهب أصحابه إلى القول إن (ليس) فعل لا ينصرف، جاء على وزن (فعل) - بكسر العين -، ثم أسكنت عينه للتخفيف^(٣).

وقد قرّر الدكتور (رمضان عبد التواب) أن النظر في ((اللغات السامية الأخرى يدل على أن (ليس) مركبة من (لا) وكلمة (أيسن)، التي لا وجود لها الآن في اللغة العربية، إلا في بعض التعبيرات القديمة، كقول العرب: انتني به من حيث آيسن وليسن) ومعناه: من حيث هو ولا هو، وكذلك قولهم: (الأيسن والأيسن) بمعنى الوجود والعدم. وهذه الكلمة تقبل في العبرية: (يشن) yēš بمعنى: يوجد، ونفيها: (أل يشن) āLyēš = ليس. وكذلك في الآشورية: (إشو) išu ونفيها: (لشو) Laššu وهكذا))^(٤).

ثامناً: أدوات التعريف والتنكير:-

- (٤) العين: (ليس) ٣٠٠/٧.
 (٥) ينظر: لسان العرب: (ليس) ٩٧/٨.
 (٦) الصواب: أنه مذهب الخليل، وهو سابق الفراء في هذا والفراء تبعه فيه.
 (١) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: ٤٠٣.
 (٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢٩٣/١ (طبعة: محمد محيي الدين عبد الحميد)، ودراسات في اللغة: ٥٥.
 (٣) ينظر: المنصف: ٢٥٨/١، والصحاح: (ليس) ٣ / ٩٧٦، ولسان العرب: (ليس) ٩٦ / ٨.
 (٤) فصول في فقه العربية: ٤٨، وينظر تفصيل ذلك في: لحن العامة والتطور اللغوي: ٣٧٣.

كثيراً ما يقف الباحثون عند ظاهرة التعريف والتتكير فيتناولونها بالدرس والمقارنة، وبخاصة في ضوء الأداة ووظيفتها النحوية وتطورها خلال حقبة زمنية حقيقية، والانحرافات التي أصابها - في مرحلة تطورها - مع اختلاف صيغتها بين الساميات أفي السوابق يكون اقترانها بالاسم أم اللواحق؟. وتأتي تلك العناية البالغة من الباحثين بشأن الأداة؛ لأنها تُعد وسيلة مهمة من وسائل تعبير هذا النظام وتشغل الجانب الأكبر منه.

ولعل من الصعب جداً على الدراسة المقارنة حسم مشكلة الأصل التاريخي لنظام التعريف والتتكير، وهل عرفت الساميات - في أصولها الأولى - نظاماً قديماً سبق ظهور الأداة؟ وما خصائصه إن أمكن تحديدها في ضوء تلك الدراسات؟ ((إذ لا يسعنا درس المقارن - فيما عثر عليه من النصوص والنقوش القديمة - أن يحدد زمنياً الأصل الأول لهذا النظام سوى تصورات منشؤها المقارنة والتحليل، وإشارات ضمنية أشار لها ثلثة من الباحثين، نلمس منها اضطراب الدرس المقارن بإزاء هذه المشكلة))^(١). حتى ذهب بعضهم إلى استحالة تعرّف آية وسيلة في السامية الأم للتعبير عن التعريف والتتكير^(٢). ويوجد للتعريف في العربية الأداة: (ال) توضع في أول الكلمة، وفي العبرية الأداة: (ha) على رأي بروكلمان^(٣)، أو (han) على رأي أونجناد، أو: (hal) على الرأي الشائع الذي ارتضاه معظم الدارسين للعبرية، وهذه الأداة - كالعربية - توضع في أول الكلمة وأداة التعريف في العربية الجنوبية لاحقة تلحق آخر الكلمة على هيئة نون مسبوقة بفتحة (an)^(٤).

وفي الآرامية كانت (هأء) تلحق آخر الاسم ثم اختصرت فيما بعد وصارت ألفاً ممدودة تلحق آخر الاسم^(٥).

(٥) الصواب: إليها.

- (١) التعريف والتتكير في العربية: ٧.
- (٢) ينظر: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: ١٦٨.
- (٣) ينظر: فقه اللغات السامية: ١٠٣، وخصائص العربية في الأفعال والأسماء: ٦٨، وأداة التعريف في العربية: ٩٥.
- (٤) ينظر: المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة: ١٤.
- (٥) ينظر: أداة التعريف في العربية: ٩٥.

وفي السريانية كانت تلك الألف الممدودة لاحقةً فقدت دلالتها التعريفية بعد زمنٍ وأصبحت جزءاً من الكلمة تلحق نهاية الاسم، فلا تدل على التعريف إلا في المفعول المباشر، الذي أَلْحَقَتْ به السريانية المتأخرة لام الجر (١).
وقد يكون أصل الأداة في السريانية (الألف والهاء) وقد أسقط الاستعمال منها (الهاء) قبل أن تفقد دلالتها التعريفية (٢).

ويرجح علماء الساميات أن الأصل في أداة التعريف السامية هو (الهاء واللام) غير أنه لم تحتفظ به أية لغة من اللغات السامية؛ إذ نجدها في العبرية (هاء) مشكولة بفتحة قصيرة (ה) وبعدها حرف مشدّد، إذا لم يكن من حروف الحلق، فإن كل واحدًا من هذه الحروف لم يُشَدَّد. والتشديد علامة على إدغام العنصر الثاني من عناصر أداة التعريف في أول الكلمة المعرّفة في نظر هؤلاء العلماء.

وهنا يسأل الدكتور (رمضان عبد التّواب) عن العنصر الذي أدغم في هذا الحرف، فيقول: ((إننا نجد العنصر لأداة التعريف في العبرية، هو (اللام) فما المانع أن تكون تلك اللام، هي التي أدغمت هنا في العبرية؟)) (٣).

أمّا العالم (أونجاد) فهو يرى أن الأصل في أداة التعريف السامية هو (الهاء والنون)؛ لأنّ النون ينالها الإدغام كثيراً في العبرية، إلى درجة أن الأفعال التي فوّهها (نون)، قد كوّنت تصريفاً بعينه في هذه اللغة، وقد ذهب إلى هذا الرأي، حين وجد أداة التعريف في العربية الجنوبية هي النون () التي تلحق آخر المعرّف (٤).

أمّا إذا امتنع التشديد في حالة وجود أحد حروف الحلق، فيقول الدكتور عبد التّواب: ((... فلماذا لم تظهر هذه اللام (أو النون) في نطق العبرية، كما ظهرت اللام في اللغة العربية؟ ولماذا استعويض عن ذلك ببطالة حركة الهاء في بعض الأحيان؟)) (٥).

(١) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٤٢.

(٢) ينظر: خصائص العربية في الأسماء والأفعال: ٦٨.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٤٣.

(٤) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٤٣.

(٥) المصدر نفسه: ٢٤٤.

الذين قالوا إنَّ أصل أداة التعريف السامية هي (الهاء واللام)، فسَدَّروا التعريف بالأداة (أل) في العربية، إنَّ الألف حذت محل الهاء في السامية، كما أنَّ اللام تدغم كذلك في العربية في الحروف الشمسية، ولا تدغم في الحروف القمرية فيما بعدها. يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((أما تقابل الألف في العربية مع الهاء في العبرية، فله أمثلة كثيرة؛ فالاستفهام في العربية بالألف، وفي العبرية بالهاء... وفي بعض اللهجات الحديثة تستخدم الهاء في اسم الإشارة وأداة التعريف بدلاً من الألف؛ فيقال: (هليوم) يعني: اليوم، و(هرجل) يعني: الرجل، فهل هذا من الإبدال في داخل اللغة الواحدة، مثل: (أراق وهراق)؟ أو هي عناصر قديمة؟ أو أنَّ الكلام مختصر من اسم الإشارة مع المعرّف، بسبب السرعة في الكلام، وأصل العبارة: (هذا اليوم) و(هذا الرجل))^(١).

وفي بعض اللهجات العربية القديمة، وهي: طيبي، والأزد، وحمير، تحل الميم محل اللام في أداة التعريف، وهي الظاهرة المعروفة عند علماء اللغة العرب، بظاهرة (الطمطمائية). وقد عرفنا أنَّ اللام والميم والنون، من الأصوات المتوسطة أو المدعة، التي يُبدل بعضها من بعض، والأمثلة على ذلك كثيرة من اللغات الجزرية (السامية) نفسها^(٢). أما اللغة الحبشية فلا وجود لأداة التعريف فيها وكذلك الحال في اللغة الأكديّة^(٣).

يُضح مما تقدّم بآه ((ليس لأداة التعريف أصالة في اللغات السامية))^(٤) فسلوك كل لغة من اللغات السامية في اصطناع أداة للتعريف خاصة بها يؤكد أنَّ نظام الأداة كان مرحلة جديدة من مراحل تطوّر نظام التعريف، ولعلَّ ما يؤكد ذلك خلو الحبشية والأكديّة من أداة التعريف.

ويرى الدكتور (رمضان عبد التواب) أنَّ اللغات السامية لم تكن على ما يبدو ((تستخدم في الأصل رمزاً أو أداة بعينها للتعريف. وقد حافظت الأكادية والحبشية

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٤٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٦.

(٣) ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: ١٨٧، وفتح اللغات السامية: ١٠٣.

(٤) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: ١٨٧.

على ذلك الأمر؛ ففي اللغة الحبشية يمكن للاسم المجرد أن يدل على التعريف الإشاري الدقيق؛ فمثلاً كلمة: yōm يمكن أن يكون معناها في سياق النص: (اليوم). ولا تزال تلك المقدرة على هذا السلوك، موجودة كذلك في العربية؛ ففي تاريخ الطبري مثلاً: (سَدُومُ يَوْمًا هَالِكٌ) ^(١) يعني: سدوم اليوم هالك. وفيه كذلك: (فقال أبو قبيس: لا أسلم سنة) ^(٢) يعني: السنة، وفيه أيضاً: (إذما عهدك بالعمل عامًا أول) ^(٣) يعني: العام الماضي) ^(٤).

أمّا نظام التنكير: فعَرَفَ - خلال مراحل تطوره - أكثر من وسيلة واحدة للإفصاح عن دلالاته، وبوصف تلك الوسيلة على أنها عنصرٌ يدلنا على تنكير ما ورد. إنَّ ثمة ظاهرةً شائعةً في اللغات الجزرية (السامية) تدعى بظاهرة (التميم) التي لها علاقة وثيقة بنظام التنكير السامي فضلاً عن ظهور وسيلة أخرى تدل على التنكير، وهي خلو الاسم من العلامة الملحقة به. وفي العربية الشمالية والجنوبية أداة معيَّنة للتنكير، وهي: (الميم) في الجنوبية، ويرجح أن يكون التميم قد تطوّر إلى تنوين في العربية الشمالية، وظلّ محافظاً على دلالاته التنكيرية ^(٥)، فأصبح في الجنوبية (التميم)، وفي الشمالية: (التنوين).

ورجح كثير من الباحثين أن يكون التميم هو اقتباس من (ما) بمعنى: (شئ ما) التي تدل على حالة النكرة في العربية، ومن هؤلاء الباحثين: ميسنر، وبروكلمان ^(٦). ويرى الدكتور رمضان عبد التواب ((أنَّ كلمة: (ما) التي ترتبط بها نهاية التميم، لم يكن لها هناك معنى العموم، وإنما كانت تدل على التفخيم والتعظيم)) ^(٧). ويبدو لي أنَّ القول الأول هو الأرجح؛ لأنَّ الإجماع قام على اقتباس التميم من (ما)، كذلك ((استخدمت العربية الحديثة كلمة (ما) بعد المفرد للتعبير عن كونه نكرة.

(١) تاريخ الرسل والملوك (تأريخ الطبري): ٣٠٦/١.

(٢) تاريخ الرسل والملوك (تأريخ الطبري): ٤٠٦ / ٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣٥٦ / ٤.

(٤) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٤١.

(٥) ينظر: مدخل إلى نحو اللغات السامية: ١٦٨، وأداة التعريف في العربية: ٩٥.

(٦) ينظر: نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي: ٧٩.

(٧) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٤٦.

نجد هذا شائعاً في النثر العربي الحديث، مثل: شئٌ ما وقتٌ ما، اصطلاحٌ ما، تأليفٌ ما، إلى حدِّ ما))^(٢). وهذا التعبير له جذوره في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿جُنْدًا مَا هَمَّالِكَ﴾^(٤). قال البيضاوي في تفسير آية البقرة: ((و (ما) إبهامية تزيد النكرة إبهاماً وشياعاً وتسدُّ عنها طرق التقييد، كقولك أعطني كتاباً ما، أي: أي كتابٍ كان))^(٥).

وتوجد من ظاهرة التمييز بقايا في العربية: في كلمة: (فم) و(ابنم) في مثل قول المتلمس:

وهلّ لي أمٌ غيرُها إن هجوتُها أبى الله إلا أن أكون لها ابناً^(٦).

((بدليل أن الإعراب يجري في هذه الكلمة الأخيرة على النون والميم معاً))^(٧).

ونجد أن الحبشية والعبرية زال منهما أثر التمييز سوى بعض الظروف الجامدة التي ظلت محافظة عليه، ومن أمثلتها في الحبشية: (Temālem) ويعني (أمس)، وفي العبرية: (Yōmām) ويعني (نهار / كل يوم)، ولا تزال كذلك في الأرامية؛ مثل: (īmāmā)، (نهاراً) وكان أصلها قبل دخول التعريف (imam) ((ممّا دلّ على صيرورتها جزءاً من الكلمة فقدت دلالتها التعريفية.

أما الأكدية فقد فقدت معناه الأصلي وظل (التمييز) فيها لادقةً على نحو السدّة العامّة في الأسماء غير مرتبط بمعنى التعريف والتكثير^(٨).

ولقد عرّف اللغويون العرب القدامى أن الأصل في التنوين في العربية هو التكثير^(٩)؛ ولكن ذلك جعل تفسير دخول التنوين في الأعلام العربية؛ مثل: (محمدٌ) و

(٢) دراسات في الأدوات النحوية: ١١٥.

(٣) البقرة / ٢٦.

(٤) ص / ١١.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٦٢/١.

(٦) الخصائص: ١٨٢/٢.

(٧) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٤٧.

(٨) ينظر: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: ١٦٤.

(٩) ينظر: قول ابن جني في المنصف: ٦٩ / ١، والخصائص: ٦٥ / ٣.

(عليّ)، أمرًا صعبًا؛ لأن العلم معرفة كما نعلم . وفي تفسير ذلك، يقول ابن جنّي: ((التنوين دليل التنكير... فإني قلت: فإذا كان الأمر كذلك، فما بالهم نَوَنُوا الأعلام، كزيد وبكر...؟ قيل: جاز ذلك؛ لأنها ضارعت بألفاظها النكرات؛ إذ كان تعرّفها معنويًا لا لفظيًا؛ لأنه لا (لام) تعريف فيها ولا إضافة)) (٣).

ويرى الدكتور (رمضان عبد التواب) في تفسير ذلك ((أنّه يمكن أن يكون في كلّ علم شيء من الشيوخ، وإن كان أقل من شيوخ النكرة؛ إذ كثيرون يسمّون بمُحمّدٍ وعليٍّ وغيرهما؛ فالتنوين في الأعلام للدلالة على هذا الشيوخ النسبي؛ ولذلك نراه يزول عندما يوصف العلم بكلمة: (ابن)؛ لأنّ الدائرة قد ضاقت بهذا الوصف، وأصبح العلم محدّدًا غاية التحديد، ببيان النسب؛ ولذلك لا يدخله التنوين في هذه الحالة؛ فيقال مثلاً: (محمدُ بن علي) وما أشبه ذلك... وليس حذف التنوين من العلم الموصوف بابن هنا، بسبب التقاء الساكنين كما يدّعي بعض النحاة؛ بدليل (حذفه من: هندُ بنت عاصم، على لغة من صرّف هندًا، وإن يلتق ساكنان) (٤). ويدل على أن التنوين في الأعلام لتتكيرها كذلك، أنّه إذ تحدّد تعريف العلم تحديداً قاطعاً بالنداء، منع التنوين؛ كقولنا مثلاً: (يا محمّد) و (يا عليّ) ((٥).

(٣) الخصائص: ٣ / ٢٤٠.

(٤) الاقتراح: ٥٢.

(٥) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٤٨ - ٢٤٩.

تاسعاً: التذكير والتأنيث:-

إنّ الإنسان الأول حينما عرف الفرق بين الذكر و الأنثى في الإنسان والحيوان، لفت نظره هذا الاختلاف في الجنس، وانعكس أثر ذلك بالطبع على لغته. وقد تناول الدكتور (رمضان عبد التواب) ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة مستعيناً بالدراسة المقارنة؛ إذ يقول: ((وتدل مقارنة الأغات السامية مثلاً على أن الساميين القدماء كانوا يفرّقون بين المذكر والمؤنث في اللغة، لا بوسيلة نحوية، ولكن بكلمة للمذكر وكلمة أخرى من أصل آخر للمؤنث؛ ففي اللغة العربية مثلاً: (حمار) للمذكر في مقابل (اتان) لأدثى الحمير.... وفي اللغة العبرية: ayil (كيش) في مقابل: rāhēl (نعجة - رَحَل) لأنثى الكيش. وفي السريانية: gadgā (جَدِي) في مقابل: ezza (عنز)، وهي في الآشورية: gadū (جدي) و énzū (عنز). ومثل ذلك في الحبشية: ab (أب) في مقابل: em (أم). وغير ذلك كثير))^(١).

ولم تسر الأغات البشرية كلّها على نمط واحد في توزيع أسمائها في هذه الظاهرة. فاللغات الهندوأوروبية جعلت الأسماء الموجودة فيها أقساماً ثلاثة: مذكر، ومؤنث، وقسم ثالث محايد، وهو في الأصل ما ليس مذكراً ولا مؤنثاً.

ويرجع الدكتور (رمضان عبد التواب) السبب في هذا التقسيم إلى أنّ الجمادات كالحجر والجبل، والمعاني كالعدل والكرم، وغير ذلك أشياء لا صلة لها بالجنس الحقيقي على وجه الإطلاق، فلا يلحظ فيها تذكير ولا تأنيث بالمدلول الحقيقي الطبيعي لهاتين الكلمتين^(٢).

أمّا اللغات السامية، فقد ورّعت أسماء القسم الثالث وهو المحايد، على القسمين الآخرين، فالأسماء فيها إمّا مذكّرة وإمّا مؤنثة. ومثل ذلك حدث في اللغة الفرنسية^(٣). ويرجع الدكتور (رمضان عبد التواب) هذا التقسيم إلى تأملات خرافية على أنّ العالم كلّه من الأحياء؛ ((إذ إنّنا لا نجد في كثير من الأحيان صلة عقلية منطقية، بين

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٥١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٢-٢٥٣.

الاسم وما يدل عليه من تذكير أو تأنيت. والدليل على فقدان هذه الصلة العقلية، أن من اللغات ما يعدّ بعض الكلمات مؤنثاً، وهي مذكرة في لغات أخرى، والعكس بالعكس؛ فمثلاً تعد اللغة العربية: (الخمير) و(السّن) و(السوق)^(٢)، كلمات مؤنثة، في حين تعدّها اللغة الألمانية مذكرة... وفي العربية أيضاً: (الصدر) و(الأنف) و(اللسان) كلمات مذكرة، وهي على العكس من ذلك مؤنثة في الألمانية))^(١).

وأيضاً بسبب فقدان هذه الصلة بين الاسم ومدلوله الجنسي يرى الدكتور رمضان عبد التواب أن مدلول التذكير والتأنيت قد اهتزّ في أذهن أصحاب اللغة الواحدة أنفسهم. ففي العربية من يظن أن كلمة: (مستشفى) مثلاً مؤنثة، مع أنها مذكرة، وكذلك هناك من يظن أن كلمة: (السلم) مذكرة، وهي مؤنثة كما جاء في القرآن العزيز، في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٢). وهذا هو السر - الذي يراه الدكتور عبد التواب - في أن كثيراً من المؤنثات السماعية في اللغة العربية قد روي لنا التذكير فيها كذلك^(٣)، نحو قول أبي زيد: ((أهل تهامة يقولون: العُضد و العُضد، والعُجز و العُجز، ويؤنثونها. وتميم تقول: العُجز والعُضد ويذكرون))^(٤).

ويمضي الدكتور عبد التواب في نظره المقارن إلى معالجة العلامات الخاصة للتأنيت في اللغات السامية، وهذه العلامات، هي: التاء، والألف الممدودة، والألف المقصورة.

أمّا العلامة الأولى، وهي التاء، فيقول فيها: ((هي أهم العلامات وأكثرها انتشاراً في اللغات السامية... وهذه التاء يُفتح ما قبلها دائماً؛ مثل: كبيرة، وصغيرة، ولحية، ورقبة، إلآ في الكلمات ذات المقطع الواحد عند الوقف، فيأتي ما قبلها ساكناً، في مثل: (بنت) مؤنث (ابن)، و(أخت) مؤنث (أخ) في اللغة العربية. وكذلك: rēst

(* السوق: مختلف فيها؛ فإن أهل الحجاز يؤنثونها وبني تميم يذكرونه، ينظر معاني القرآن، للأخفش: ٦٧/١.

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) الأنفال / ٦١.

(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٥٥.

(٤) الغريب المصنّف: ٣٦١ / ٢، نقلاً عن المصدر السابق: ٢٥٥.

(ميراث) *habt* (هبة) في اللغة الحبشية. وكذلك: *šartu* (شعر) *bēltu* (زوجة / سيّدة / بعلّة) في اللغة الأكادية^(١).

ويرى د. إبراهيم السامرائي أنّ القتحة التي تسبق التاء قد جيء بها في الأصل لغرض صوتي سامي، وهو التخلّص من توالي السواكن عند الوقف^(٢). وأجمع النحاة على أنّ ما فيه تاء التأنيث، يكون في الوصل (تاء) وفي الوقف (هاء). واختلّفوا في أيّهما بدل من الأخرى؛ فذهب البصريون إلى أنّ التاء هي الأصل وأنّ الهاء بدل عنها. وذهب الكوفيون إلى عكس ذلك^(٣).

ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي أنّ الهاء هي العلامة الأولى للتأنيث وأنها تصبح (تاء) في اللفظة الواقعة في جملة في درج الكلام، ومثّل هذا ما هو في العبرية - فعلى سبيل المثال - أنّ اللفظة (شانا) *šena* معناها (سيّنة) أو (نوم) في العربية؛ إذا رُغبت في جملة صارت (شنت) *šenaT*^(٤).

أمّا الدكتور (رمضان عبد التّواب) فيرى أنّ التاء هي الأصل، يقول: ((ونحن عندما نقول: أنّ التاء تقلب هاء، إنّما ننظر إلى النتيجة النهائية، لا إلى التطور الصوتي؛ فلهّ ليس ثمة علاقة صوتية بين التاء والهاء، وإنّما تطوّر المسألة أنّ التاء سقطت حين الوقف على المؤنث، فيبقى المقطع السابق عليها مفتوحاً ذا حركة قصيرة. وهذا النوع من المقاطع، تكرمه العربية في أواخر الكلمات، فتجنّبها بإغلاق المقطع عن طريق امتداد النفس بهاء السكت. وهكذا يبدو الأمر كما لو أنّ تاء التأنيث قلبت هاء، على أنّ الحقيقة هي أنّ التاء قد سقطت لعلّة، وأنّ الهاء قد جاءت لعلّة أخرى، فليس بينهما تبادل صوتي، كما ترى! ولأنّ هذه التاء تقلب هاء في الوقف - كما ذكرنا - رُسمت في الإملاء العربي على صورة الهاء؛ فلنّ كل كلمة تكتب في الخط العربي، كما ينطق بها في الابتداء والوقف ... والدليل على أصالة التاء في هذه

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٦٥.

(٢) ينظر: ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية: ٤٨.

(٣) ينظر: الكتاب: ٣١٣/٢، والمقتضب: ٦٣/١، والمنصف: ١٥٩/١، وشرح المفصل لابن يعيش:

٨٩/٥، وشرح الشافية: ٢٨٨/٢، والأشباه والنظائر للسيوطي: ١ / ٤٦.

(٤) ينظر: النحو العربي، نقد وبناء: ١٤٠.

اللغات كلها أنها تعود للظهور مرّة أخرى عند الاتصال بمضاف إليه؛ فالتر اكيب الإضافية تحتفظ بالعناصر اللغوية القديمة... مثال ذلك في العبرية: yalaat mōšē (بنت موسى) وفي الآرامية: makathō (مَلِكْتُهُمْ) ((^(١))).
ويبدو لي أنّ هذا التعليل الذي طرحه الأستاذ الفاضل تعليل طريف ومقبول لتوالي التاء والهاء على المؤنث عند الدرج وعند الوقف.

أما العلامة الثانية: فهي الألف المقصورة، وهي في العربية في صيغة (فُعَلَى) مؤنث: (أفَعَل) الدال على التفضيل؛ مثل: أكبر - كبرى، وهي تقابل في اللغة العبرية: (ay) في مثل: sāray إلى جانب: sara (سارة)، وتقابل في الآرامية: tuḡay (ظلاله)^(٢). وقد تطوّرت (ay) في بعض كلمات العبرية والآرامية القديمة إلى (ē)^(٣).

أما العلامة الثالثة للتأنيث: فهي الألف الممدودة فتوجد في اللغة العربية في صيغة (فُعَلَاء) مؤنث (أفَعَلْ) الدال على الألوان والعيوب مثل: أَحْمَر - حَمْرَاء وأَعْرَج - عَرَجَاء^(٤).

وقرّر الدكتور عبد التواب أنّ هاتين العلامتين الثانية والثالثة قد زالتا تقريبًا من بعض اللهجات العربية الحديثة، وحلّت محلّها تاء التأنيث، في نحو: حمراء - حمرة، وصحراء - صحرة، وعمياء عمية، وغير ذلك^(٥).

ويبدو لي أنّ هذا الحلول من جهة الرسم، أما من جهة الأداء (النطق) فالحلول من نصيب (الهاء)، أي أنها تكتب بالتاء وتنطق بالهاء، وحال هذا التصرف مثل الحال الذي عليه الفصحى وأداؤها.

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٥٧ - ٢٥٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦١ - ٢٦٢.

(٣) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ١١٥.

(٤) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٢٦١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٢.

المبحث الثاني

علم اللسانيات ومناهج العرب القدامى

من الجدير بالفخر والمباهاة ذلك الجهد الكبير الذي بذله أسلافنا في البحث والتنقيب، ومشاهدة العرب، وجمع ألفاظ اللغة، وتبويبها في أنواع شتى من الترتيب والتبويب. وفي أبنية الكلمة، ونظام الجملة ووظائف الكلمات في داخل الجمل، فحالفوا لنا تراثاً ضخماً تباهى به الأمة العربية سائر الأمم في هذا المضمار، منذ أن وصل إلينا كتاب سيبويه النحوي البصري الشهير أول كتاب كامل يُبهر النفوس ويستحوذ على القلوب، ويبحث على الإعجاب بعقلية مبدعه وتفكير مدسسه. ومن ذلك التراث اللغوي أيضاً كتب فقه اللغة العربية، فإنها حقاً تبعت على الإعجاب والإكبار، إذ يظهر في شيء من قضاياها سبق بعض علمائنا القدامى لأحدث النظريات اللغوية في العصر الحديث، بألف عام أو يزيد، ففيها علم كثير، ونظريات لغوية تقف شامخة أمام بعض ما وصل إليه العلماء، في عصر التكنولوجيا الحديثة والعقول الإلكترونية. وعلى الرغم من أن شيئاً غير قليل من هذا التراث اللغوي قد عفاً عليه الزمن، وتجاوزته النظريات اللغوية الحديثة، لانشغاله ببعض الفروض الظنية، قد أثبت الدكتور (رمضان عبد التواب) سبق بعض علمائنا أحدث النظريات اللغوية في العصر الحديث، فهو يقول: ((فلننا نقع فيه هنا وهناك في بعض الأحيان، على الكثير من الآراء والنظريات التي يظن بعض الناس أنها وليدة الفكر الغربي في عالمنا المعاصر))^(١).

وسنتناول جهود الدكتور عبد التواب في هذا المجال من خلال ما يأتي:-

(١) دراسات وتعليقات في اللغة: ١٨٢.

أولاً: تفضيل لغة ما على غيرها :-

كان علماء الغرب يقرّون كل لغة بالإضافة إلى اللغات الأخرى؛ من جهات متعددة، كجمال الأسلوب، وضخامة التراث القديم، والثروة الكلامية، وغيرها من البحوث التي تلعب فيها الأحكام الذاتية لا الموضوعية دوراً كبيراً. حتى جاء (دي سوسير) أبو الدراسات الوصفية الحديثة، ليقول لأولئك العلماء: إن الموضوع الوحيد والصحيح في تعلم اللغة، هو اللغة ذاتها ومن أجل ذاتها^(١).

ويقرّر الدكتور (رمضان عبد التواب) أن هذا الذي يقول به (دي سوسير) نقرّوه عند بعض علماء العربية، وساق لنا نصاً لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) في هذا المعنى، فهو يقول: ((وقد تَوَهَّم قومٌ في لختهم أنها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له؛ لأنّ وجوه الفضل معروفة، وإنما هي بعملٍ أو اختصاص، ولا عمل للغة، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ يُبَيِّنُ لَهُمْ ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَرْتَدُّ بِلِسَانِكَ لَعْنَهُمْ يُتَدَكَّرُونَ ﴾^(٣). فأخبر تعالى أنه لم ينزل القرآن بلغة العرب إلا ليفهم ذلك قومه - ﷺ - ، لا لغير ذلك. وقد غلط في ذلك جالينوس، فقال: إن لغة اليونانيين أفضل اللغات؛ لأنّ سائر اللغات إنما هي تشبه إمّا نباح الكلاب، أو نقيق الضفادع. وهذا جهل شديد؛ لأنّ كلّ سامع لغة ليس لغته ولا يفهمها، فهي عنده في النصاب الذي ذكر جالينوس ولا فرق))^(٤).

هذا قول فيه نظر؛ لأنّ الله ﷻ حينما اختار العربية لغةً لتنزيله الحكيم وشرع نبيه القويم (ﷺ) ففي ذلك حكمة من لدنه تبارك وتعالى. وإننا نستنبط تفضيل العربية بوصفها لغة التنزيل العزيز أنّها أظهرت إعجاز القرآن فلم تكن مجرد لغة كتاب سماوي، كالعبرية، بل كانت لغة إعجاز عظيم وأسلوب إلهي لم يرتق إليه بنو الإنسان، بل إن الله سبحانه وتعالى تحدى أهل العربية أن يجاروا هذا النص فلم

(١) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ١٨٢.

(٢) إبراهيم / ٤.

(٣) الدخان / ٥٨.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام: ١ / ٣٢.

يستطيعوا، فضلا عن أنّ فضل العربية وشرفها يعدّ من الحقائق العلمية التي أسندتها الروايات الكثيرة.

ثانياً: السليقة اللغوية:-

السليقة اللغوية عند المحدثين من علماء اللغة: هي مرحلة من مراحل إتقان اللغة، عندها لا يكاد يشعر المتكلم بخصائص كلامه، فيؤدي الكلام بصورة آليّة، من دون أن يكون له أي اختيار في نواحي الأصوات، وأبذية الألفاظ، وتراكيب الجمل، بل تصدر منه من دون تكلف أو تعمد، وإنما بحسب ما سمع في صغره ممن حوله من الكبار. فإن اكتساب اللغة يبدأ بالتقليد وكثرة المران، ولا يقال للطفل في أثناء تعلمه لغة أهله وقبل أن يسيطر عليها: أنّه يتكلمها بالسليقة، فلا وراثة بالسليقة اللغوية، فاللغة ملك من يتكلمها، فالطفل الذي يولد من أبوين مصريين ثمّ يندشأ بعيداً عنهما في بيئة إنكليزية، يشبّ وينمو كالإنكليزي من حيث اللغة^(١).

وقرّر الدكتور رمضان عبد التواب أنّ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) قد فطن إلى مثل نظرية المحدثين هذه^(٢)، مستشهداً بقوله: ((اعلم أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة؛ إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها، بحسب تمام الملكة أو نقصانها... والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال؛ لأنّ الفعل يقع أولاً، وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنّه صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة، أي صفة راسخة))^(٣).

ثالثاً: العلاقة بين اللغات السامية:-

لم يعرف المحدثون العلاقة بين اللغات إلا في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي بعد أن أميط اللثام عن رموز اللغة السنسكريتية عام (١٧٨٦م)^(٤). فأفرزت الدراسات المقارنة للغات الإنسانية مجاميع ((ووضعت اليد على وشائج متينة من

(١) ينظر: مستقبل اللغة العربية المشتركة: ١٣ - ١٤.

(٢) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ١٨٤.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٦٤٨.

(٤) ينظر: موجز تاريخ اللغة: ٢٢٤.

التشابه بين لغات كل مجموعة مما جعلها، أسراً لغوية: ووضعت لغتنا العربية في مجموعة اصطلاح على تسميتها باللغات السامية، وأول من اصطلاح هذه التسمية (شلوتزر shlözer في بحث نشره سنة (١٧٨١م)، ثم شاعت هذه التسمية)^(١).

وقد وجد الدكتور (رمضان عبد التواب) أن اللغويين العرب القدامى قد أدركوا هذه العلاقة بين اللغات الجزرية (السامية)، منذ فجر التأليف في العربية، مستشهداً بنصوص تدلّ على إدراكهم ذلك للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، وابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، والإمام السهيلي (٥٨١هـ)، وأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)^(٢).

ونذكر بعض ما قاله هؤلاء العلماء في هذا الميدان.

يقول الخليل: ((وكنعان بن سام بن نوح، ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية))^(٣).

وعرّف أبو عبيد بن سلام اللغة السريانية، وأداة التعريف فيها، وهي الفتحة الطويلة في أواخر كلماتها^(٤).

وقال الزجاج عن أصل كلمة (قُدوس): ((إن أصل الكلمة سرياني، وإنه في الأصل قُدُشا. وهم يقولون في دعواتهم: (قُدَيْش، قُدَيْش)، فأعربته العرب، وقالت: قُدوس))^(٥).

(١) مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية: ٣.

(٢) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ١٨٤ - ١٨٦.

(٣) العين: ٢٣٢ / ١.

(٤) ينظر: الزينة في الكلمات الإسلامية: ١ / ٧٧.

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى: ٣٠.

ويقول ابن حزم الأندلسي: إن من يتدبر العربية والعبرانية والسريانية، يجد أنها لغة واحدة في الأصل^(١). كذلك يقول الإمام السهيلي: ((وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي، أو يقاربه في اللفظ))^(٢).

أمّا أبو حيّان الأندلسي فقد عرف الحبشية، وآف فيها تاليفاً مستقلاً، وأدرك علاقتها بالعربية؛ فقال: ((وقد تكلمت عن كيفية نسبة الحبش في كتابنا المترجم عن هذه اللغة، المسمّى: بجلاء الغبش عن لسان الحبش، وكثيراً ما تتوافق اللغتان: لغة العرب ولغة الحبش، في ألفاظ وفي قواعد من التراكيب النحوية، كحروف المضارعة، وتاء التأنيث، وهمزة التعديّة))^(٣).

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الدكتور هاشم الطعلن قد سبق الدكتور (رمضان عبد التواب) إلى بيان جهد العرب في هذا المجال، وذلك في كتابه: (مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية) الذي نُشر ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة في بغداد سنة (١٩٧٨م). أمّا دراسة عبد التواب فكانت ضمن البحث الذي ألقاه بجامعة اليرموك بالأردن سنة (١٩٨٨م)، الموسوم بـ (التراث العربي ومذاهج المحدثين في الدرس اللغوي)^(٤).

رابعاً: الحركات القصيرة والطويلة في اللغة:-

مما أكّته الدراسات الصوتية الحديثة أنّ الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة فرق في الكمية لا في الكيفية، أي أنّ طريقة النطق في كليهما واحدة، ولكنّ زمن النطق يقصر ويطول في كلّ صوت، فإذا طال الزمن في الحركة القصيرة أصبحت طويلة، والذي يحدد الطول والقصر هو العرف اللغوي عند أصحاب اللغة،

(١) ينظر: الأحكام في أصول الأحكام: ٣١.

(٢) التعريف والإعلام: ١١.

(٣) البحر المحيط: ٤/ ١٦٢.

(٤) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ٨.

أي أنّ الطول والقصر أمر نسبي متوقف على سرعة الأداء وبطئه، فيقلّ طول الصوت عند سرعة الأداء، ويزيد طوله عندما تقل (١).

يقول الدكتور (رمضان عبد التواب): إنّ العلاقة بين الحركات القصيرة والطويلة كانت معروفة عند بعض اللغويين القدامى، وقد استشهد لذلك بنصوص تدل على تلك المعرفة لعدد من اللغويين العرب، منهم: الخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ)، وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) (٢).

وإليك من هذه النصوص، قول الخوارزمي: ((الواو الممدودة اللَّيْنَةُ ضمة مُشْبَعَةٌ، والياء الممدودة كسرة مُشْبَعَةٌ، والألف الممدودة فتحة مُشْبَعَةٌ)) (٣).

وكذلك أفاض ابن جني في شرح هذه الفكرة في أكثر من كتاب من كتبه، كقوله: ((اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، وكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة، وهي الفتحة والكسرة والضمّة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمّة بعض الواو)) (٤).

ويقول في موضع آخر: ((الضمّة قد تجري مجرى الواو، وهي واو صغيرة، كما أنّ الكسرة ياء صغيرة، والفتحة ألف صغيرة، وهذه الحروف عن هذه الحركات تنشأ متى كُنَّ مدّات، نحو: رسالة، وصحيفة، وعجوز)) (٥).

وبهذا يقرر الدكتور رمضان عبد التواب أنّ ابن جني ((أحسن كما يحسُّ علماء الأصوات من المحدثين، أنّ الفرق بين الحركات و حروف المدّ ليس إلاّ فرقاً في الكمية والزمن الذي يستغرقه نطق كلّ واحد منها)) (٦).

ويقول الدكتور غاتم قنوري الحمد: ((ولا يغضُّ من شأن موقف علماء السلف من إدراك حقيقة النوايب تسمية المقصورة حركات، وتسمية الممدودة حروفاً؛ فإنّ

(١) ينظر: علم الأصوات اللغوية: ١٠٣، و دراسات وتعليقات في اللغة: ١٨٦، والأصوات اللغوية: ٣٨، وفي البحث الصوتي عند العرب: ٥٠ - ٥١، ودروس في علم أصوات العربية: ١٤٥.

(٢) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ١٨٦ - ١٨٨.

(٣) مفاتيح العلوم: ٣١.

(٤) سر صناعة الإعراب: ١ / ١٩.

(٥) المنصف: ٢١٣ / ١.

(٦) دراسات وتعليقات في اللغة: ١٨٧.

ذلك يرجع إلى رواسب تاريخية قديمة، وهم مع ذلك مدركون أنّ القصيرة والطويلة، أصوات من طبيعة واحدة^(١).

وهذا يفسر قول أبي علي الفارسي: ((وهذا الذي يسميه حركة حقيقية أنّه حرف، فالفتحة كالالف، والضمة كالواو، والكسرة كالياء، في أنهى حروف كما أنّها حروف، إلا أنّ الصوت بهيئاً أقل من الصوت بالالف وأختها، وقلة الصوت بهيئاً ليس يخرجها عن أن يكُن حروفاً...))^(٢).

وكذلك يمكننا القول إنّ العلاقة هذه بين الحركات وحروف المدّ من طبيعة واحدة كانت معروفة عند اللغويين العرب منذ أيام سيبويه بدليل قوله: ((فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو))^(٣).

خامساً: التنوين في العربية:-

عرف المحدثون من خلال دراساتهم للأغات السامية أنّ التنوين في العربية علامة على تنكير الاسم تلحق بآخره، في مقابل أداة التعريف التي تلحق أوله، وقد فصلنا القول في هذا الموضوع سابقاً^(٤).

يقول الدكتور (رمضان عبد التواب): ((وعلى الرغم من أنّ جمهرة النحاة العرب، يقصرون دلالة التنوين على التنكير على بعض الأسماء المبنية... فإنّ بعض قدامى اللغويين كانوا يعرفون بحسبهم اللغوي، هذا الذي عرفناه عن طريق المقارنات السامية))^(٥).

ثم ساق نصوصاً لهؤلاء اللغويين تدلّ على ما ذهب إليه، منها قول ابن جني: ((ويدل عندي على أنّ حرف التعريف قياسه أن يكون على حرف واحد، أنّه ذقيض

(١) المدخل إلى علم أصوات العربية: ١٦٣.

(٢) المسائل المشكّلة (البغداديات): ٤٨٧ - ٤٨٨، وينظر: الأشباه والنظائر: ١/١٧٧.

(٣) الكتاب: ٤/ ١٧٦ (هارون).

(٤) ص: ٦٩ - ٧٥ من الرسالة.

(٥) دراسات وتعليقات في اللغة: ١٨٨.

التتوين، وذلك أنّ التتوين يدل على التكرير، واللام تدل على التعريف))^(١)، ويقول أيضاً: ((التتوين دليل التكرير، والإضافة موضوعة للتخصيص))^(٢).
أمّا ما شاع عند النحاة من أنّ التتوين في الأسماء المعربة للتمكين فينفيه السهيلي وإن كان يعدّه علامة للانفصال؛ فيقول: ((... التتوين الذي هو علامة للانفصال وإشعار بأنّ الاسم غير مضاف إلى ما بعده، ولا متّصل به، وليس دخول التتوين في الأسماء علامة للتّمكّن، كما ظنّه قوم))^(٣).

سادساً: الدراسة التركيبية ونظام الجملة:-

يرى الدكتور (رمضان عبد التواب) أنّ الدراسة التركيبية ونظام الجملة، هي ما تناوله اللّغويون العرب القدامى، تحت اسم (النحو)، وفيه كثير من المبادئ التي ينادي بها أصحاب المدارس الوصفية، من البنيويين والتحويليّين^(٤).
وسأتناول جهده هذا بعرضٍ لكل مبدأ من مبادئ هذه المدارس، ثم أعرض بعض ما وجده عبد التواب الذي يعدّ سبقاً لعلماء العربية في ذلك المبدأ، وذلك على النحو الآتي:-

١. من مبادئ المدرسة البنيوية مثلاً: وصف الواقع اللغوي من خلال السماع من أصحاب اللغة أنفسهم^(٥).

ومن المعروف أنّ السماع أصل من أصول الاحتجاج اللغوي عند نحاة العربية، وقد ساق لنا الدكتور عبد التواب عدداً من الأمثلة عن هؤلاء النحاة التي تؤيد أنّ هذا المبدأ لم يكن غائباً عنهم^(١)، منها: قصة الكسائي حين قدم إلى البصرة، فلقى الخليل بن أحمد، فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز

(١) المنصف: ٦٩/١.

(٢) الخصائص: ٣ / ٢٤٠.

(٣) أمالي السهيلي: ٢٤ - ٢٥.

(٤) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ١٩٣.

(٥) ينظر المصدر نفسه: ١٩٣.

(١) ينظر المصدر نفسه: ١٩٣ - ١٩٦.

ونجد وتهامه، فخرج الكسائي إلى البداية، وأخذ يسائل البدو عن لغتهم ويكتب عنهم ما يروونه، حتى أنفذ خمس عشرة قتيبة من الحبر.

وهذا كتاب سيبويه يمتلئ بتصريحه بالسماع عن العرب، كقوله مثلاً: ((سمعنا ذلك ممن يوثق به من العرب))^(٢)، وكقوله: ((كذا سمعنا العرب تنشده))^(٣)، وكقوله: ((كذا سمعناه من العرب))^(٤)، وقوله: ((وسمعنا عربياً موثقاً بعربيته))^(٥)، وغير ذلك كثير.

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((وقد اختلط وصف الواقع اللغوي عند كثير من النحاة بالتفسير والتعليل، ولكننا لا نعدم هنا وهناك في بعض الأحيان، ميلاً إلى الوصف المحض، الذي يثبت الظاهرة اللغوية، كما ذكرها أصحابها من العرب؛ فقد روى عن الكسائي مثلاً أنه سئل يوماً بحضرة يونس بن حبيب: لِمَ لا يجوز: أعجبنى أيهم قام؟ فقال (أَيُّ كَذَا خَلَقْتَ)^(٦)! و مراد الكسائي أنّ (أَيُّ) الموصولة لا يعمل فيها إلا مستقبل متقدم عليها، كما قال تعالى: ﴿لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾^(٧). فاكتمى بوصف هذا الواقع اللغوي، ولم يحاول تعليل سلوك العربية هذا المسلك في استخدام (أَيُّ). وهذا هو قَمّة المنهج الوصفي في الوقت الحاضر))^(٨).

٢. العناية بالشكل في المقام الأول مع الابتعاد عن أخذ المعنى بالحسبان، هو أحد المبادئ المقررة عند البنيويين؛ فقد كان (بلومفيلد) وهو من أتباع هذه المدرسة، يقرّر أنّ اعتبار المعنى يُعدُّ أضعف نقطة في دراسة اللغة^(٩).

ويرى الدكتور (رمضان عبد التواب) أنّ هذا المبدأ هو المسيطر على الفكر النحوي عند النحاة العرب، منذ أيام سيبويه، وما علاجهم للتعريف والتذكير، والتذكير

(٢) الكتاب: ١ / ٢٠٢.

(٣) الكتاب: ١ / ٢١٤.

(٤) الكتاب: ١ / ٢٥٠.

(٥) الكتاب: ١ / ٤٥١.

(٦) أخيار النحويين البصريين: ٢٧.

(٧) مريم / ٦٩.

(٨) دراسات وتعليقات في اللغة: ١٩٦.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٦.

والتأنيث، والإفراد والتنثية والجمع، والمبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، وغير ذلك، إلا من آثار المنهج الشكلي عند نحاة العربية؛ ((فتراهم على سبيل المثال يعربون: (انكسر الإناء) فعلاً وفاعلاً، مع أن الفاعل الحقيقي في المعنى لا وجود له في اللفظ، كما يعربون نحو: (خاصم محمدٌ عليًا) فعلاً وفاعلاً ومفعولاً، مع أن المفعول هنا فاعل في المعنى كذلك))^(٢).

٣. ومن مبادئ النحو التحويلي مثلاً: المبدأ الذي سُمي في التراجم العربية باسم: (البنية العميقة) و (البنية السطحية) ويؤثر الدكتور عبد التواب أن يسميه باسم: (التركيب المقصود) و (التركيب الظاهر)^(٣).

وهذا هو ما عبر عنه نحاة العربية أحياناً بالأصل والفرع، أو ظاهر اللفظ والمراد منه.

قال الدكتور عبد التواب: ((انظر إلى سيوييه يتحدث عن المبتدأ، فيقول: (هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمراً ويكون المبني عليه مظهراً، وذلك أنك رأيت صورة شخص، فصار آية لك على معرفة الشخص، فقلت: عبد الله وربي، كذلك قلت: ذلك عبد الله، أو: هذا عبد الله). فجملة: (عبد الله وربي) هي التركيب الظاهر، والتركيب المقصود فيها هو: (ذاك عبد الله وربي) تماماً كما يرى التحويليون))^(٤).

(٢) المصدر نفسه: ١٩٧.

(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ١٩٠.

(٤) دراسات وتعليقات في اللغة: ٢٠٠. وينظر كلام سيوييه في: الكتاب: ١ / ٢٧٩ بولاق.

ومن ذلك أيضاً قول الزجاج: ((وقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لَنْ نَكُنَّ﴾ (*) الرفع لا غير، ورفعه بإضمار: لا تقولوا آللهنا ثلاثة)) (١) أي حذف المبتدأ.

٤. فكرة (التوليد) وإنتاج عدد غير متناه من الجمل، بناءً على القواعد الراسخة في عقل الجماعة المتكلمة: -

جعل التوليديون تعيين القواعد النحوية الكامنة وراء بناء الجملة هدفاً لهم. وهذا يعني الكشف عن وجود عدد غير متناه من الجمل في آية لغة، وتوضيح أي نوع من سلاسل الكلمات تشكل جملاً، وأيها لايشكل جملاً، وكذلك وصف البنية النحوية لكل جملة (٢).

قرّر الدكتور رمضان عبد التواب: إن هذه الفكرة لم تكن غائبة عن ذهن نحاة العربية الأقدمي (٣). مستشهداً بنص عبد القاهر الجرجاني (ت ٧١٤ هـ أو ٧٤ هـ) صاحب نظرية النظم المعروفة في التراث النقدي العربي، الذي يقول: ((وإذا عرفت أنّ مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شئها أن تكون فيه، فاعلم أنّ الفروق والوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لاتجد لها ازدياداً بعدها. ثم اعلم أنّ ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض)) (٤).

٥. نظرية العامل:

عادت نظرية العامل إلى الظهور عند التحويليين، وهم يربطون بين هذه القضية وقضايا أخرى كثيرة، التفت إليها نحاة العربية، كالحذف والتقدير، والتقديم والتأخير، وغير ذلك. ففي جملة مثل: (محمدٌ أراد أن يسافر) يقول النحويون: إنّ الفاعل للفعل: (يسافر) محذوف، يدل عليه (محمد) السابق (وهذا هو ما يذكره نحاة

(*) النساء / ١٧١.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٤٢ / ٢.

(٢) ينظر: الألسنية أحدث العلوم الإنسانية: ١٢٧.

(٣) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ١٩٨.

(٤) دلالات الإعجاز: ٨٧.

العربية، حين يقولون إنَّ الفاعل في: (يسافر) ضمير مستتر يعود على: محمد^(١) مقدر
بـ (هو).

٦. الجمل النواة والجمل غير النواة:

عرّف (هاريس) التحويل بأنه عملية نحوية تغيّر ترتيب المكونات في داخل
جملة ما، وبوسعها حذف عناصر أو إضافتها أو استبدالها. وقد ميّز بين مجموعتين
فرعيتين من الجمل النحوية الكلية، القائمة في لغة كالانكليزية مثلاً: الجمل النواة
والجمل غير النواة، والجمل غير النواة يتم اشتقاقها من الجمل النواة. عندما نقول في
العربية مثلاً: (سرق اللصُّ الدارَ) فهي جملة نواة، ويمكن أن نشق منها جملة غير
نواة، نحو: (سُرِق الدارُ) فالعلاقة التحويلية بينهما على النحو الآتي: -

فعل متعدّد مبني للمعلوم + مورفيم المعلوم + اسم (١) + اسم (٢) ← فعل
مبني للمجهول + مورفيم المجهول + اسم (٢).

وهكذا نرى التحويل هنا يقتضي الحذف والاستبدال، وإعادة ترتيب المكونات
ومثل هذا هو ما تمتلئ به كتب النحو العربي من قضايا ترتيب الجملة، والتقديم
والتأخير، وتقدير الأصل والفرع، ووجوب صورة معينة وجواز أخرى^(٢).

ويذكر الدكتور (رمضان عبد التواب) هنا كذلك بما يقوله نحاة العربية من
وجوب ثبات جملة: (ضرب موسى عيسى) على هذا النحو، إن أريد لموسى أن يكون
فاعلاً، ولعيسى أن يكون مفعولاً، وجواز أن يُقال: (ضرب محمدٌ عليًا) و(ضرب عليًا
محمدٌ).

وليس بعيداً عن هذا ما سموه بالتمييز المحوّل عن الفاعل أو المفعول أو المبتدأ
في ردّهم لمثل قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ سَيْبًا﴾^(٣) إلى: واشتعل شيبُ الرأسِ

(١) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ١٩٩.

(٢) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ١٨٩، ودراسات وتعليقات في اللغة:

٢٠٠.

(٣) مريم / ٤.

وقوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾^(١) إلى: وفَجَّرْنَا عيون الأرض وقوله تعالى: ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا ﴾^(٢) إلى: مالي أكثر من مالك، إلى غير ذلك^(٣).

وبهذا يثبت الدكتور رمضان عبد التواب سبق علماء اللغة العرب القدامى لبعض قضايا النظريات اللغوية الحديثة، ويقول أخيراً: ((وأنهم في هذا الذي سبقوا به العصر الحاضر بمئات السنين، يستحقون أن يوصفوا بحق بأنهم قدماء معاصرون))^(٤).

وبعد كلامه هذا يلفت نظرنا إلى أنه ليس من التراثيين السلفيين، الذين يؤمنون بأن اللغويين العرب قد سبقوا إلى كل شيء، وأنه ليس بالإمكان أبدع مما كان؛ فهو يقول: ((ولكنني في الحقيقة ممن يدعون بالباح شديد إلى أن نفتح عيوننا على كل جديد، وأن ندرسه، وأن نتأمله، شأن علمائنا القدامى مع التراث الإغريقي والسرياني، عندما نقله المترجمون في العصر العباسي الأول إلى العربية.

ولي في هذا المقام عبارة لا أمل من تكرارها، وهي: (قولوا في المقول واعملوا المعقول في المنقول).

كما أقول دائماً: إننا واللغويين العرب القدامى سواء أمام النصوص اللغوية المروية. أما تفسيراتهم لهذه النصوص، فقد تتفق معهم فيها، وكثيراً ما نختلف^(٥).

* * *

(١) القمر / ١٢.

(٢) الكهف / ٣٤.

(٣) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ٢٠٠ - ٢٠١.

(٤) المصدر نفسه: ٢٠١.

(٥) دراسات وتعليقات في اللغة: ٢٠٢.

الفصل الثالث

جهوده في دراسة اللهجات العربية

الفصل الثالث

جهوده في دراسة اللهجات العربية

أولاً: نظرة تاريخية في دراسة اللهجات:

وجدت دراسة اللهجات العربية القديمة والمعاصرة عنيفة فائقة عند المتخصصين، متوخين بذلك الكشف عن حقيقة مهمة من تأريخ اللغة العربية وتطورها. ومن أولئك الذين عنوا بذلك الدكتور (رمضان عبد التواب)، وسأعرض في هذا الفصل جانباً من دراسة اللهجات العربية، ومن ثم أبين جهود عبد التواب في هذا المضمار.

اللهجة لغة واصطلاحاً:

اللهجة لغة: جاء في العين: ((اللهجة: طرف اللسان، أو جرس الكلام ويقال: فصيح اللهجة واللهجة وهي لغته التي جُبلَ عليها فاعتادها ونشأ عليها))^(١). واللهجة اصطلاحاً: ((مجموعة من الصفات اللغوية، تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة))^(٢). وعلى هذا الأساس أرجأ الدكتور رمضان عبد التواب التقسيم اللهجي إلى إحساس حقيقي، لدى سكان الإقليم الواحد، بأنهم يتكلمون بصورة ما، تختلف عن الصورة التي يسير عليها سكان الإقليم المجاور^(٣).

(١) العين: (لهج) ٣/٣٩١، وينظر التهذيب: (لهج) ٦/٥٥، والمخصص: ١/١٥٥، والمحكم: ٤/١٢٠، ولسان العرب: (لهج) ٢/٢٥٩، ولهجة قبيلة أسد: ٣١.
(٢) في اللهجات العربية: ١٦، وينظر: لهجة قبيلة أسد ٣١.
(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ٧٢.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ مفهوم اللهجة عند الاغويين القدامى، يختلف عمّا تعارف عليه المحدثون، فقد استعملوا كلمة (لغة) أو (لحن) للدلالة على اللهجة بمفهومها الحديث^(١).

نشأة اللهجات:

من الصعب تحديد الحقبة التي يتم خلالها تكوّن اللهجة تاريخياً؛ إذ إنّ اللهجة قبل أن تنماز من اللغة الأم ومن غيرها من اللهجات بسمت معينة تمرّ بمرحلة من التطور، يصعب تحديد تاريخها؛ إذا لم نقف على تاريخ اللغة العربية ولم نعرف شيئاً عن طفولتها في تلك الحقبة السحيقة من الزمن^(٢)؛ إذ لم تصل إلينا نصوص مكتوبة تبين أحوال هذه اللغة، بل ما وصل إلينا يمثل مرحلة متطورة للعربية الموحّدة شملت أدب ما قبل الإسلام^(٣)، ولا يرقى أقدم أثر عنه إلى قرن ونصف قرن أو قرنين من الزمن قبل الإسلام^(٤).

ومن العسير علينا أيضاً ((أن نحدّد المساحة التي تشغلها كلّ لهجة غير أننا نستطيع أن نحدّد بوجه عام الظواهر اللهجية التي تختص بها هذه اللهجة أو تلك؛ فقد تشترك أكثر من لهجة في ظاهرة أو أكثر من تلك الخصائص اللهجية، وهذا ما يمكن أن نلمسه من خلال دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة والخصائص التي اشتركت أو تفرّدت بها ومدى التأثير الذي أصابها جراء احتكاكها ببعضها))^(٥).

(١) ينظر: في اللهجات العربية: ١٦، ولهجة قبيلة أسد: ٣١.

(٢) ينظر: في اللهجات العربية: ٣٤.

(٣) ينظر: تاريخ اللغات السامية: ١٧٠.

(٤) ينظر: الحيوان: ١/ ٧٤.

(٥) لهجة قبيلة أسد: ٣٢-٣٣.

أسباب نشأة اللهجات:

تتفاوت اللهجات فيما بينها في أثر هذا السبب أو ذلك في تكوّنها، وهذه الأسباب قرّر ها علماء اللغة المحدثون وفصلوا القول فيها^(١)، ومن المفيد أن نذكر أهم هذه الأسباب على النحو الآتي:-

١. العزلة:-

العوارض الطبيعية لها أثر كبير في فرض العزلة، ولاسيما في البيئات البدائية؛ إذ إنّها تقلّل من فرص اتصال المجموعات البشرية، فتنشأ من استمرار هذه الحال طويلاً خصائص لهجية تنمو وتترعرع بمعزل عن ظواهر أخرى تنشأ في بيئة ثانية^(٢).

وتتميّز كلّ منطقة بلهجة لها خصائصها، بحيث يمكن معرفة الفرد من خلال لهجته، يقول فنديريس: ((هناك لهجة محدّدة في كلّ منطقة، يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة، وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين متجاورتين، فإنّه يبقى أنّ كلّاً منهما تتميّز في مجموعها ببعض السمات التي لا توجد في الأخرى))^(٣).

وإنّ الانعزال النسبي بين القبائل العربية مكّن من نشأة اختلافات معيّنة بين لهجة وأخرى، ويزيد البعد بين اللهجات بمقدار ما كان الانعزال قاطعاً وصارماً^(٤).

(١) ينظر: في اللهجات العربية: ٢١، واللهجات العربية في القراءات القرآنية: ٣٧، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٧٨.

(٢) ينظر: في اللهجات العربية: ٢١، واللهجات العربية في القراءات القرآنية: ٣٧، وعلم اللغة: ١٧٥، واللغة والمجتمع: ١٣٢، ودراسة اللهجات العربية القديمة: ٦، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٨٠، وتاريخ اللغات السامية: ١٦٢.

(٣) اللغة لفندريس: ٣١٢.

(٤) ينظر: العربية ولهجاتها: ٣٦.

٢. أسباب اجتماعية:-

إن انقسام المجتمع على طبقات اجتماعية مختلفة الظروف، يؤدي إلى تكوين لهجة خاصة لكل طبقة، ((فالتبقة الارستقراطية مثلاً تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا من المجتمع))^(١).

ويمكن أن تكون لكل مهنة لهجة خاصة، فالتجارة لهجتها، وللزراعة لهجة أخرى وهكذا. ووجد فند ريس أن اللهجة الواحدة قد تتكون خلالها لهجات خاصة، سماها (اللغات العامية الخاصة)، وهذه اللهجات يتحدّد وجودها بوجود جماعات متخصصة كالصنّاع والأشقياء الذين يستعملون فيما بينهم لغة متفقاً عليها^(٢).

٣. الاحتكاك اللغوي:-

يُعَدُّ هذا العامل من العوامل الرئيسة التي تسهم في تكوّن اللهجات، ويحدث نتيجة التجلور مع اللغات الأخرى، أو نتيجة الغزو والهجرات^(٣).

ويبدو أثر هذا العامل واضحاً في اللهجات المعاصرة؛ إذ إن الاستعمار ساعد على تعميق الاختلافات بين اللهجات العربية المعاصرة في تلك البيئات التي استحوذ عليها، أمّا اختلاط طائفة من القبائل العربية القديمة بالأعاجم في أطراف الجزيرة، بشكل أو بآخر؛ فكان سبباً في ترك اللغويين الأخذ عنهم، وهو ما قرره أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ) بقوله: ((... فلم يؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر))^(٤).

وعلى أية حال فمن الممكن أن تسهم هذه العوامل مجتمعة في تكوين اللهجات، وأن يكون لأحدها أثر متميز في نشأتها.

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ٣٨.

(٢) ينظر: اللغة لفند ريس: ٣١٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٨، وفي اللهجات العربية: ٢٣.

(٤) الحروف: ١٤٧.

يقول الدكتور (رمضان عبد التواب): ((إن السبب الرئيسي^(١) لنشأة اللهجات المحلية، يرجع إلى اختلاف الأقاليم، وما يحيط بكل إقليم من ظروف، وخصائص تاريخية وجغرافية وسياسية، على حين أن السبب الأساسي لنشأة اللهجات الاجتماعية، يرجع إلى اختلاف الناس في الإقليم الواحد وما يكتنف كل طبقة من شؤون، في شتى مظاهر الحياة))^(١).

العلاقة بين اللهجة واللغة :-

إن اللغة الواحدة تشتمل على لهجات عدّة، تحتفظ كل منها بخصائصها التي تميّزها من غيرها إلا أنّها ترتبط ببعضها في صفات لغوية تمثل اللغة الموحدة التي تضم تلك اللهجات^(٢)؛ ولذا فإنّ العلاقة بين اللهجة واللغة، ((هي علاقة الخاص بالعام))^(٣). ومع ذلك يصعب في غالب الأحيان تتبع الخط الفاصل ورسمه بين اللغة واللهجة^(٤)؛ إذ ((لم تكن العلاقة بين اللغة واللهجة واضحة، في أذهان اللغويين العرب؛ ولذلك نجد بعضهم يخلط بينهما خلطاً فاحشاً، ويعدّ اللهجات العربية لغات مختلفة، وكلها حجّة^(٥)) ومع ذلك فإنهم لم يرووا لنا من هذه اللهجات إلا مقتطفات متبورة))^(٥).

وما من شكّ في أنّ كلّ لغة كانت في يوم من الأيام لهجة من لهجات كثيرة للاغية من اللغات، ثم حدثت عوامل كثيرة، أدت إلى موت اللغة الأم أو اندثارها، وانتشار كلّ بنت من بناتها في بقعة من الأرض، مكوّنة لغة لها خصائصها ومزاياها، التي تنفرد بها عن أخواتها فاللغات الجزرية (الاسامية) المختلفة كانت في الأصل

(١) الأصواب: الرئيس؛ لأنه صفة فلا يدسب إليه. لذلك لا تقول في الشريف: الشريف، ولا العظيم: العظيم.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ١٦٩.

(٣) ينظر: في اللهجات العربية: ١٦.

(٤) فصول في فقه العربية: ٧٢.

(٥) ينظر: أسس علم اللغة: ٢١١.

(٥) عدّ ابن جنّي كلّ لهجات العرب حجّة، فهو يقول: ((فالناطق على قياس لغة من لغات العرب

مصيب غير مخطئ))، الخصائص: ١٠/٢.

(٦) فصول في فقه العربية: ٧٣.

لهجات لأغة الجزرية الأم، واللغة اللاتينية بعد اندثارها تُعدُّ أمًا للهجات الرومانية المختلفة، التي أصبحت لغات لها كياناتها وخصائصها، وهي: الإيطالية والفرنسية والأسبانية، وكلّ واحدة من هذه اللغات، انقسمت إلى لهجات^(١).

مصادر دراسة اللهجات:

إنّ مصادر اللهجات العربية القديمة متنوّعة بحيث لا يتّسع المجال لذكرها مفصّلة هنا^(٢)؛ لأنّها تطيل الرسالة وتُخرجها عن طورها المرسوم لها، إلا أنّ أهم تلك المصادر:

١. كتب القراءات القرآنية.
٢. كتب تفسير القرآن الكريم.
٣. كتب معاني القرآن الكريم وإعرابه.
٤. المعاجم اللغوية القديمة.
٥. كتب النحو والصرف.
٦. كتب النوادر والإبدال والأضداد.
٧. كتب الأديب بما في ذلك شروح الدواوين.
٨. دواوين شعراء القبائل.

(١) ينظر: فصول في فقه العربية: ٧٣.

(٢) تناول ذلك بالتفصيل الدكتور (أحمد علم الدين الجندي) في: اللهجات العربية في التراث: ١٠٣/١ وما بعدها، والدكتور (إبراهيم السامرائي) في: تاريخ العربية: ٤٠.

صور رواية اللهجات:

١. نسبتها إلى البيئات الجغرافية:-

عزا اللغويون والنحويون طائفة من الظواهر اللهجية إلى بيئات خاصة، مثل: بيئة الحجاز ونجد وغيرها من البيئات الجغرافية التي عرفتها الجزيرة العربية، إلا أن تلك البيئات كانت مواطن لعدة قبائل، ومن ذلك: قال سيبويه: ((وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق، يحققون نبئ وبرينة وذلك قليل رديء))^(١). وفي الصحاح: ((الجدال: البلح إذا اخضرَّ واستدار قبل أن يشتدَّ، بلاغة أهل نجد، الواحدة جدالة))^(٢). وفي اللسان عن ابن الأثير أن ((مضارع الفعل (لَبَّ) يَلْبُ بِلَهْجَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَيَلْبُ بِلَهْجَةِ أَهْلِ نَجْدٍ))^(٣).

٢. نسبتها إلى قبائل محدّدة:-

من ذلك ما جاء في العين: ((... ولغة تميم: شيهيد بكسر الشين، يكسرون فعياً في كل شيء كان ثديه أحد حروف الحلق))^(٤). وجاء فيه: ((والقطعة في طيء، كالعننة في تميم وهي أن يقول: يا أبا الحكا وهو يريد: يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن إيانة بقية الكلمة))^(٥).

وقال الفراء: ((واحدة العضين عضة رفعها: عضون، ونصبها وخفضها: عضين. ومن العرب من يجعلها بالياء على كل حال ويعرب نونها فيقول: عضينك ومررت بعضينك وسنينك، وهي كثيرة في أسد وعامر))^(٦).

٣. نسبتها إلى طائفة من البطون والأحياء:-

(١) الكتاب (هارون): ٥٥٥/٣.

(٢) (جدل) ١٦٥٣/٤.

(٣) (لبب) ٧٣٠ / ١.

(٤) (شهد) ٣٩٨ / ٣.

(٥) (قطع) ١٣٧/١.

(٦) معاني القرآن: ٩٢/٢.

ورد عن الكسائي أنه سمع في (حيث) عدة لهجات فهي عند (بني يربوع وطهية) من تميم بفتح الاء على كل حال في الرفع والنصب والجر، فيقول: حيث التقيا، ومن حيث لا يعلمون، وزاد الكسائي: ((وسمعت في بني أسد بن الحارث ابن ثعلبة، وفي بني فقعس كلها يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب، فيقول: من حيث لا يعلمون، وكان ذلك حيث التقيا))^(١).

٤. نسبتها إلى الأفراد:-

عزا اللغويون القدامى لهجات خاصة إلى بعض الأفراد كالعجاج ويزيد بن مزيد الشيباني وغيرهما^(٢).

٥. لم تنسب إلى أحد:-

ذُكرت بعض الظواهر اللهجية بيّدت أنها لم تُعزَ إلى أصحابها أو بيئتها، فجاء في العين: ((القُثاء والقُثاء لغتان بالكسر والضم))^(٣)، وفي موضع آخر من العين يقول: ((رجل عطشان وامرأة عطشى وفي لغة عطشانة))^(٤). وورد عن أبي الحسن الأخفش مثل ذلك عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾^(٥) أنه قال: ((وقال بعضهم: مَريّة، تكسر وتضم وهما لغتان))^(٦). ومثل تلك الظواهر كثير في المصادر المختلفة ولو عُرِيت إلى قبائلها لخلّفت لنا تراثًا يمكن أن يعطي صورة أوضح من شأنها أن تكشف خصائص تلك اللهجات وطبيعتها.

(١) لسان العرب: (حيث) ١٤٠/٢.

(٢) ينظر: اللهجات العربية في التراث: ٨٥/١ - ٨٦.

(٣) قثا) ٢٠٣/٥.

(٤) عطش) ٢٤٣/١.

(٥) هود/ ١٠٩.

(٦) معاني القرآن: ٣٥١/٢.

أهمية دراسة اللهجات وصعوباتها:

قد تنبّه المعاصرون من اللغويين، على أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة، وأنحوا باللائمة على اللغويين الأوائل لكونهم لم يُعَدُّوا باللهجات، قال جيم رابين: ((إنّ تدوين المادّة الخاصّة باللهجات، كان بالنسبة إلى اللغوي العربي عملاً ثانويًا لم يدخل في نطاق هدفه الحقيقي الذي كان جمع قواعد اللغة الجاهلية وتنظيمها))^(١). وألقى مصطفى صادق الرافعي اللوم على الأوائل لكونهم لم يُعَدُّوا باللهجات وأوجّه اختلافها ((إلا حيث يطلبها الشاهد وتقضيها النادرة في عرض كلامهم؛ لأنهم لم يعتبروها تاريخيًا فقد عاصروا أهلها واستغنوا بهذه المعاصرة عن توريث تاريخها من بعدهم))^(٢).

ويسوّغ إبراهيم أنيس قلّة اهتمام اللغويين باللهجات بعد اتساع الدولة العربية برغبتهم في التقليل من التعصّب القبلي؛ ولذلك أهمل أمر اللهجات ((ولم يرد إلاّ القليل في ثنانيا كتب اللغة والأدب والتاريخ بل إنّ ما روي عنها جاء مبتورًا ناقصًا في معظم الأحيان))^(٣).

أمّا الدكتور عبدة الراجحي فيرى أنّ العرب لم يتوافروا على دراسة اللهجات كما يتوافر على درسها المحدثون؛ لأنّ عملهم كان مرتبطًا بفهم النصّ القرآني وما يتّصل به من نصوص دينية ((أي أنّه كان مرتبطًا باللغة الموحّدة التي نزل بها القرآن الكريم، ومن ثم كان من العبث أن يوجّهوا جهودهم إلى دراسة اللهجات))^(٤).

ويرى الدكتور محمود فهمي حجازي ((أنّ اللغويين الذين جمعوا المادّة اللهجية في القرنين الأوّل والثاني حاولوا أن ينظروا بمعيّار الخطأ والصواب إلى كلّ

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة: ٢٩.

(٢) تاريخ آداب العرب: ١ / ١٣٧.

(٣) في اللهجات العربية: ٤٧.

(٤) فقه اللغة في الكتب العربية: ١١٠.

الظواهر اللغوية التي عرفها عصرهم بل حدود القبائل التي رويها، وهم في عملهم ذلك لم يهدفوا إلى جمع الظواهر اللهجية ودراستها ونسبتها إلى القبائل، بل قصروا همهم على تسجيل بعض الظواهر التي جلبت اهتمامهم^(١).

أما الدكتور عبد الصبور شاهين فيرى ((أن اللهجات العربية لم تدون ولم يُعَن بتفصيلاتها وكان الاهتمام باللغة المشتركة وتسجيل أشعار العرب سبباً في إهمال اللهجات والتّرفع عن الاهتمام بأمرها على أهميته. وما روي منها لا يمكن أن يصنع تأريخاً للغة أو يصوغ فكرة متكاملة))^(٢).

ووجد كلّ من الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور عبد الرحمن أيّوب أنّ علماء اللغة والنحو المتقدمين نظروا إلى اللهجات كما لو كانت أمراً مستقبلاً ينبغي تجنّبه، بل كان همهم أن يؤكّدوا أنّها ليست من العربية الفصحى^(٣).

ولو تأملنا آراء المعاصرين المذكورة آنفاً لوجدناها: إمّا تتعلّق بجهود اللغويين القدامى وأثرهم في رواية اللهجات ثم دراستها، وإمّا بنظرتهم إلى اللهجات.

أما ما يخصّ جهود اللغويين، فقد ذكرت كتب التراجم طرفة من الكتب كتبها القدامى تحمل عنوان (كتاب اللغات) أو عنواناً قريباً منه^(٤)، وأغلب هذه الكتب مفقود، ولو وصل إلينا ما ضاع منها، لأمكن أن يعطينا صورة أوضح بحيث تمثل لهجات القبائل وأوجه الاختلاف بينها.

وأما نظرة اللغويين والنحويين إلى اللهجات، فلم يستقبحوا كلّ اللهجات، وإنّما وردت منهم أحكام متباينة^(٥)، فمرة يذكر اللغوي أو النحوي اللهجتين من دون أن يفضّل إحداها على الأخرى^(٦)، ومرة يذكر اللهجتين ثم يفاضل بينهما^(٧)، وآخرون

(١) علم اللغة العربية: ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) في علم اللغة العام: ٢٢٧.

(٣) ينظر: تاريخ العربية: ٢٥، والتطوّر اللغوي التاريخي: ٣٤، والعربية ولهجاتها: ٣٤٤.

(٤) ذكر الدكتور (هاشم الطعان) قائمة بهذه الكتب، في كتابه: الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة: ١٤٦ - ١٤٨، وينظر أيضاً: اللهجات العربية الغربية القديمة، لرابين: ٣٠.

(٥) ينظر: اللهجات العربية في التراث: ١ / ١٩٦ - ١٩٩.

(٦) ينظر: العين: (وجع) / ١٨٦، وثلاثة كتب في الأضداد: ٥٢.

(٧) ينظر: العين: (لصق) / ٥ / ٦٤، و الكتاب: ٤ / ٤٧٣، والمذكر والمؤنث - لابن الأنباري: ٢٠٣.

يصفون عدّة ظواهر لهجية بأنّها ربيّنة أو قبيحة أو مسترذلة أو قليلة أو نادرة وغير ذلك من الأوصاف التي حفلت بها كتب اللغة^(١).

أمّا المتخصّصون من المعاصرين، فلم تخفت عليهم أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة، فوجّهوا عنايتهم الفاتقة صوبها، وعزا الدكتور (رمضان عبد التّواب) أهمية هذه الدراسات لأمر ثلاثة^(٢):

١. تبين دراسة اللهجات العربية الحديثة أنها ترجع في كثير من الحالات، إلى اللهجات القديمة، أكثر من رجوعها إلى الفصحى.

٢. دراسة اللهجات القديمة من الممكن أن توضّح هل العربية الفصحى ولغة الشعر، حصيلة عدّة لهجات، أو أنّها لهجة قبيلة معيّنة، سادت واتّخذها الشعراء قلباً، ينظمون فيه أشعارهم؟

٣. تنفيذ دراسة اللهجات، في معرفة مصادر القراءات القرآنية المختلفة، التي رويت لنا من غير عزوٍ إلى لهجة معيّنة.

وهناك أيضاً صعوبات كثيرة، تقف أمام دارس اللهجات العربية القديمة أجملها الدكتور رمضان عبد التّواب بما يلي^(٣):

١. غالباً ما نعثر على ملاحظات مهمّة عن اللهجات العربية، في غير كتب اللغويين من الجغرافيين والمؤرخين والفلاسفة والأطباء والرياضيين بمناسبة وغير مناسبة؛ لذا تتطلّب هذه الدراسة تصفّح جميع المؤلفات العربية.

٢. إغفال اللغويين ذكر القبائل التي تنتمي إليها اللهجات، واكتفاؤهم بعبارة (وهي لغة) مثلاً. وكذلك الحال في اختلافهم، في تعيين القبيلة صاحبة اللهجة المذكورة.

(١) ينظر: العين: ٤ / ١٠٨، ودرة الغواص في أوام الخواص: ٤٠.

(٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ٧٣ - ٧٤.

(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ٧٤ - ٧٥.

٣. اصطلاحات اللّويين العرب، غير واضحة تمامًا؛ فلنّ كلمة (لغة) تعبر في بعض الأحيان عندهم عن لهجة قبيلة من القبائل، كما تعبر في أحيان أخرى عن عيوب النطق (اللثغة).
٤. التصحيف والتحريف اللذان ابتليت بهما الكتابة العربية، طمّسا كثيرًا من المعالم الصحيحة، لبعض اللّهجات العربية.

اللّهجات في الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام:

وقف الباحثون مواقف مختلفة إزاء وجود خصائص لهجية تمثل لهجات القبائل العربية القديمة في شعر ما قبل الإسلام وصدر الإسلام. فقد رأت طائفة منهم صعوبة تلمس آثار لهجية في الشعر تمثل هذه اللهجة أو تلك، فذهب الدكتور (طه حسين) إلى ((إنّ اختلاف اللهجات العربية لم يؤثر في شعر الشعراء تأثيرًا ما، فجاء شعرهم على اختلاف قبائلهم متمثلًا))^(١).

ويرى الدكتور شوقي ضيف أنّ أقدم نصوص ذلك الشعر كانت موافقة للهجة قریش التي فرضت سيادتها على اللهجات الأخرى^(٢). واستنتج الدكتور غالب المطلبي بأنّه لا يمكن الركون إلى الشعر لتلمس الظواهر اللّهجية فيه؛ لأنه نظم باللاغة الفصحى التي خلت إلى حدّ بعيد من تلك الظواهر^(٣).

وحينما تطرّق الدكتور (رمضان عبد التواب) إلى هذه المسألة تصوّر أنّ للحرب لونين من الأدب، أحدهما: هذا الأدب الذي وصل إلينا، والآخر هو أدب القبيلة (بصورة شعبية)، فاللون الأوّل يمثل - إلى حدّ كبير - لغة موحّدة منسجمة، لا تكاد تتضمن شيئًا من تلك الظواهر اللّهجية. أمّا اللون الثاني، فلم تصل إلينا منه أعمال

(١) في الأدب الجاهلي: ٩٤.

(٢) ينظر: العصر الجاهلي: ١٣١.

(٣) ينظر: لهجة تميم: ٧٦، ٢٨٩.

متكاملة متمثلة بالشواهد الشاذة التي حفلت بها كتب اللغة والنحو والأدب، ويتضمن ذلك الشعر ظواهر لهجية (١).

وخرج فريق من الباحثين بنتيجة مفادها أنّ آثار اللهجات كانت واضحة في أدب ما قبل الإسلام، وإنّ ما اختلف من هذه اللهجات كان بفعل الرواة أو بمحاولة الأديب نفسه أن يأتي أدبه بلغة قريبة من اللغة الموحدة (٢)، وذهب المستشرقون إلى أنّ اللغة التي نظم بها شعر ما قبل الإسلام لا تعود إلى قبيلة معينة، بل هي مزيج من لهجات عربية مختلفة (٣).

* * *

ثانياً: موقفه من الفصحى ولهجاتها القديمة :

لقد اشتهر بين الناس أنّ اللغة الفصحى هي لغة قريش، وأنّ أهلها وحدهم من هيّا للعرب لغة موحدة نزل بها القرآن الكريم.

ومن النصوص اللغوية القديمة التي تؤيد ذلك، قول أبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ): ((وكانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إيانة عمّا في النفس)) (٤)، وقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): ((إنّ قريشاً أوضح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أنّ الله - جلّ ثناؤه - اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبيّ الرحمة محمّداً ﷺ... فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم... وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أنتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفي كلامهم.

(١) ينظر: فصول في فقه العربية: ٧٧.

(٢) ينظر: الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة: ٢٤٧.

(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ٧٦.

(٤) الاقتراح: ٤٤.

فاجتمع ما تَخَيَّرُوا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طُبِعُوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب))^(١).

ذهب محمد عيد إلى ((أن السبب في رواج فكرة فصاحة قريش واعتبار لغتها سيِّدة اللغات يعود إلى الرغبة في إعلاء شأن قريش، لدافع ديني لا لواقع لغوي، فما دام رسول الله - ﷺ - منهم وهو سيِّد العرب والعجم وما دام القرآن قد نزل عليه فيهم، وهو سيِّد كلام العرب، فإِنَّه ينبغي للغتهم أيضًا أن تكون سيِّدة اللغات، وربَّما توحدت لهجاتهم))^(٢).

أما وجهة النظر الحديثة في هذا الموضوع فمن الممكن أن نجعلها في اتجاهات ثلاثة:-

الأول: ذهب أصحابه إلى أن لغة قريش هي الأفصح بين اللهجات العربية ومن ثم أنزل القرآن بعد ذلك بلغتهم^(٣).

الثاني: ذهب أصحابه إلى أن لغة قريش هي الأفصح بين اللهجات العربية؛ لذا كانت من أقواها أثرًا في تكوين اللغة العربية الفصحى المشتركة، من ثم أنزل القرآن بعد ذلك بهذه اللغة المشتركة.

الثالث: أنكر أصحاب هذا الاتجاه أن لغة قريش هي الأفصح بين اللغات، وذهبوا إلى أن الفصحى تكونت بقدرٍ مشتركٍ اتَّفَق فيه عامَّة العرب الذي خلَّصت إليه لغة التنزيل العزيز^(٤).

(١) الصاحبي في فقه اللغة: ٥٢.

(٢) الصواب: وعدّ.

(٣) المستوى اللغوي للفصحى واللهجات: ٥٥.

(٤) من أصحاب هذا الاتجاه من المحدثين: مصطفى صادق الرافعي، الذي يرى أن العربية مرّت بأدوار ثلاثة من التهذيب اللغوي كان آخرها دور قريش وحدها، وفيه سادت لغتهم قبل الإسلام، ومن ثم أنزل القرآن بعد ذلك بلغتهم، ينظر تأريخ أداب العربية: ١ / ٩٢ - ٩٤.

(٤) منهم الدكتور إبراهيم السامرائي - رحمه الله - إذ يقول ((إن العربية قد وصلت إلينا في قدرٍ مشتركٍ اتَّفَق فيه عامَّة العرب، فجاء واضحا في الشعر القديم، وفي النص الذي خلَّصت إليه لغة التنزيل، إن هذا القدر المشترك هو الفصحى العالي الذي لا يمكن أن ينسب إلى قوم دون قوم))، تأريخ العربية: ٣١.

وذهب الدكتور (رمضان عبد التواب) برأيه مع أصحاب الاتجاه الثاني فهو يرى أن اللهجة القرشية، كانت من أقوى اللهجات أثرًا في تكوين اللغة العربية الفصحى، وأن اللغة العربية المشتركة، لم تكن لغة قریش وحدها، بدليل وجود الهمز فيها، وقریش لاتهمز، كما وردت إلينا الروايات المختلفة بذلك، وإنما هي لغة موحدة، اعتمدت في نشأتها على بعض الصفات الطيبة، في اللهجات العربية المختلفة، سواء في ذلك لهجة قریش أو غيرها^(١).

حقًا يمكن القول بأن لهجة قریش، أسهمت في تكوين العربية الفصحى بعناصر كثيرة، فلا مبالغة إن، في إطلاق عبارة: (لغة قریش) على اللغة العربية الفصحى. وهذا - فيما يبدو - ما كان يقصده (فند ريس) بقوله: ((تقوم اللغات المشتركة دائمًا، على أساس لغة موجودة، حيث تتخذ هذه اللغة الموجودة، لغة مشتركة من جانب أفراد مختلفي التکلم))^(٢).

* * *

ثالثًا: لهجة طين القديمة؛

تناول الدكتور (رمضان عبد التواب) بعض الخصائص اللغوية لقبيلة طين القديمة. واستخرج عددًا من الظواهر اللغوية لهذه القبيلة، والتي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخمسين سنة (١٩٨٣م - ١٩٨٤م). ومن المفيد أن نعرّف أولاً بقبيلة طين، وكما يأتي:-

(١) ينظر: فصول في فقه العربية: ٨٤.

(٢) اللغة لفند ريس: ٣٢٨، وينظر: فصول في فقه العربية: ٨٤.

نسب قبيلة طيى:-

تنسب قبيلة طيى إلى جدّها الأكبر: طيى بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ^(١) و(طيى) لقب له، واسمه جلهمة^(٢). وهي في الأصل إحدى القبائل القحطانية اليمنية؛ فلن (سبأ) هو: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٣).

منازل القبيلة:-

موطن قبيلة طيى في شمالي الحجاز. قال ابن خلدون: ((كانت منازلهم باليمن، فخرجوا منه على إثر خروج الأزد منه، ونزلوا سُميراء وقَيْدًا في جوار بني أسد، ثم غلبوا بني أسد على أجا وسُلَمى، وهما جبلان في بلادهم، يعرفان بجبلي طيى، فاستمروا فيها، ثم اقترقوا في أول الإسلام في القحطات))^(٤).

وقد ذكر اليعقوبي بعض الأماكن التي كانت تقيم فيها على طريق الحاج من الكوفة إلى المدينة ومكة، فقال: ((والأجفر منازل طيى، ثم قَيْد، وهي المدينة التي ينزلها عمال طريق مكة، وأهلها طيى، وهي في سفح جبلهم المعروف بسُلَمى، وتوز وهي منازل طيى))^(٥).

فصاحة طيى:-

تعدّ طيى عند اللغويين والنحاة العرب، من القبائل الفصيحة التي تؤخذ عنها اللغة، فلن القبائل التي نُقلت عنهم اللغة وبهم اقتدى، و عنهم أخذ اللسان العربي هم: قيس وتميم وأسد وهنيل وطيى، فلن هؤلاء هم الذين أكثر ما أُخذ عنهم ومعظمه، وعليهم أتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، وأمّا الباقون فلم يؤخذ عنهم شيء؛ لأنهم كانوا مخالطين لغيرهم من الأمم، مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم

(١) الاشتقاق لابن دريد: ٣٨٠، والعقد الفريد: ٣ / ٣٩٩.

(٢) ينظر جمهرة أنساب العرب: ٣٩٧.

(٣) ينظر: الاشتقاق لابن دريد: ٣٦١.

(٤) العبر لابن خلدون: ٢ / ٢٥٤، نقلًا عن بحوث ومقالات في اللغة: ٢٢٨.

(٥) البلدان لليعقوبي: ٧١-٧٢، وينظر صفة جزيرة العرب: ٣٣٧.

لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم، من الحبشة والهند والفرس والسرانيين وأهل الشام ومصر^(١).

ومما يدل على مكانة اللغة الطائفة في نفوس القوم، ما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ) من أن ((طيناً لا تأخذ من لغة أحد، ويؤخذ من لغتها))^(٢).
 ((وما يؤخذ من لغات طيبي إلا لفصاحتها، ومكانتها بين القبائل الأخرى. كما إن اعتزاز طيبي بلغتها، كان هو السبب - فيما يبدو - في عدم أخذها عمّا عداها من لغات العرب))^(٣).

خصائص لغوية من لهجة طيبي القديمة :

تناول الدكتور رمضان عبد التواب عددًا من الخصائص اللغوية في لهجة طيبي، سألناؤها على النحو الآتي:-

١. ظاهرة الهمز :-

عدّ سيبويه، والمبرد، وابن جني مخرج الهمزة من أقصى الحلق وهو مجهور وشديد^(٤). أمّا المعاصرون فالهمزة عندهم صوت حنجري شديد^(٥)، واختلفوا في صقته، فمنهم من ذهب إلى أنه لا هو بالمجهور، ولا هو بالمهموس^(٦). ومنهم من ذهب إلى أنه مهموس دائماً^(٧).

أمّا الوصف العلمي لإنتاج صوت الهمزة فهو ((ينتج من انطباق الوترين الصوتيين (الغشائيين) والغضروفين الهرميين - في الحنجرة - انطباقاً كاملاً وشديداً،

(١) ينظر: الحروف للفارابي: ١٤٧، والمزهر: ٢١١ / ١، والاقتراح: ١٩.

(٢) غريب الحديث: ٤ / ١١، وينظر: الفائق، للزمخشري: ٣ / ٩١.

(٣) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٣٠.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤ / ٤٣٣ - ٤٣٤، والمقتضب: ١ / ١٩٢، ١٩٥، وسر صناعة الإعراب: ١ / ٥٢ - ٦٩.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٩١.

(٦) ينظر الأصوات اللغوية: ٩١، وعلم اللغة العام: الأصوات: ١١٢، واللهجات العربية في

القرارات القرآنية: ٩٥.

(٧) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٢٤، ومناهج البحث في اللغة: ١٢٥،

ومحاضرات في اللغة: ٩٦.

بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقاً، فيحتبس داخل الحنجرة، ثم يسمح له بالخروج على صورة انفجار، فهو من الناحية العضوية صوت انفجاري (شديد) ((^(١)).
أما موقف قبيلة طيئ من الهمز فيمكن بيئته على النحو الآتي:-

أ. التخلص من الهمز:-

إنّ تحقيق الهمز كان خاصّة من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، وهي تميم وما جاورها، وإنّ التخلص من الهمز خاصّة حضرية، امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربيها^(٢)، ((فأهل الحجاز وهذيل، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون))^(٣).

أما قبيلة طيئ فقد استنتج الدكتور رمضان عبد التواب أنّها كانت تميل إلى التخلص من صوت الهمزة، من خلال ما روي عنهم في المصادر القديمة، مثل: يواخي، ويواكل، ويواسي، تبدلها حرفاً من جنس حركة ما قبلها، فتصير الأمثلة السابقة: يُوَاخي، ويُوَاكل، ويُوَاسي. وتشتق الماضي من خلال هذه الصيغ الجديدة؛ فتقول: واخيْتُ، وواكلْتُ، وواسيْتُ^(٤).

وكذلك أنّهم كانوا يبذلون الهمزة في بعض المواضع هاءاً؛ فقد ((حكى ابن جنى عن قطرب أنّ طيئاً تقول: هُنْ فعلتْ فعلتُ، يريدون: إنْ، فيبدلون))^(٥)، ولم يقتصر قلب الطائيين الهمزة على (إن) الشرطية، بل حكى ذلك عنهم في همزة الاستفهام كذلك؛ فيقولون: ((هَزَيْدُ فعلَ ذلك؟ يريدون: أزيدُ فعل ذلك؟))^(١).

ب. همز ما لا يستحق الهمز:-

(١) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٢٤.

(٢) ينظر في اللهجات العربية: ٦٦.

(٣) لسان العرب: ٢٢/١.

(٤) يذخر: بحوث ومقالات في اللغة: ٢٣٣، وتذخر الأمثلة في: تهذيب اللغة: ٦٢٣/٧، ولسان

العرب: (أخا) ٢٣/١٨.

(٥) لسان العرب: (أنت) ١٧٨/١٦، والممتع في التصريف: ٣٩٧/١.

(١) لسان العرب: (ها) ٣٧٣/٢٠.

روى الفرّاء عن طيبي، أنهم كانوا يهمزون ما لا يستحق الهمز، في قوله: ((وربما غلظت العرب في الحرف، إذا ضارعه آخر من الهمز، فيهمزون غير المهموز، سمعت امرأة من طيبي تقول: رثأت زوجي بأبيات. ويقولون لبأت بالحج، وحلأت السويق، فيغلطون))^(٢) كما روي عنهم من أنهم كانوا يهمزون: (السؤدد)، وهو من سؤدته، أي جعلته سيّداً، فلا أثر للهمز في أصله^(٣).

وكذلك همزهم للألف المقصورة؛ في مثل (حُبلاً) بدلا من: (حبلى) وقد فسر الدكتور رمضان عبد التواب همز مالميس أصله الهمز عند طيبي، في خبر الفرّاء السابق، بأنّه حذقة، أو مبالغة في التفصّح وتقعّر بالكلام، فهم يحاولون أن يرتوا العامية التي يتحدّثون بها إلى نمط اللغة الأدبية، وهم في محاولتهم هذه لا يفرّقون بين الظواهر الجديدة والقديمة، في لغة الخطاب، فإذا ردّوا كلمة جديدة إلى أصلها القديم أصبوا، أمّا إذا فعلوا مثل ذلك مع الكلمات التي احتفظت بالأصل القديم، وشابهت مع ذلك الجديد، فإنهم حينئذ يكونون متقعّرين ومتحذّقين؛ وذلك كمن يعرف أنّ الصوت المركب: (aw) مثلا في العربية الفصحى، يقابل حركة الضم الممالّة: (ō) في العامية؛ وذلك مثل: صوم في صوم، وعوم في عوم، ونوم في نوم، ويوم في يوم، فهو إذا ردّ هذه الكلمات إلى أصلها كان مصيباً في كلامه، غير أنّ هناك كلمات لها مثل هذه الصورة في الأصل في اللغة الفصحى نفسها؛ مثل: (ثوم) و (حوت) و (روح) وغير ذلك. ((وهنا يحاول ذلك المتفصّح أن يقلب هذه الضمات الأصلية إلى الصوت المرّكب، الذي تتميز به اللغة الفصحى؛ فيقول: ثوم، وحوت، وروح، قياساً على ما فعله في تلك الكلمات السابقة، وعندئذ يأتي بشئ لا هو في لهجات الخطب، ولا هو في اللغة الفصحى. وليس مافعله إلا نوعاً من أنواع القياس الخاطئ. وعلى هذا النحو يمكن تفسير ما ليس أصله الهمز في خبر الفرّاء السابق؛ لأنّ أولئك الطائفتين يتركون الهمز في كلامهم ... فيقولون مثلاً: فقيت عينه، ووجيت بطنه، بلا همز، ولكنهم يسمعون اللغة الأدبية في شعر الشعراء، ومواقف الأجدد من القول، وفيها: فقأت عينه، ووجأت بطنه، بالهمز؛ فيقولون بناءً على هذا: حلأت السويق،

(٢) معاني القرآن: ١ / ٤٥٩.

(٣) ينظر: الاشتقاق لابن دريد: ٢١١.

ولَبَّاتُ بِالْحَجِّ، ورثأت الميت عن طريق القياس الخاطي، مبالغة في التَّفصَح، بدلاً من حَلَيْتُ وَلَبَيْتُ وَرَثَيْتُ^(١).

٢ جهر السين والصاد :-

السين والصاد من الأصوات الأسنانية اللثوية، والسين صوت رخو مهموس مرقق، والصاد صوت رخو مهموس مفخم، وهو النظير المفخم للسين^(٢). وقد روي عن قبيلة طيئ أنها كانت تجهر الصوتين، أي تجعل الأوتار الصوتية تتذبذب معهما. وذلك بقلبها زايًا؛ فقال اللغويون: إِنَّ طَيِّئًا تَقُولُ فِي مَدَقَرٍ: زَقَرٌ، وَفِي الصَّقَرِ: زَقَرٌ، وَفِي الصَّرَاطِ: زَرَاطٌ^(٣).

ويقيد أبو الطيب اللغوي، قلب الصاد زايًا في لغة طيئ، بسكونها؛ إذ يقول: ((ويقال: هي المَزْدَغَةُ والمِصْدَغَةُ، لِلْمَحْدَّةِ. وَطَيِّئٌ تَقْلِبُ كُلَّ صَادٍ سَاكِنَةً زَايًا))^(٤). ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أن نطق الصاد عند الطائيين كان بإداله زايًا مفخمًا تشبه نطق العوام للطاء، في مثل كلمة ظلم؛ لأن هذه الزاي هي المقابل المجهور للصاد، غير أن اللغويين دلوا عليه بالزاي المرققة، لعدم وجود رمز للزاي المفخم في الكتابة العربية^(١).

(١) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٣٣- ٢٣٤.

(٢) ينظر: علم الأصوات اللغوية: ٦٥ - ٦٦.

(٣) ينظر: ديوان حاتم الطائي: ٥٥، والأمثال لمؤرج السدوسي: ٥١.

(٤) الإبدال: ١٢٦/٢.

(١) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٢٣٥.

٣. الطمطمانيّة:-

وهي عبارة عن إبدال لام التعريف ميماً، فيقال مثلاً: ((طاب امهواءً وصفاً امجوّ)) أي: طاب الهواء، وصفاً الجوّ^(١).
وقد جاء في الأثر أنه ﷺ، قد نطق بهذه اللغة في قوله: (ليس من أميرٍ امصيامٍ في امسفر)^(٢).

وهذه الظاهرة عزتها بعض المصادر إلى الأزد أو إلى جمير. ولكن كثيراً من المصادر تنسبها إلى قبيلة طيّ^(٣). ومنها في قول بجير بن غنم الطائي:
ذاك خيلاني وذو يواصلي
يرمي ورائي بامسئهم وامسئمة^(٤)

أي: بالسهم والسئمة.

ويقدر الدكتور (رمضان عبد التواب) هذه الظاهرة تفسيراً صوتياً، بقوله: ((هو أنّ اللام والميم من فصيلة واحدة، هي فصيلة الأصوات المتوسطة أو المائعة، وهي مجموعة (اللام والميم والنون والراء)، وهذه الأصوات يُبدّل بعضها من بعض كثيراً في اللغات السامية.

ولا تزال هذه الظاهرة شائعة في العصر الحاضر في بعض جهات اليمن، كما أنّ مذهباً كلمة في اللهجة المصرية، وهي كلمة: (البارحة) التي ينطقها أهل مصر: امبارح^(٥).

- (١) ينظر: فقه اللغة للثعالبي: ١٧٣، و المزهري: ١/ ٢٢٣، ومميزات لغات العرب: ١٢.
(٢) الحديث على هذه الرواية في: مسند الشافعي: ١٥٧، ونصب الراية: ٤٦١/٢، والكفاية في علم الرواية: ١٨٣.
(٣) ينظر: شرح الشافية للرضي: ٣/ ٢١٥، والجني الداني في حروف المعاني: ٢٠٧، وهمع الهوامع: ١/ ٧٩، وشرح الأشموني على الألفية: ٣٧/١.
(٤) البيت في مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٧١/١ (تحقيق: مازن المبارك)
(٥) دراسات وتعليقات في اللغة: ٨٢.

٤- قلب الياء والواو ألفاً في المعتلات:-

من المعروف في العربية، أنّ الياء والواو إذا تحرّكتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفاً^(١)، مثل: رمى أصله: رَمَى، ودعا أصله: دَعَا.

أما: بَقِيَ، وَخَشِيَ، وَلَقِيَ، وَهَوِيَ، وَسَرَوُ، فلم تقلب ياؤها وواوها ألفاً لاختلال شرط الفتح قبلها^(٢). أما قبيلة طيبي، فإنّها تطرد الباب على وتيرة واحدة فتقلب كلّ ياء أو واو متحرّكة ألفاً، بشرط تحرّك ما قبلها على الإطلاق، قد قول: ((بَقَا وَبَقَعَتْ، مكان: بَقِيَ وَبَقِيَتْ. وكذلك أخواتها من المعتل))^(٣).

ويمتلى شعر الطائيين بهذه الظاهرة، وجمع الدكتور عبد التواب عدداً من أبياتهم شاهداً عليها، نذكر منها: قول زيد الخيل الطائي:

أفي كلّ عامٍ منتمّ تبعثونه على محمّرٍ توثبتموه وما رُضا^(٤)

وقوله كذلك:

لعمرك ما أخشى التّصعلك ما بقي على الأرض قيسيّ يسوق الأباعرا^(٥)

وقال رجل من طيبي:

إذا لم يكن مالٌ يرى شنتفت له صدورُ رجالٍ قد بقالهم وقر^(٦)

وقد وجد الدكتور رمضان عبد التواب أنّ هذه الظاهرة لم تقتصر على الأفعال المعتلة عند طيبي، فإنّهم يقلّبون كلّ ياء ألفاً، إذا تحرّكت وتحرّك ما قبلها في الأسماء أيضاً، وجمع المبتوث من أقوالهم في مصادر التراث وشعر بعض شعرائهم^(١)، ومما

(١) ينظر: إزالة القيود عن ألفاظ المقصود في فن الصرف: ١٠٨.

(٢) ينظر: الصرف، لحاتم الضامن: ١٩٣.

(٣) الأصحاح: (بقي) ٦/ ٢٢٨٤، وينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣١١، والجنى الداني للمراذي: ٣٩٠.

(٤) ديوانه: ٢٥، والكتاب: ٦٥ / ١، ونوادر أبي زيد: ٨٠، والبارع: ٥١١.

(٥) ديوانه: ٦٢، والجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٧٠.

(٦) النوادر في اللغة لأبي زيد: ٧٨.

(١) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٢٤٢.

جمعه قولهم: ناصاة^(٦)، وباداة^(٧)، وتوصاة^(٨)، وخظاة بظاة^(٩)، وفالاة^(١٠)، وباناة^(١١) وبقاة^(١٢) في: ناصية، وبادية، وتوصية، وخظية بظية، وفالية، وبائية، وبقاية.

ومما ورد في شعرهم، كقول حريث بن عتاب الطائي:

لقد آذنت أهل اليمامة طيئ
بحرب كناصاة الحصان المشهّر^(١٣).

ومثل ذلك قول حاتم الطائي:

فقلت لأصباة صغار ونسوة
بشهباء من ليل الثمانيين قرّت^(١٤).

يريد: أصببة، جمع: (صبي).

٥. كراهة توالي الأمثال:-

من المعروف في العربية الفصحى أنّ مضتف الثلاثي من الأفعال الماضية، عند إسناده إلى ضمير رفع متحرك، يتعدّر النطق بالفعل؛ لالتقاء الساكنين، ومن أجل ذلك تعود الحركة إلى الحرف الأول، ويفكّ الإدغام وجوباً^(١٥)، مثل: ظلّ، أحسّ: ظَلَلْتُ وَأَحْسَمْتُ.

وقد جاء عن قبيلة طيئ، أنّها كانت تحذف الحرف الأول من المتمثلين، فراراً من توالي الأمثال، فتقول: ظَلْتُ وَأَحْسَمْتُ^(١٦).

ووجد الدكتور عبد التواب أنّ هذه الظاهرة منتشرة في أشعار الطائيين بكثرة^(١٧)، ومن المفيد أن نذكر شيئاً من شعرهم هذا، قال الطرماح بن حكيم الطائي:

(٢) ينظر: المخصص: ٤٠/٦، والجامع لأحكام القرآن: ٣/٣٧٠، ولسان العرب: (نصا) ١٩٩/٢٠.

(٣) ينظر: ديوان امرئ القيس: ١٢٣، والمخصص: ٤٠/٦.

(٤) ينظر: لسان العرب: (ورى) ٢٦٨/٢٠.

(٥) ينظر: لسان العرب: (خظا) ٢٤٥/١٨.

(٦) ينظر: مجالس ثعلب: ٤٩٦/٢.

(٧) ينظر: مقاييس اللغة: ١/٣٠٢، ولسان العرب: (بني) ١٠٤/١٨.

(٨) ينظر: الممتع في التصريف: ٥٥٧/٣.

(٩) النوادر في اللغة لأبي زيد: ١٢٤.

(١٠) ديوانه: ١٠.

(١١) ينظر: الصرف لحاتم الضامن: ٩٥.

(١٢) ينظر: شرح المفصل: ١٥٣/١٠.

أَذِنَ النَّاوِي بِنَيْتُونَاةٍ ظَلَمْتُ مِنْهَا كَصَرِيحِ الْمُدَامِ^(٤)

ومثل ذلك قول حُرَيْثِ بْنِ عَتَّابِ الطَّائِي:

عَوَى ثَمَّ نَادَى هَلْ أَحْسَدْتُمْ قَلَانِصَا وَسِيمُنْ عَلَى الْأَفْحَاذِ بِالْأَمْسِ أَرْبَعَا^(٥)

يريد: أَحْسَدْتُمْ. وبهذه الالفة جاء القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَيْكَ إِلَهَيْكَ

الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ مَا كُنَّا^(٦)﴾. وقوله: ﴿فَنظَلْتُمْ تَفَكُّورًا^(٧)﴾.

٦. كسر حروف المضارعة:-

تطرق سيبويه إلى هذه الظاهرة في باب (متكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحروف حين قلت فَعَلْ) وعزاها إلى جميع العرب ((إلا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تَعْلَمُ ذاك، وأنا أعلم، وهي تَعْلَمُ، ونحن نَعْلَمُ ذاك))^(٨). ولم يرد في اللهجات العربية القديمة كسر حرف المضارعة إذا كان ياءًا فـ ((جميع العرب إلا أهل الحجاز يجوزون كسر حرف المضارعة سوى الياء))^(٩). وقد عرفت هذه الظاهرة عند كثير من اللغويين باسم (تثنية بهراء)^(١٠).

وقد اشتهرت ظاهرة كسر حرف المضارعة عن قبيلة طيبة في مضارع الفعل (خال) عند إسناده للمتكلم، وهو: (إخال)^(١١)، يقول الدكتور عبد التواب: ((يبدو أن العربية الفصحى قد تأثرت باللغة الطائية في كسر همزة الفعل: (إخال)، فاستخدمه

(٣) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ٧٣ - ٧٤.

(٤) ديوانه: ٤٠٠.

(٥) مجالس ثعلب: ٢/ ٥٣٧، وخزانة الأدب: ٤/ ٥٨٣، وشرح شواهد المغني: ١٩٠.

(٦) طه / ٩٧.

(٧) الواقعة / ٦٥.

(٨) الكتاب: ٤/ ١١٠.

(٩) شرح الشافية للرضي: ١٤١/١٢.

(١٠) ينظر: مجالس ثعلب: ١/ ٨١، وعنه في الخصائص: ٢/ ١١، وخزانة الأدب: ٤/ ٩٦، ومميزات

لغات العرب: ٢١.

(١١) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ٧٩.

الشعراء كثيرًا في هذه الصورة))^(٤)، مثل أبي ذؤيب^(٥)، والعباس بن مرداس السلمي^(٦)، وزهير بن أبي سلمى^(٧)، وكعب بن زهير^(٨).
ولذلك يقول المرزوقي: ((خَلْتُ أَخَالَ، وإِخَالَ طَائِيَّةٌ، فكثرت استعمالها في الأسنان غيرها، حتى صار (أخال) كالمرفوض))^(٩). كما يقول الرضي: ((والكسرة في همزة إخال وحده أكثر وأفصح من الفتح))^(١٠).
ويُعَدُّ كسر أحرف المضارعة ظاهرة سامية قديمة توجد في العربية والسريانية والحبشية^(١١).

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: إنَّ ((الأصل في شكل حروف المضارعة هو ما شاع في لهجات الحجاز من الفتح في كلِّ الحالات))^(١٢)، وقد انحدر هذا الأصل إلى هذه اللهجات من السامية الأولى ثم تطوّر إلى كسر في معظم اللغات السامية))^(١٣).
أما بروكلمان فيرى أنَّ الأصل في حروف المضارعة هو الفتح، ثم ظهرت الكسرة بعد ذلك، يقول: ((غير أنَّ الفتح قد عادت إلى الظهور مطلقًا في العربية، ولا تظهر فيها الكسرة إلا في اللهجات))^(١٤).
أما الدكتور (رمضان عبد التّواب) فيرى أنَّ فتح أحرف المضارعة ((حادث في العربية القديمة بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى، وبدليل ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة))^(١٥).

(٤) المصدر نفسه: ٧٩.

(٥) ينظر: ديوان الهذليين: ٨/١، والمنصف لابن جني: ٢٢٢/١.

(٦) ينظر: ديوانه: ق ٢/٣٨ ص ١٠٨، ولسان العرب: (عين) ١٨٦/١٧.

(٧) ينظر: ديوانه: ٧٣، ولسان العرب: (قوم) ٤٠٨/١٥.

(٨) ينظر: ديوانه: ٩.

(٩) شرح الحماسة للمرزوقي: ٢٤٨/١.

(١٠) شرح الشافية: ١٤١/١.

(١١) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٢٥.

(١٢) الصواب: في الحالات كلها.

(١) في اللهجات العربية: ١٤٠.

(٢) فقه اللغات السامية: ١١٦.

(٣) فصول في فقه العربية: ١٢٥.

ومما يؤكد أصالة الكسر في حروف المضارعة في اللغات السامية هو استمراره حتى الآن في اللهجات الحديثة، وبقاء بعض آثارها في العربية الفصحى؛ إذ روي الكسر في همزة (إخال)^(٤).

٧. تسكين ضمير الغائبة المتصل وفتح ما قبله:-

إنّ ضمير الغائبة المتصل بالاسم والفعل والحرف في العربية الفصحى، هو: عبارة عن هاء مقنونة ممدودة، مثل: (كتابها، ورأيتها، ولها). أما أهل طيبي فيسكنون هذا الضمير، ويفتحون ما قبله، يقولون: ((كدتُ اضْرِبُه، إذا عنوا المؤنث، إذا أرادوا أن يقولوا: كدتُ اضْرِبُها))^(٥).

ويرى الدكتور (رمضان عبد التواب): ((إنّ ذلك كان خاصًا بحالة الوقف عند طيبي))^(٦). مستدلًا بقول الشاعر الطائي (عامر بن جوين):
فَلَمْ أَرْ مِثْلَهَا خُبْرًا وَاحِدٌ وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَ مَا كَدْتُ أْفْعَلُهُ^(٧).

إذ إنّ الشاعر لم يجر هذه الظاهرة على كلمة: (مثلها) في حشو البيت. وكذلك يؤكد الدكتور رمضان عبد التواب على أنّ هذه الظاهرة توجد في اللغة السريانية في بناء هذا الضمير على السكون وفتح ما قبله فتحة طويلة وأنّ هذه اللغة لا تزال باقية في نواحي نجد وحائل في الجزيرة العربية، يقولون مثلاً: (الكتابُ جَدًا جيناكُ بَهْ) بضم الباء في حال التذكير، و (الكتبُ جَدًا جيناكُ بَهْ) بحذف ضمير المؤنثة الغائبة وإسكان الهاء وفتح الباء قبلها^(٨).

٨. المصدر اليمي وأما الزمان والمكان من امثال الواوي:-

(٤) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٢٥.

(٥) جمهرة اللغة: ٢٣٤/١.

(٦) دراسات وتعليقات في اللغة: ٨٣.

(٧) الكتاب: ١/ ١٥٥، وما يجوز للشاعر في الضرورة: ٢٣٢.

(٨) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ٨٣ - ٨٤.

الذي عرف في العربية الفصحى، أنّ صيغ المصدر الميمي واسمي الزمان
والمكان تكون على وزن (مَفْعَل) بفتح العين، مثل: (مَقْدَل) بمعنى: القُدْل، وزمان
القتل، ومكانه. ويستثنى من هذه القاعدة أمران:

الأول: الفعل الصحيح الآخر المكسور العين في المضارع، فإنّ المصدر
الميمي منه كالعادة على (مَفْعَل) بفتح العين. أمّا الزمان والمكان منه،
فيأتيان على (مَفْعِل) بكسر العين.

والآخر: المثال الواوي الصحيح الآخر، فإنّ صيغ المصدر الميمي واسمي
الزمان والمكان تكون على (مَفْعِل) بكسر العين، مثل: (مَوْعِد) بمعنى:
الوعد، وزمان الوعد، ومكانه. وقد خرجت طيبي عن الأمر الثاني هذا،
فلم تستثنِ المثال الواوي الصحيح الآخر من القاعدة العامّة فهو عندهم
جارٍ على الأصل، فيقولون لجميع ذلك (مَوْعِد) على (مَفْعَل) بفتح العين.
ويفسر الدكتور رمضان عبد التواب اتجاه الطائيين إلى فتح عين الكلمة،
(بالمماثلة الصوتية، أو التوافق الحركي، بين حركة الميم وحركة عين
الكلمة))^(١). ولم أجد قانوناً صوتياً يرجح هذا التفسير، ولا نقول إلا أنّ لطبيّ توسع
في اللغات والله أعلم.

٩. قلب ألف المقصور ياءً:

روي عن قبيلة طيبي أنّهم كانوا يقلّبون الألف فيما ينتهي في العربية
الفصحى بالألف المقصورة إلى ياء في الوقف والوصل، ويقولون فيه مثل: أفعي
وحُبلي: أفعي وحُبلي، ويشارك طيبيًا فزارة وناسٌ من قيس، في هذه الظاهرة في
الوقف فقط^(٢).

(١) دراسات وتعليقات في اللغة: ٨٥.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢٨٧/٢، والحجّة لأبي علي الفارسي: ٦٣/١-٦٤.

ويرى علماء العربية أنّ الألف المقصورة هي الأصل، وأنّ الياء في لهجة طيبي وغيرها في مثل: حُبْلِيّ و أَفْعَيّ، ليست إلاّ انقلاباً لتلك الألف، يقول ابن جني: ((ومنهم من يبدل هذه الألفات في الوقف ياءاً))^(٣).

غير أنّ الدكتور رمضان عبد التواب يقول: ((إنّ الإطّلاع على اللغات السامية من جانب، وتحكيم القوانين الصوتية من جانب آخر يدلان على أنّ مثل: حُبْلِيّ و أَفْعَيّ بالياء، أسبق في سلسلة التطوّر اللغوي من: أفعى و حُبلى بالألف))^(٤).

فحينما نظر إلى الأفعال الناقصة، مثل: رمى و دعا، وهي تماثل في صورتها هذه صورة الأسماء المقصورة في الفصحى، وجد أنّ في أصلها الأول في اللغات السامية، كانت تتصرّف تصرّف الصحيح تماماً. مستدلاً على ذلك بوجود هذا الأصل القديم في اللغة الحبشية الجعزية، وهي إحدى اللغات السامية، ففيها مثلاً يقال: (صَحَوَ) في: صحا، و(تَلَوَ) في: تلا، و(رَمَى) في: رمى، وليس الأمر مقصوراً في الحبشية على الأفعال الناقصة، بل إنّ الأفعال الجَوْفَ، يُعامل شيءٌ منها معاملة الصحيح كذلك، ويقال فيها مثلاً: (تَبَيَّنَ) في: دان، و (بَيَّنَ) في: بان، وغير ذلك.

ولم تبقَ من هذه المرحلة في اللغات السامية الأخرى إلاّ بقايا قليلة في العربية، من الأفعال الجوفاء، مثل: حَوْرَ، و عَوْرَ، و هَيْفَ واستخوذَ، واستنوّقَ، واستنصوبَ، وغيرها.

وهو يرى أنّ الرجوع بالاسم المقصور إلى هذه المرحلة القديمة فإنّه يكون مثل: هُدَيْي، و فَنَيْي، و عَصَوُ، و قَفَوُ، وما إلى ذلك.

أمّا المرحلة الثانية في تطوّر الأفعال المعتلّة والأسماء المقصورة، فهي مرحلة التّسكين، أو سقوط الحركة بعد الواو والياء للتخفيف، فيصبح الفعل على نحو: قَضَيْي و دَعَوُ، كما تصبح الأسماء المقصورة على نحو: أَفْعَيّ و عَصَوُ. وعلى ذلك يقرّر عبد التواب أنّ هذه المرحلة قد بقيت عند قبيلة طيبي، فيما روي لنا من الأمثلة السابقة: أَفْعَيّ و حُبْلِيّ و مَنَنْي وغيرها^(١). كذلك يؤكد الدكتور عبد التواب أنّ بعض

(٣) المحتسب: ٧٧/١.

(٤) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٤٤.

(١) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٢٤٤ - ٢٤٥.

الأفعال المعتّاة، قد وصلت إلى هذه المرحلة عند طيبي، مستديلاً برَجَز أحد رَجَازهم الذي يساق في المصادر العربية، الذي يقول:

إِنْ لَطِيَّ نَسْوَةٌ تَحْتَ الْعَضِي
يَمْنَعُهُنَّ اللَّهُ مِمَّنْ قَدْ طَعِيَّ
بِالْمَشْرِقِيَّاتِ وَطَعْنِ بِالْقَعِيَّ^(١)
يريد: الغضا، وطغي، والقنا^(٢).

ويقصد الدكتور (رمضان عبد اتواب) صورة المقصور عند طيبي، عندما يضاف إلى ياء المتكلم، بوصول المقصور إلى هذه المرحلة المذكورة آنفاً؛ ((إذ كانوا يقولون في مثل: هَوَايَ وَهُدَايَ: هَوَيَّ (هَوِيَّ + يَ) وَهُدَيَّ (هُدَيَّ + يَ) وغير ذلك))^(٣). ففي حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: (فوضعوا اللُحجَّ على قَفِيَّ) يعني السيف على قفائي، فقد نصّت المصادر على أَنَّ (قَفِيَّ) هنا لغة طائيّة^(٤).

١٠. لغة أكلوني البراغيث:

القاعدة المطّردة في العربية الفصحى أَنَّ الفعلَ يجب إفراده دائماً، حتى وإن كان فاعله مثنى أو مجموعاً، فلا تلحقه علامة تنثية ولا جمع للدلالة على تنثية الفاعل أو جمعه. وعلى هذا جاءت الجملة الفعلية في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ **مَلَائِكَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَنْشَلَا**﴾^(١)، كما قال رضي الله عنه: ﴿وَكَايِنَ مِنْ نَبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ﴾^(٢). أما قبيلة طيبي، فقد روي لنا عنها^(٣)، أنها كانت تلحق الفعل علامة تنثية للفاعل المثنى، وعلامة جمع للفاعل المجموع. وتعرف هذه الظاهرة عند النحاة بلغة (أكلوني

(٢) المنصف: ١٦٠/١، والمحتسب: ٧٧/١.

(٣) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٤٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢٤٧.

(١) ينظر: غريب الحديث، لأبي عبيد: ١١/٤.

(٢) آل عمران / ١٢٢.

(٣) آل عمران / ١٤٦.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٢٩٧، ومغني اللبيب: ١/ ٤٧٨ (طبعة مازن المبارك)، والجنى الداني في حروف المعاني: ١٧١، وهمع الهوامع: ١/ ١٦٠، والقاموس المحيط: (الواو) ٤/ ٤١٣.

البراغيث) ؛ لأنّ سببويه هو أول من مثّل لها في كتابه، فقال: ((... ومن قال: أكلوني البراغيث، قلت على حدّ قوله: مررت برجلٍ أَعَوْرَيْنِ أبواه))^(٥). وإنّ هذه اللغة هي الأصل في اللغات الجزرية (الساميّة)^(٦)، ((وقد تخلّصت العربية الفصحى من هذه الظاهرة، رويدًا رويدًا، أخذًا بمبدأ الاستغناء عن بعض العلامات، عند تكّسها للدلالة على الظاهرة الواحدة؛ فإنّ الذي كان يدل على التنثية هنا، هو علامة التنثية في الفعل، ووضع الفاعل في صيغة الجمع. وإذا استغنت اللغة عن العلامات المتّصلة بالفعل لم تخسر الدلالة على التنثية والجمع، لوجود ما يدلّ عليهما في صيغة الفاعل نفسها))^(٧). ويبدو لي أنّ هذا الرأي يفسر لنا السر في ورود هذه اللغة قليلا في النصوص العربية الفصيحة، من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب الفصحاء.

١١. (ذو) الموصولة:

تستخدم قبيلة طيّئ (ذو) اسمًا موصولًا عامًّا للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، بصورة واحدة لا تتغير في كلّ ذلك^(٨). وقد وردت هذه اللغة كثيرًا في نثرهم وأشعارهم وأمثالهم، وجمع الدكتور عبد التواب شواهد متعدّدة تمثل هذه الصورة^(٩)، من المفيد أنّ نذكر منها: قول سنان الفحل الطائي:

فلن الماء ماء أبي وجدّي وبئرِي ذو حفرتُ وذو طويتُ^(٤)

وقول قوال الطائي:

(٥) الكتاب (بولاق): ٢٣٧/١.
 (٦) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٣٠٠.
 (٧) المصدر نفسه: ٣٠١.
 (٨) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ٣٠٣، وأمالي ابن الشجري: ٣٠٥/٢، وشرح الكافية للرضي: ٤١/٢.
 (٩) ينظر بحوث ومقالات في اللغة: ٢٥٣ - ٢٥٥.
 (٤) شرح الحماسة، للمرزوقي: ٥٩١/٢، ومجمع الأمثال: ٤٥/١، وشرح قطر الندى وبل الصدى: ١٠٢.



هَلُمَّ فَلَئَ الْمَشْرِفِيِّ الْفَرَايِضُ (٥)

قولا لهذا المرء ذو جاء ساعياً

وقول مُلحة الجرمي الطائي:

يغادر محض الماءِ ذو هو مَحْضُهُ على إثرِهِ إذ كلُّ للماءِ من محضٍ (١)

وقول حاتم الطائي:

إذا ما أتى يومٌ يُفَرِّقُ بيننا بموتٍ فكن يا وهْمُ ذو يتأخَّرُ (٢)

كما قال رجل من طيبي:

فإنَّ بيتَ تميمٍ ذو سمعتُ بهِ فيه تنمَّتْ وأرست عِزَّها مُضَرُّ (٣)

وكذلك وردت هذه الصورة في أمثالهم؛ نحو قولهم: ((أتى عليهم ذو أتى)) (٤)، أي: أتى عليهم الذي أتى على الناس، وهو الموت وأيضاً فيما رواه الجاحظ عن الأصمعي، أنه قال: ((قال أبو سليمان الفقعسي لأعرابي من طيبي: بأمر أنك حمل؟ قال: لا وذو بيته في السماء، ما أدري والله، ما لها من ذنوب تشتال به، وما أتيتها إلا وهي ضبَعَةٌ)) (٥).

ثم ناقش الدكتور (رمضان عبد التّواب) أقوال العطاء (٦)، في أنّ قبيلة طيبي لم تكن كلها تجعل (ذو) الموصولة، ملازمة لحالة واحدة دائماً، وخصّص إلى القول في هذه المسألة إلى أنّ طيبياً تنقسم في (ذو) الموصولة على أربع فرق: (٧)

الأولى: توحد (ذو) دائماً، وتبنيها على الضم.

الثانية: توحد (ذو) دائماً، وتعربها إعراب (ذي) بمعنى صاحب.

الثالثة: تجعل (ذو) للمفرد المذكر، ومثناه، وجمعه، و (ذات) للمفردة المؤنثة، ومثناها، وجمعها.

(١) معجم الشعراء، للمرزباني: ٤٤٤.

(٢) ديوانه: ٢٧٢، ورواه ابن قتيبة في الشعر والشعراء: ٢٤٩/١، (بموتٍ فكن أنت الذي يتأخر) ولا شاهد فيه على هذه الرواية.

(٣) الكامل في اللغة والأدب: ٢١٧/٣، وأمالى ابن السجري: ٣٠٥/٢.

(٤) مجمع الأمثال، للميداني: ٤٥/١.

(٥) البيان والتبيين: ٨١/٢.

(٦) ينظر: أقوالهم في: المقرب: ٥٩ / ١، وشرح التسهيل لابن مالك: ٢٢٢ / ١، وشرح الكافية للرضي: ٤١ / ٢، و الجنى الداني: ٢٤٢.

(٧) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٢٥٧ - ٢٥٨.

الرابعة: تصّرف (ذو) على حسب الأفراد والتنثنية والجمع، والتذكير والتأنيث. ويرى الدكتور رمضان عبد التّوّاب أنّ ((الفرقة الأولى، تمثل الظاهرة في صورتها القديمة، بدليل ما في العبرية، والنقوش العربية القديمة. وما عند غير هذه الفرقة، تطوّر لعب فيه القياس اللغوي دورًا كبيرًا))^(١).

١٢. الوقف على تاء التأنيث:-

من المعروف أنّ العربية الفصحى، تقف على تاء التأنيث في الاسم بالهاء، ولكنّ قبيلة طيّب وحدها من القبائل العربية القديمة، تقف على هذه التاء بغير إبدال، فيقولون: أَمَتْ وَجَارِيَتْ وَطَلَحَتْ. أي: هذه أمة وجارية وطلحة^(٢). يقول الدكتور رمضان عبد التّوّاب: ((إنّ هذا الذي تصنعه قبيلة طيّب، هو ما يوجد في اللغتين: الأكادية، والحبشية من اللغات السامية، أخوات اللغة العربية. وهو يُروى كذلك عن اللغة الحميرية... وقد حدث ذلك أيضًا في كثير من المؤنثات العربية، التي دخلت اللغة التركية، التي جاءتنا من تركيا بصورتها الجديدة؛ مثل: طلعت، وعزّت، وألفت وقسمت، ونعمت، وحشمت، ومدحت، وعقّت، وبهجت، وعصمت، وشوكت ومرفت، وثروت وغيرها. فهذه الأعلام ليست في الحقيقة، إلا الصورة التركية، للمصادر والأسماء العربية التالية: طلعة، وعزّة، وألفة، وقسمة، ونعمة وحشمة، ومدحة، وعقة، وبهجة، وعصمة، وشوكة، ومروة، وثروة، ونحوها))^(٣).

وكذلك تروي المصادر العربية، أنّ قبيلة طيّب، كانت تقف على تاء جمع المؤنث السالم وما يمثّلها بالهاء؛ فقد سُمع بعضهم يقول: (دفن البناه من المكرماه) يريد: دفن البنات من المكرمات، وقولهم: (كيف الأخوة والأخواه) يريد: كيف الأخوة والأخوات، ومثل ذلك قولهم: (هيهاه) و (أولاه) في هيهات وأولات^(٤).

(١) المصدر نفسه: ٢٥٨.

(٢) ينظر: لسان العرب: (ها) ٣٧٠/٢، وشرح شواهد الشافية: ٤/ ١٩٩.

(٣) الصواب: الآتية

(٤) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٥٩ - ٢٦٠.

(١) ينظر: الممتع في التصريف: ٤٠٢/١، وشرح المفصل لابن يعيش: ٤٥/١٠، وشرح

الأشموني: ٢١٤/٤، وهمع الهوامع: ٢٠٩/٢.

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أنّ ذلك لم يكن لغة لهم جميعاً، مستنداً بما ورد في بعض المصادر العربية عند عرض هذه الظاهرة، وهو: ((وسمع إبدالها هاء في قول بعضهم))^(١).

ثم يفسر هذه الظاهرة بقوله: ((ونحن نفترض في بعض هؤلاء الطائيين، أنّهم كانوا يقفون على تاء التأنيث في المفرد بالهاء، كما في العربية الفصحى تماماً، غير أنّ هؤلاء القوم قاسوا تاء جمع المؤنث السالم، على تاء تأنيث المفرد، ولا سيّما تلك التاء التي تقع في المفرد بعد ألف؛ مثل تاء: صلاة، وزكاة، وحياة، وقناة وأداة وأناة، ونجاة، وحماة، وفلاة، ووفاة، وحصاة، ونواة، وقناة، ورواة، ومهاة وغيرها))^(٢).

١٣. القُطْعَة:-

القُطْعَة^(٣): عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه قال الخليل: ((والقطعة في طيئ، كالعننة في تميم، وهي أن يقول: يا أبا الحكا، وهو يريد: يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن إيانة بقية الكلمة))^(٤).

ويقول الدكتور عبد التواب: ((القطعة على هذا نوع من ترخيم اللفظ، كما نقول نحن الآن في مصر: (ياولّ) في: يا ولد))^(٥).

رابعاً: امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة:-

قد حدّد أوستاس الكرملّي (ت ١٩٤٨م) مدلول العامية بقوله: ((هي لغة تخالف اللغة الفصيحة بإعرابها أو تعبيرها أو ألفاظها أو وضعها أو تنسيقها لتصنيف أو تحريف أو تقديم أو تأخير وقع فيها، أو لخلوها من الشيوخ المقبول عند أصحاب اللغة

(٢) ينظر: شرح الأشموني: ٢١٤/٤.

(٣) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٦١.

(٤) ضببت الكلمة بكسر القاف في نشرة الدكتورين الأسمراني والمخزومي لكتاب العين، وهو خطأ، والصواب ضم القاف، ينظر: القاموس المحيط: (قطع) ٧١/٣.

(٤) العين: (قطع) ١٣٧/١.

(٥) دراسات وتعليقات في اللغة: ٧٧.

الفصيحة. أو بعبارة أخصر: هي اللغة التي ابتعدت عن اللغة الفصحى إعرابًا أو لفظًا أو معنى (أو صوغًا)^(١).

ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي أنه لا يمكن تحديد بداية العامية، فهو أمر يقوم على التخيل والمعروف أنها قديمة قديم الفصيحة؛ إذ يقول بهذا الخصوص: ((إذا فالعامية قديمة جدًا، ولا بد أن تكون العامية قد صاحبت الفصحى المهذب في جميع عصور التاريخ اللغوي، وربما لم تكن العربية بدعًا بين اللغات في هذا الباب. فكثير من لغات الأمم ولغات اليوم قد عرفت هذه الظاهرة اللغوية، ويعني هذا أن شيئًا من مبدأ الازدواج في اللغة كان قد وقع، وما زال يقع في كل مرحلة من مراحل التاريخ)^(٢).

وهذا ما ذهب إليه المرحوم العلامة طه الراوي الذي يرى أن العامية رافقت الفصحى منذ عهد عهيد، وأنه كان للعرب في جاهليتهم لغتان فصحي وعامية^(٣). أما الدكتور صبحي الصالح فقد ذهب إلى أن العامية فرع من اللغة الفصيحة، ومن المعروف أن الأصل أسبق إلى النشوء من الفرع، وإلا لما كان الأصل أصلاً والفرع فرعاً، فاللغة الفصحى - كما يرى الصالح - هي أسبق من العامية وليس العامية توأمة الفصحى كما يرى الكرمل^(٤)، إذ يقول الصالح: ((مما لا ريب فيه أن العامية متفرعة عن الفصحى، ومتأثرة بها وإن كانت أحياناً تشويهاً وتحريفًا لها)^(٥).

وقد رأى بعض الباحثين أن ثمرة الاختلاط بالأعاجم هذه العامية المرذولة، وهكذا شابت الألسن العربية ((ونشأت لغة جديدة في الأمصار الإسلامية، تناقلتها الألسنة، وصارت لغة التعبير اليومي وأطلقنا عليها العامية)^(٦).

(١) مقال (اللغة العامية توأمة اللغة الفصيحة)، مجلة المقطف، المجلد / ٤١، ص: ٥٧٥، سنة (١٩١٢م).

(٢) التطور اللغوي التاريخي: ١٥٣.

(٣) ينظر: نظرات في اللغة والنحو: ٨١-٨٢.

(٤) ينظر: اللغة العامية توأمة اللغة الفصيحة: ٥٧٦.

(٥) دراسات في فقه اللغة: ٣٦٠.

(٦) أثر القرآن في تطور النقد الأدبي: ١٥٤.

وبرهن الدكتور (رمضان عبد التواب) على نظريته التي ترى أنّ كثيراً من الخصائص اللهجية القديمة، لها امتدادها في اللهجات المعاصرة في الوطن العربي؛ وذلك بتأمّله ما روي عن اللهجات القديمة، في بطون المصادر العربية وإثباته بالأمثلة أنّ ما نسمعه الآن في بعض لهجاتنا الحيّة المعاصرة، ليس في بعض ظواهره، إلا امتداداً لهذا الذي روي لنا في القديم .

وهو بهذا يبطل ظن كثير من الناس أنّ اللهجات الحيّة المعاصرة، في البلاد العربية المختلفة، ليست إلا انحطاطاً من العربية الفصحى.

وسأبين جهده هذا ببيان الظاهرة اللهجية القديمة أولاً، ومن ثم أذكر الأمثلة التي ساقها الدكتور عبد التواب من اللهجات المعاصرة، والتي لها امتداد من الظاهرة القديمة المذكورة، وعلى النحو الآتي:

تلتلة بهراء:

سبق أن فصلنا القول في هذه الظاهرة عند تناولنا لهجة قبيلة طيبي القديمة، وسنترك التفصيل هنا تجنّباً للتكرار. على حين نذكر أنّ التلتلة هي: كسر حرف المضارعة في الثلاثي، والتي عزاها صاحب لسان العرب إلى كثير من القبائل العربية؛ فقال: ((وتعلم، بالكسر: لغة قيس، وتميم، وأسد، وربيعه، وعامة العرب))^(٢). ونحن نعرف أنّ العربية الفصحى تفتح حروف المضارعة (أنيبت) في الثلاثي.

وذكر الدكتور رمضان عبد التواب: أنّ هذه الظاهرة مستمرة حتى الآن في اللهجات العربية الحديثة كلّها؛ إذ يقولون مثلاً: ((مين يقرأ ومين يسمع؟ بكسر حرف المضارعة، في لغة التخاطب اليومية. ولم يبق فتح حرف المضارعة في اللهجات الحديثة - فيما أعلم - إلا في لهجة نجد، إذا كانت فاء المضارع ساكنة؛ مثل: يرمى، ويَلْعَب، ويَرْكُض، ولا يكسر حرف المضارعة في هذه اللهجة، إلا إذا كان ما بعده متحرّكاً مثل: يسوق، وينوم (مضارع نام)، ويسابق، ويلاكم، ويهاوش وغير

(٢) لسان العرب: (وقى) ٢٨٣/٢٠.

ذلك))^(١). وكذلك نجد هذا الامتداد في اللهجة العراقية، يقولون مثلاً: نَعْلَم، وتَعْلَم، ويعْلَم، بكسر حرف المضارعة.

استعمال اسم المفعول من الفعل الأجوف اليائي على وزن مفعول:

من المعروف في العربية الفصحى، أنّ اسم المفعول يشتق من مصدر الفعل الأجوف، إذا كانت ألفه منقلبة عن الياء مثل: باع يبييع بيعاً، ((كان اسم المفعول منه على مثل: مَبِيع. والأصل: مَبِيعُوع، نقلت حركة الياء إلى الباء، فالتقى مَدان ساكنان، فحذف أحدهما وهو الواو، ثم قلبت الضمة كسرة، لنلا تنقلب الياء واواً فيلتبس الواوي باليائي فصار مَبِيعُ))^(٢)، وهذا ما يسمى الإعلال بالذقل والحذف فنقول مثلاً: مَبِيع، ومَدِين ومَخِيط، ومَعِيب، ومَكِيل، وغير ذلك.

غير أنّ قبيلة تميم من القبائل العربية القديمة، يستعملون اسم المفعول من الفعل الأجوف اليائي على التمام، أي على وزن (مفعول)، من دون إعلال يطرأ عليه، قال عبد القادر البغدادي في التعليق على قول العباس بن مرداس السلمي:

قد كان قومك يحسبونك سيِّداً وإخال أنك سيِّدٌ مغَيُّونُ

((قوله مغَيون، جاء على لغة تميم. ولغة غيرهم: مَغِين))^(٣).

وهناك أمثلة على امتداد هذه الظاهرة اللهجية إلى اللهجات المعاصرة ساقها لنا الدكتور عبد التواب، منها؛ قول الناس في مصر مثلاً: ((فلان مَدِين، أي عليه دين، ومَزُيُوح، أي ضعيف لا يقدر على حمل الأثقال، ومَطْبيور، أي متسرّع في عمله، ومَخِيول، أي منشغل بما في خياله من أوهام، كما يقال في بعض البلاد العربية عن الثوب أنّه مَخُيوط، وعن فلان من الناس أنّه مَهْيُوب، وعن الشئ أنّه مَغْيُوب و مَبِيعُوع، وعن الحبّ أنّه مَكْيُول... وغير ذلك))^(٤).

(١) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٦٧.

(٢) الصرف: ١٦١.

(٣) شرح شواهد الشافية: ٣٨٨/٤. والبيت في ديوانه: ١٠٨.

(٤) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٦٨ - ٢٦٩.

وكذلك نجد لهذه الظاهرة امتداداتها في لهجتنا العراقية المحلية: فيقولون: مَبْيُوع، ومَجْبُول، ومَهْيُوب، ومَخْيُوط، وغير ذلك.

سقوط الهمزة:

إن صوت الهمزة أصيل في اللغات السامية، إلا أن الجهد العضلي الذي يتطلبه في نطقه، أدى إلى ضياعه في كثير من اللغات السامية، واللهجات الحجازية القديمة في العربية^(٢).

يقول سيبويه، وهو يتحدث عن إبدال الهمزة واواً أو ياءاً: ((وأعلم أن الهمزة، إنما فعل بها هذا الإبدال من لم يحققها؛ لأنه بعد مخرجها؛ ولأنها ذبيرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً؛ فنقل ذلك عليهم لأنه كالتهوع))^(٣).

وكذلك يقول ابن يعيش: ((اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل، ويخرج من أقصى الحلق...، فاستثقل النطق به...؛ فلذلك ساغ فيها التخفيف، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتحقيق لغة تميم وقيس))^(٤).

وظاهرة سقوط الهمزة عند الحجازيين القدامى، ما زال لها امتداد في اللهجات المعاصرة، يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((ومن الظواهر الشائعة في اللهجات المعاصرة، وهي امتداد للقديم كذلك: ظاهرة سقوط الهمزة، في غير أول الكلمة كثيراً، مثل: قولنا في لهجات الخطاب: بَير، ويأكل، ورأس، ويملا، ويقرا وريس، وخطية، وروس، وفوس وعباية، وملاية، ويوذي، وجينا ومروّة ونحو ذلك؛ بدلاً من: بئر، ويأكل ورأس، ويملا، ويقرا، ورئيس وخطيئة، ورؤوس وفؤوس، وعباءة وملاءة، ويوذي، وجننا، ومروعة وغير ذلك في العربية الفصحى.

(٢) ينظر: مشكلة الهمزة العربية: ٢٤.

(٣) الكتاب: ١٦٧/٢.

(٤) شرح المفصل: ١٠٧/٩، وينظر: شرح مراح الأرواح: ٩٩.

كما يقع الهمز من أوائل بعض الكلمات العامية في حالات قليلة؛ مثل: سنن، في أسنان، وسبوع، في: أسبوع، وأيه الآي صابك؟ في أصابك وبراهيم، وسماعين، في: إبراهيم وإسماعيل، ويوم الحدّ، في: يوم الأحد، وغير ذلك))^(١).

لغة أكلوني البراغيث:

تحدّثنا عن هذه اللغة عدّد تناول لهجة طيبيّ القديمة، وعلمنا أنّ هذه اللغة حكيت عن قبيلة طيبيّ القديمة، وقد رويت لنا كذلك عن قبيلة (بلحارث بن كعب)^(٢)، وقبيلة (أزد شنوءة)^(٣)، وهما من القبائل اليمنية، التي تمّت بصلة إلى قبيلة طيبيّ^(٤). وكذلك عرفنا أنّ هذه اللغة هي أصل في اللغات السامية أخوات العربية، وهي: العبرية والآرامية والحبشية والأكدية. ((وقد بقيت هذه الظاهرة شائعة في كثير من اللهجات العربية المعاصرة وهي امتداد للأصل السامي واللهجات العربية القديمة، بلا شك))^(٥). ومن الأمثلة - التي ساقها الدكتور عبد التّواب - على ذلك ((ما شاع على ألسنة الناس من قولهم في لهجات الخطاب: (ظلموني الناس) و (لاموني العواذل) و(زارونا الجيران)... أي بالحاق الفعل علامة جمع، وهو متقدّم على الفاعل المجموع))^(٦).

(١) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٧٢.

(٢) ينظر: القاموس المحيط: (الواو) ٤١٣/٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: (الواو) ٤١٣، وشرح التصريح: ٢٧٦ / ١.

(٤) ينظر: الاشتقاق لابن دريد: ٣٦١.

(٥) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٧٢.

(٦) المصدر نفسه: ٢٧٠.

إبدال الجيم ياءاً :

روي أنّ بني تميم يقولون في: (الصهريج)، وفي جمعه (الصهاريج)، وهو الذي يجتمع فيه الماء (الصهريّ و الصهاريّ) (١). و روى أبو زيد أنّ بعض تميم قال: (شيرة) للشجرة. وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم:

إذا لم يكن فيكّن ظلّ ولا جني فآبَعَدَكَ اللهُ مِنْ شَـيْرَاتِ (٢)

تريد: شجيرات.

ويذكر الدكتور رمضان عبد التواب: أنّ هذه الظاهرة تشيع في عصرنا الحاضر، وامتدادها في بعض قرى جنوبي العراق وبعض بلدان الخليج العربي؛ إذ يقولون في: مسجد مثلاً: مَمَيِد، وفي: دجاج: دياي، وربّال في رَجَال، وغير ذلك (٣).

* * *

خامساً: تفسير ألقاب اللهجات العربية القديمة في ضوء علم اللغة الحديث:

درج اللغويون العرب، على تلقب كثير من اللهجات العربية القديمة، بلقب يدور في مؤلفاتهم. واختلفت رواياتهم، في عدد القبائل والألقاب، ونسبة هذه الألقاب إلى القبائل. وهذا الاختلاف بين الروايات لايعني بالضرورة أنّ هناك تعارضاً بينها ((إذ تنتشر الظاهرة اللغوية أحياناً، بين مجموعة من القبائل، فيروي كلّ لغوي ما بلغه منها)) (٤).

(١) القلب والإبدال لابن السكيت: ٢٩، والإبدال لأبي الطيّب اللغوي: ٢٦١/١.

(٢) الإبدال لأبي الطيّب اللغوي: ١ / ٢٦١، وكان القياس أنّ تقول: (ولا ينيًا) بدلا من: ولا جني.

(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٣٣، وبحوث ومقالات في اللغة: ٢٧٥.

(٤) فصول في فقه العربية: ١٢٠.

((وأغلب الظن أن العرب لم تكن تعرف هذه الألقاب للهجاتها في الجاهلية وأن المسؤول عن تلقب كل لهجة بلقب معين، هو رجل من (جرم) لم تذكر المصادر اسمه، وكان ذلك في مجلس من مجالس معاوية بن أبي سفيان))^(١).
وقد جمع الدكتور (رمضان عبد التواب) ما عثر عليه من هذه الظواهر في بطون الكتب اللغوية والأدبية، ونسقه وعرضه على ما توصل إليه علم اللغة الحديث من نتائج مفسراً لنا تلك اللهجات. و سأعرض جهده في تفسير بعض هذه الألقاب فيما يأتي، مرتباً إياها ترتيباً هجائياً:

١. الاستنطاء:

رويت هذه اللهجة عن ((سعد بن بكر، وهنيل، والأزد، وقيس والأنصار))^(٢)، كما روي أنه ((لغة أهل اليمن))^(٣)، وهي عبارة عن جعل العين الساكنة نوناً في (أعطى)، فيقولون (أنطى)، ومن شواهد:

القراءة القرآنية (أنطيناك) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾^(٤)، وهي قراءة الحسن و طلحة بن مصرف وابن مسعود وروته أم سلمة عن النبي ﷺ^(٥)، وفي الحديث: [اليد المنطية خير من اليد السفلى]^(٦). ومنه قول الأعشى:
جِيادُكَ فِي الْقَيْظِ فِي نِعْمَةٍ تُصَلُّ الْجَلَالَ وَتُنطِي الشَّعِيرَا^(٧).

ويرى الدكتور (رمضان عبد التواب) أن التفسير القائل بأن العين قلبت نوناً ((تفسير لا تؤيده الدراسات الصوتية الحديثة؛ لأن العين تختلف اختلافاً كبيراً، من الناحية الصوتية، عن النون. ومن المعروف أن الصوت لا يقبل إلى صوت آخر، إلا

(١) فصول في فقه العربية: ١١٧، وينظر: البيان والتبيين: ٢١٢/٣، والكامل في اللغة والأدب: ٢ / ٢٢٣، ومجالس ثعلب: ٨٠/١، والعقد الفريد: ٤٧٥/٢، والخصائص: ١١/٢، وسر صناعة الإعراب: ٢٣٤/١، وألف باء البلوي: ٤٣٢/٢، وخزانة الأدب: ٩٦/٤.

(٢) الاقتراح: ٨٣، والمزهر: ٢٢٢/١، وينظر: مميزات لغات العرب: ١٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث: ٧٦/٥، والفائق للزمخشري: ٨/١، وعون المعبود: ١٨٤/٢.

(٤) الكوثر / ١.

(٥) ينظر: مختصر في شواذ القراءات: ١٨١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠ / ٢١٦، والمعجم الأوسط: ٨ / ٢٢١، والمعجم الكبير: ٢٣ / ٣٦٥، وعون المعبود: ١٨٤/٢.

(٦) المستدرک على الصحيحين: ٣٦٣/٤، ومجمع الزوائد: ٩٨/٣، وسنن البيهقي الكبرى: ٧ / ٤٣٠، والإصابة: ٣٣١/٦.

(٧) الإبدال لأبي الطيب اللغوي: ٣١٨/٢، وفي ديوانه: ق ٤٩/١٢ ص ٩٩ (وتعطى).

إذا كلن بين الصوتين نوع من القرابة الصوتية في المخرج والصفة ... ولولا هذا البعد الصوتي، لحدث الإبدال عند القبائل، التي روي عنها الاستطاء، في كلمات كثيرة، وقعت فيها العين ساكنة قبل الطاء؛ مثل: (يُعْطِب) و(مُعْطِير) و(يُعْطَس) و(يعطش)... وغير ذلك من الأمثلة، ولكن المصادر العربية لم ترو لنا إلا (أعطى) في: (أعطى)...^(١).

إذن السر الحقيقي في ورود هذه الكلمة عن بعض القبائل العربية يفسره لنا الدكتور رمضان عبد التواب من خلال بحثه عن مقابلة كلمة (أعطى) في اللغات السامية، فوجد أن الكلمة المقابلة لها في العبرية متكوّنة من: نون وتاء ونون. وهي نفسها في السريانية في المضارع مع إدغام النون الأولى بالتاء والنون الثانية في لام الجر.

وهو يرى أن ما حدث في لغة هذه القبائل التي روي عنها الاستطاء، هو عملية نحت بين هاتين اللغتين واللغة العربية، فأخذ فاء الفعل من العبرية والسريانية، وبقيت عينه ولامه كما هما في العربية^(٢).

ويفسر الدكتور إبراهيم السامرائي هذه الظاهرة تفسيراً عربياً خالصاً؛ فيقول: ((وملاك الأمر في هذه النون، أنها لم تكن مقابلة للعين في: أعطى؛ وإنما جاءت من أن الفعل كان: (أتى)، بمعنى: (أعطى)، ثم ضعّف الفعل فصار: (أتى) بتشديد التاء. ومعلوم أن فك الإدغام في العربية وفي غيرها من اللغات السامية، يقتضي إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين، كما نقول في العربية: (جَنَنْتَل)، وهي من (جَنَل)، بتشديد الدال. وهذا كثيرٌ معروف))^(٣).

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب: أن ((هذا التفسير جيّد، لولا أن الفعل (أتى) بمعنى (أعطى) لم يرد له ذكر في المعاجم العربية))^(١).

(١) فصول في فقه العربية: ١٢١ - ١٢٢.

(٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٢٢.

(٣) دراسات في اللغة: ٢١٧.

(١) دراسات وتعليقات في اللغة: ١٢٧.

٢. الطمطمانيّة:

وهي عبارة عن إبدال لام التعريف (ميمًا)، وينسب هذا اللقب إلى طيّب والأزد وإلى قبائل حمير في جنوبي الجزيرة العربية. وقد فصلنا القول في هذا اللقب سابقًا عند تناولنا لهجة طيّب القديمة.

ويفسّر الدكتور رمضان عبد التواب هذه الظاهرة تفسيرًا صوتيًا، فيقول: ((إنّ اللام والميم من فصيلة واحدة، وهي فصيلة الأصوات المتوسّطة أو المادعة Liquida وهي مجموعة (اللام، والميم، والنون، والراء). وهذه الأصوات يبدل بعضها من بعض كثيرًا في اللغات السامية))^(٢).

٣. العججعة:

وهي عبارة عن إبدال الياء المشدّدة، جيمًا وتنسب إلى (قضاعة)، يقولون في تميمي: تميمج^(٣).

يقول الدكتور رمضان عبد التواب في تفسير هذه الظاهرة: ((والذي يسهّل إبدال الياء جيمًا، هو اتحادهما في المخرج، وهو الغار أو سقف الحنك الصلب، وكونهما مجهورين، أي تهتزّ معهما الأوتار الصوتية، والفارق الوحيد بينهما، هو أنّ الجيم من الأصوات التي تجمع في نطقها بين الشدّة والرخاوة، أو بعبارة أخرى بين الانفجار والاحتكاك، أمّا الياء فهي من الأصوات المتوسّطة، التي فيها بعض الرخاوة، أو بمعنى آخر تنطق بشئ من الاحتكاك))^(٤).

ولهذا السبب نجد الصوتين، يتبادلان في اللهجات العربية القديمة والحديثة، فالعججعة عند قضاعة وعكسها إبدال الجيم ياءً عند بني تميم كما ذكرنا سابقًا.

(٢) فصول في فقه العربية: ١٢٩- ١٣٠.

(٣) ينظر: المزهر: ١ / ٢٢٢، والاقتراح: ٨٣.

(٤) فصول في فقه العربية: ١٣٢.

ويُقيد (حقني ناصف) الياء التي تبدل جيماً، بوقوعها بعد العين، يقول: ((تبدل الياء الواقعة بعد عين جيماً، في لغة قضاة؛ فيقولون: الراعج خرج مَعِجْ، أي: الراعي خرج معي))^(١).

ويُعقب الدكتور رمضان عبد التواب على هذا التقييد، قائلاً: ((ولست أدري من أين نقله؟ على أن هذا اللقيد، ليس له ما يبرزه^(٢) من الناحية الصوتية، اللهم إلا تبرير اللقب الذي وصفت به تلك الظاهرة: (العججة) !))^(٣).

٤. العننة:

اشتهر هذا اللقب بعزوه إلى (تميم)، بُيِّدَ أنه يُعزى في كثير من المصادر إلى تميم وأسد ومن جاورهم.

أما المراد بهذا اللقب فقد اختلف فيه اللغويون العرب، فمنهم من يجعله خاصاً بإبدال الهمزة عيناً في (أُن) أو (أَنْ) المفتوح الهمزة، كالفرء وتعلب، في حين نجد السيوطي لا يخصصها (بأن) وحدها، وإنما يشترط أن تكون الهمزة مبدوءاً بها فحسب؛ يقول: ((ومن ذلك العننة، وهي في كثير من العرب، في لغة قيس وتميم، تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً، فيقولون في إنك: عِنك، وفي أسلم: عَسلم، وفي أذن: عُنن))^(٤).

ويعزو الدكتور إبراهيم أنيس مثل هذا الاضطراب في الرواية، إلى ((أن استقراء الرواة لأمثلة الظاهرة الصوتية كان ناقصاً، وأن الأمر في كل رواية لا يعدو أن يكون حكماً خاصاً، مبنياً على مثال خاص، سمعه الراوي دون^(٥) استقراء

(١) مميزات لغات العرب: ١٠.

(٢) الصواب: ما يسوغه.

(٣) فصول في فقه العربية: ١٣٥.

(٤) الاقتراح: ٨٣، والمزهر: ١/ ٢٢١.

(٥) الصواب: من دون.

لباقى (♥) الحالات، فاشتراط البدء بالهمزة، أو أن تكون في (أن) مفتوحة، ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية))^(١).

ويرى الدكتور (رمضان عبد التواب) أن هذا الإبدال عام في كل همزة، وأن تخصيصه بأن المفتوحة، تسويغ لهذا اللقب الذي وصفت به الظاهرة (العنعنة)، مستدلاً بقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: ((والخبغ: الخبء، في لغة تميم، يجعلون بدل الهمزة عينا))^(٢).

وأن تفسير إبدال الهمزة عينا هنا عند عبد التواب، هو نوع من المبالغة في تحقيق الهمز؛ وذلك على طريقة نطق بعض أهالي صعيد مصر: (لَع) في (لأ) مثلاً^(٣).

٥. الفحفة:

وهي عبارة عن قلب الحاء عينا، وينسب هذا اللقب إلى قبيلة هذيل باتفاق جميع اللغويين. وقد قرأ به ابن مسعود في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾^(٤): (عتى حين)؛ يقول ابن جنى: ((... روي عن عمر أنه سمع رجلاً يقرأ: (عتى حين)، فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إن الله ﷻ أنزل هذا القرآن، فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام))^(٥).

وأن الإبدال في هذه الظاهرة خاص بكلمة (حتى) عند قبيلة هذيل بدليل أن (الحاء) في كلمة (حين) في الآية القرآنية لم تقلب عينا. وقد نقل حفني ناصف عن هذيل أنها كانت تقول: ((الاعم الأعر أعسن من الأعم الأبيض))^(٦)، وقد تفرّد بهذه الرواية فلم نجد أحداً نقلها غيره فيما تيسر لنا من المصادر.

(♥) الصواب: استقرأ سائر.

(١) في اللهجات العربية: ١١٠.

(٢) العين: ١ / ١٤٠.

(٣) ينظر فصول في فقه العربية: ١٣٧.

(٤) يوسف / ٣٥.

(٥) المحتسب: ٣٤٣/١، وينظر: شواذ القراءات: ٢٤٧.

(٦) مميزات لغات العرب: ١١.

ويعقب الدكتور رمضان عبد التواب على رواية ناصف هذه، قائلاً: لست أدري من أين نقلها^(١). ثم يفسر هذه الظاهرة، فيقول: ((وهذا يذكر بما يقابل كلمة: (حتى) في العبرية والآرامية؛ فهي... العين والذال، أي أنه كما جُهرت الحاء في لغة هنيل، فأصبحت عيناً، فلن هذا هو ما حدث في هاتين اللغتين، وزاد الأمر فيهما أن تماثلت التاء مع العين، فجهرت هي الأخرى، فصارت دالاً))^(٢).

٦. الكسكسة والكشكشة والشنشنة:

نتناول هذه الظواهر تتولاً واحداً؛ لارتباط لقب الكسكسة بلقب الكشكشة ولخالط اللغويين أحدهما بالآخر، وأما الشنشنة، فلأن الإبدال فيها هو نفسه في الظاهرتين. ويبدو من مجموع الروايات الخاصة بالكسكسة والكشكشة، في بطون كتب اللغة والأدب في العربية^(٣)، أنها تنحصر في أمرين:

الأول: إلحاق الكاف المكسورة سينا في الكسكسة وشيناً في الكشكشة. والآخر: إبدالها سينا أو شيناً كذلك. وتعزى إلى ربيعة ومضر، فيقولون: رأيتكش، وبكش، وعليكش، في: رأيتك، وبك، وعليك. وقولهم كذلك (جعل الله البركة في دارش) أي في دارك، وقول الشاعر:

(١) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٣٩ الحاشية.

(٢) فصول في فقه العربية: ١٣٩.

(٣) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٩٥، والكامل في اللغة والأدب: ٢٢٣/٢، ومجالس ثعلب: ١/ ١١٦، والعقد الفريد: ٢/ ١٧٧، والإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي: ١٠٥، والخصائص: ١٢/٢، وسر صناعة الإعراب: ١/ ٢٣٥، والصاحبي: ٥٣، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي: ١٧٣، والمفصل في صنعة الإعراب: ١/ ٤٦٣، ومحاضرات الأدباء: ١/ ٢٣٥، والأفعال لابن القطائع: ١٠٩/٣، والنهية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ١٧٦، ١٧٤، والمزهر: ١/ ٢٢١، ومميزات لغات العرب: ٢٨

فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا وَجِيدُشْ جِيدُهَا وَلَوُنُشِ إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ عَاطِلٍ (١)
 أما الشنشنة: فَرَوَت المصادر هذا اللقب منسوباً إلى لغة اليمن (٢). وهو عبارة
 عن جعل الكاف شيئاً مطلقاً، فقد سُمِعَ بعض أهل اليمن في عرفة يقول: ((لَبَيْشُ الْأَهَمِّ
 لَبَيْشُ)) (٣) أي: (لَبَيْك).

ويفسر الدكتور رمضان عبد التواب ظاهرتي الكسكسة والكشكشة في الأمر
 الأول أنفأ، بآته تفسير من اللغويين لما سمعوه، ولم يستطيعوا كتابته؛ ((إذ إن هذه
 الكاف لم تلحق بسين أو شين، كما ظنوا، وإنما تحولت إلى صوت من الأصوات
 المزدوجة، المسماة باللاتينية: Affricata؛ فقد وصل العلماء في مقارنتهم اللغة
 السنسكريتية، باللغتين اليونانية واللاتينية، إلى قانون سمّوه: (قانون الأصوات
 الحنكية)، في أواخر القرن التاسع عشر، ولاحظوا أن أصوات أقصى الحنك، كالكاف
 والجيم الخالية من التعطيش تميل بمخرجها إلى نظائرهما من أصوات أمامية، يليها
 صوت لين أمامي كالكسرة؛ لأن صوت اللين في مثل هذه الحالة، يجتذب إلى الأمام
 قليلاً، أصوات أقصى الحنك، فتقلب إلى نظائرها، من أصوات وسط الحنك. وهذا
 معناه أن الكاف المكسورة، تتحول في هذه اللهجات إلى صوت مزدوج، هو: (تسن) وهذه هي الكسكسة، أو (تشن) وهذه هي الكشكشة)) (٤).

أما تفسير القسم الثاني من هذين الظاهرتين بأنها إبدال الكاف شيئاً في الكسكسة
 وشيناً في الشنشنة، فيقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((إن اللغويين القدماء،
 سمعوا الازدواجية في الكاف، ولم يستطيعوا كتابتها بالضبط، فدلوا عليها مرّةً بالكاف
 والشين، ومرّةً أخرى بالشين وحدها)) (٥).

(١) الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٥٤.

(٢) ينظر: الاقتراح: ٨٤، والمزهر: ٢٢٢/١.

(٣) مميزات لغات العرب: ١٣.

(٤) فصول في فقه العربية: ١٤٥ - ١٤٦.

(٥) المصدر نفسه: ١٤٨.

وأما ظاهرة الشنشنة، فيقول عنها: ((ما هي إلا شيء من هذا ... وتفسير ذلك سهل؛ فإن الملاحظ في التطور اللغوي، أنّ الأصوات المزدوجة، تميل في تطورها إلى أن تتحل إلى أحد الصوتين المكوّنين لها))^(١).

٧. اللخلخانية:

وهو لقب لم يعرف القدماء معناه على وجه التحديد، وقالوا: هو الّلكنة في الكلام والعجمة^(٢).

وأول من وضع لها تفسيرًا محدّدًا، هو أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، فقال: ((اللخلخانية تعرض في لغات أعراب الشّحر وعُمان، كقولهم: مشا الله كن، يريدون: ما شاء الله كان))^(٣).

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((ولا شك أنّ السبب في تقصير الحركة هنا، هو انتقال النبر إلى المقطع الثاني في هذه الجملة، والحركات الطويلة تعاني التقصير؛ بسبب تحوّل النبر عنها، كما هو مشاهد في تطوّر اللغات))^(٤). ويبدو لي أنّه يمكن تفسير هذه الظاهرة بالنحت.

٨. الوتم:

يعزى هذا اللقب إلى اليمن، وهو عبارة عن قلب السين تاءً، فيقولون: النَّات في: النَّاس، وأكيات في: أكياس^(٥).

ويفسّر الدكتور (رمضان عبد التواب) ظاهرة قلب السين تاءً، بقوله: ((... لأنهما من الناحية الصوتية، متماظران في الرخاوة والشدة، أي أنهما يتفقان في المخرج، وهو الأسنان واللثة، كما يتفقان بالهمس، وهو عدم اهتزاز الأوتار الصوتية، ويتفقان أخيرًا في الترقيق، والفرق الوحيد بينهما، هو أنّ السين رخوة

(١) فصول في فقه العربية: ١٤٨.

(٢) ينظر: غريب الحديث، لأبي عبيد: ٤/٤٨٨، والمخصص في اللغة: ١٢٣/٢، ولسان العرب: (لخخ) ٢٠/٤.

(٣) فقه اللغة: ١٧٣.

(٤) فصول في فقه العربية: ١٥١.

(٥) ينظر: القلب والإبدال، لابن السكيت: ٤٢.

احتكاكية، والتاء شديدة انفجارية. والملاحظ أن الصوتين إذا تناظرا، أمكن قلب أحدهما إلى الآخر بسهولة^(١).

٩. الوكم:

وهو عبارة عن كسر الكاف، من ضمير المخاطبين المتصل: (كُم)، إذا تدبَّق بكسرة، أو ياء؛ فيقولون: (بِكُمْ) في: بَكْم، و (عَلَيْكُمْ) في: عَلِيكُمْ. وهو يُعزى إلى ربيعة وقوم من كلب^(٢).
وتعليل هذه الظاهرة عند الدكتور عبد التواب ((يخضع لقانون المماثلة بين الأصوات المتجاورة؛ إذ تأثرت ضمة الكاف بما قبلها من كسرة أو ياء، فقلبت كسرة، لتنسجم مع ما قبلها))^(٣).

* * *

(١) فصول في فقه العربية: ١٥١ - ١٥٢.

(٢) ينظر: الاقتراح: ١٣.

(٣) فصول في فقه العربية: ١٥٢.

الفصل الرابع

رمضان عبد التواب ودراسة اللغة في ذاتها

المبحث الأول

جهود الصوتية

شغلَ الدرس الصوتي اهتمام رواد الفكر اللغوي أمثال: الخليل (ت ١٧٥ هـ) ، وسيبويه (ت ١٨٠ هـ)، ومن جاء بعدهما مثل ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) وغيره . واتَّجَهت الدراسات اللغوية الحديثة في جانبٍ أساسي من جوانبها المتعددة إلى دراسة الصوت اللغوي، وما يعرض له من مشكلات في أية لغة من اللغات^(١) . وذلك؛ لأنَّ ((الأصوات هي اللبنات التي تشكّل اللغة، أو المادّة الخام التي تبنى منها الكلمات والعبارات. فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة، أو المتجمّعة في وحدات أكبر ترتقي حتّى تصل إلى المجموعة النفسية. وعلى هذا فإنّ أي دراسة تفصيلية للغة ما تقتضي دراسةً تحليلية لمادّتها الأساسية، أو لعناصرها التكوينية وتقتضي دراسة الصوت اللغوي تجمّعها الصوتية))^(٢) .

وبعد: فقد تناول الدكتور رمضان عبد التواب عدّة مسائل تُدرج في ضمن هذا المجال، وسأبين أمثلة منها على النحو الآتي:-

أولاً: التغيّر والثبات في أصوات العربية:

التغيّر في اللغات أمرٌ حتميٌّ؛ ((لأنّ اللغة كائن حيّ يتطوّر على السنّة المتكلمين بها، وهم من الأحياء، وهي لذلك تتطوّر وتتغيّر بفعل الزمن))^(٣) . بيد أنّ العربية لها ظرف لم يتوافر لأية لغة من لغات العالم، وهو ارتباطها بالقرآن الكريم، وقد كفل الله لها الحفظ، ما دام يحفظ دينه، فقال ﷺ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٤) . وقد أحسن الدكتور رمضان عبد التواب في قوله: ((لولا القرآن ما كانت

(١) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات : ٥ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي: ٤٠١ .

(٣) اللغة لفندريس: ٤١٩ .

(٤) الحجر / ٩ .

عربية))^(١). وسلكت العربية في تطورها سبيلين: الأول: التطور في أصوات الفصحى، والآخر: تطور أصوات العربية في اللهجات الدارجة^(٢). وسأتناول هنا مظاهر التطور في أصوات الفصحى فقط.

إن أول من أثار النقاش في هذه المسألة، هو المستشرق الألماني برجشتراسر (ت ١٩٣٣م)، ثم صارت هذه المسألة قضية معروفة نوقدت في كتابات الأصواتيين العرب؛ إذ تناولوا مجموعة من الأصوات العربية، منها: الضاد، والطاء، والقاف والهمزة، والعين، والغين، والحاء، والجيم. وسنقتصر هنا على مناقشة ما يخص الأصوات الثلاثة الأولى (الضاد، والطاء، والقاف)؛ لأنها أكثر الأصوات إثارة للنقاش وحاجة إلى التفسير، أما الأصوات الأخرى فيرجح أن ما أثير حولها من نقاش لا يدخل في مجال تطور الأصوات في الفصحى، وإنما هو نوع من الاختلاف في وجهات النظر في التعبير عن صفات الأصوات التي لا يبدو حصول أي تغيير فيها أو تطور^(٣).

١. صوت الضاد:

عدّ الخليل بن أحمد الضاد في حيز الجيم والشين وهما من الأصوات الغارية^(٤). كما يقول سيبويه: ((ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد))^(٥)، ويوضح ذلك المبرد، فيقول: ((الضاد ومخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر))^(٦). ويقول ابن جني: ((ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج الضاد، إلا أنك إذا شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر))^(٧).

(١) فصول في فقه العربية: ١٠٨.

(٢) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٨٢.

(٣) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٨٤.

(٤) ينظر: العين: ٥٨/١.

(٥) الكتاب: ٤٠٥/٢.

(٦) المقتضب: ١٩٣/١.

(٧) سر صناعة الإعراب: ٥٢/١.

ويمكن تلخيص ما ذكره سيبويه عن الضاد في عدّة نقاط^(١):

- أ- الضاد يتمييز بمخرجه، فلا يشاركه فيه غيره.
ب- الضاد عند سيبويه صوت رخو لا يذحس الهواء في مخرجه، مجهور، ومطبق ومستعل، ومستطيل.

ت- الضاد بهذه الصفات صوت منفرد؛ لقول سيبويه: ((لولا الإطباق لخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء في موضعها غيرها))^(٢).

أمّا الضاد ((حسب نطقنا لها الآن، فعدّ المقابل المفخّم للدال، أي أنّها صوت شديد مجهور مفخّم، ينطق بنفس الطريقة^٣، التي تنطق بها الدال، مع فارق واحد، هو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق، في النطق بصوت الضاد. وعلى هذا فالضاد العربية هي المقابل المطبق للدال غير أنّنا إذا نظرنا إلى وصف القدماء لها، من النحويين والأغويين وعلماء القراءات، عرفنا أنّ الضاد القديمة، تختلف عن الضاد التي نطقها الآن، في أمرين جوهريين:

أولهما: أنّ الضاد القديمة ليس مخرجها الأسنان واللثة، بل حافة اللسان أو جانبه. **وثانيهما:** أنّها لم تكن انفجارية (شديدة)، بل كانت صوتاً احتكاكياً (رخواً))^(٣). وهي الآن نطق بها وقد حلّ محلّها صوت الظاء في نطق أهل العراق، وبلدان الجزيرة العربية، وصوت الدال المطبقة أو (الطاء المجهورة) في نطق أهل مصر وبلاد الشام^(٤).

وعلى هذا يقرّر الدكتور رمضان عبد التواب: أنّ ((الضاد التي نطقها اليوم، ليست هي الضاد القديمة، التي كانت عند العرب القدماء، وإمّا هي تطوّر عنها))^(٥). والضاد القديمة - كما يتخيلها إبراهيم أنيس - ((يمكن النطق بها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة، ثم ينتهي نطقه بالظاء، فهي إذن مرحلة وسطى، فيها شيء من شدة الضاد

(١) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٨٦.

(٢) الكتاب: ٤٠٦/٢.

(٣) الصواب: بالطريقة نفسها.

(٤) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٦٢ - ٦٣.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٩، وأصوات العربية بين التحوّل والثبات: ٥٠.

(٥) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٦٤.

الحديثة، وشيء من رخاوة الظاء العربية؛ ولذلك كان يعدّها الأقدماء من الأصوات الرخوة^(١).

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب في الضاد العربية القديمة: ((ويبدو من وصف القدماء لها، ومن تطوّرها في بعض اللهجات واللغات، أنّها كانت لأمًا مطبقة، كما يقول برجشتراسر^(٢)، كما يبدو أنّها فيها بعض الشبه بالظاء والضاد، وإلا ما تطوّرت في اتجاه كلّ واحد من هذين الصوتين في اللهجات العربية الحديثة))^(٣). ومما لا شكّ فيه، أنّ العرب القدامى كانوا يفرّقون بين الضاد والظاء؛ بدليل أنّ الكتابة العربية، التي أول ما شاعت في قريش وضعت لكلّ واحد منهما صورة مختلفة عن الأخرى، ولعلّ الخلط بين هاتين الصورتين، ((كان قد شاع في القرن الثالث الهجري... والدليل على أنّ الخلط بين الضاد والظاء قديم في العربية، تلك المؤلفات الكثيرة، التي تعالج هذه المشكلة من قديم^(٤). ولقد كانت محاولات بعض من ألف في هذا الموضوع من اللغويين العرب، منحصرة أحيانًا في تنبيه الكتاب، حتى لا يخلطوا الضاد بالظاء في خطوطهم، متأثرين في ذلك في نطقهم، الذي كان من العسير إصلاحه))^(٥).

٢. صوت الظاء:

- (١) الأصوات اللغوية: ٤٩.
- (٢) قال برجشتراسر: ((فمخرجها قريب من مخرج اللام من بعض الوجوه، والفرق بينهما هو أنّ الضاد من الحروف المطبقة كالصاد، وأنّها من ذوات الدويّ (الاحتكاك)، واللام غير مطبقة، صوتية محضة؛ فالضاد العتيقة حرف غريب جدًا، غير موجود - حسبما أعرف - في لغة من اللغات إلا العربية... غير أنّ للضاد نطقًا قريبًا منه جدًا عند أهل حضرموت، وهو كاللام المطبقة))، التطور النحوي: ١٨ - ١٩.
- (٣) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٦٧.
- (٤) ينظر: الإحصاء الذي عمله الدكتور رمضان عبد التواب لهذه المؤلفات؛ إذ ذكر ثلاثين مؤلفًا ممّا ألفه اللغويون العرب في موضوع الضاد والظاء في مقالته: (مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء)، مجلة المجمع العلمي العراقي، م/٢١، لسنة ١٩٧١م.
- (٥) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٧٣ - ٧٤.

صوت الطاء عند القدماء صوت شديد، مجهور مفخّم، عدّها سيويوه من الأصوات المجهورة، كما قل عنها: ((لولا الإطباق لصارت الطاء دالا...))^(١) أي أنّها نظير الدال المفخّم.

في حين أنّها في نطقنا اليوم نظير التاء المفخّم، أي أنّها ((صوت شديد مهموس مفخّم، ولا فرق بينهما إلا أنّ مؤخرة اللسان ترتفع تجاه الطبق عند نطق الطاء، ولا ترتفع نحوه في نطق التاء))^(٢).

وذهب علماء الصوت العرب إلى ثلاثة احتمالات تفسّر وصف الطاء بقّها صوت مجهور، وهي:

((الاحتمال الأول: ليس من البعيد أن يكون العرب قد أخطؤوا التقدير، فظنّوا أنّ الطاء مجهورة.

الاحتمال الثاني^(٣): لعلّ تطوّراً حدث في نطق ذلك الصوت الذي يرمز له كتابةً بالحرف [طاء]، فلعلّهم كثروا ينطقونه في القديم بما يشبه الضاد الحالية.

الاحتمال الثالث^(٤): لعلّهم كثروا يصفون صوتاً يشبه صوت الطاء الذي نسمعه في بعض لهجات الصعيد، وفي نطق بعض السودانيين الآن، وهو صوت طاء مشرّبة بالتهميز...))^(٥).

٣. صوت القاف:

عدّ القدامى من اللغويين العرب (القاف) من الأصوات المجهورة في العربية الفصحى^(١). أمّا عند الدار سين المعاصرين، فيقول الدكتور رمضان عبد اتواب: ((هو كما ينطق به مجيدو القرآن الكريم في مصر، صوت شديد مهموس، ينطق برفع مؤخر الطبق، حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، ليستدّ المجرى الأنفي، ورفع

(١) الكتاب: ٢ / ٤٠٦.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٤٦ - ٤٧.

(٣) ذهب إلى ذلك: الدكتور إبراهيم أنيس، ينظر: الأصوات اللغوية: ٥٨.

(٤) ذهب إلى ذلك الدكتور تمام حسان، ينظر: مناهج البحث في اللغة: ٩٤.

(٥) علم اللغة العام: الأصوات: ١٣٠ - ١٣١.

(٦) ينظر: الكتاب: ٢ / ٤٠٥، وسر صناعة الإعراب: ١ / ٢٧٨، وشرح المفصل: ١٠ / ١٢٩.

مؤخر اللسان حتى يتصل بالأهالة والجدار الخلفي للحلق، مع عدم حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية فينحبس الهواء ثم ينفجر بعد انفصال العضوين المتصلين. وعلى ذلك فلا فرق بين القاف والكاف، إلا في أن القاف أعمق قليلا في مخرجها^(١).
 وذهب المعاصرون من علماء الصوت العرب إلى أربعة احتمالات تفسر وصف القاف بأنها صوت مجهور:

- ال احتمال الأول: ذهب إبراهيم أنيس إلى ((أنه كان يشبه إلى حد كبير تلك القاف المجهورة التي نسمعا الآن بين القبائل العربية في السودان، وجنوب العراق، فهم ينطقون بها نطقاً، يخالف نطقها في معظم اللهجات العربية الحديثة؛ إذ نسمعا منهم نوعاً من الغين))^(٢).

- الاحتمال الثاني: ذهب كمال محمد بشر إلى أن سيبويه كان يقصد مجهور الكاف (الجيم القاهرية) حين وصف القاف بالجهر^(٣).

- الاحتمال الثالث: ذهب الدكتور حسام سعيد النعيمي إلى ((أن الصوت لم يدخله تغيير في الفصح، فالقاف حرف لهوي شديد، وهو مجهور على وفق ضابط الجهر الذي وضعه القدماء، وهو عدم جريان التفسر عند إخفاء الحرف وترديده))^(٤).

- الاحتمال الرابع: يرجح الدكتور غاتم قدوري الحمد أن سيبويه وهم في ذلك الوصف؛ لأنه يجد كلام سيبويه ينطبق تماماً على القاف التي يقرأ بها القرءاء، وينطقها الفصحاء من أهل زماننا، وهي مهموسة في قول جميع الدارسين المحدثين، ثم يفسر السبب في وقوع سيبويه بمثل هذا الوهم في أمرين:
 الأول: ما في صوت القاف من ضخامة ونصاعة وقوة تجعل كثيراً من المبتدئين بدراسة الأصوات في زماننا يتوهمون كونه مجهوراً.

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٥٤ - ٥٥.

(٢) الأصوات اللغوية: ٧٧.

(٣) ينظر: علم اللغة العام: الأصوات: ١٤١، وتابعه على ذلك الدكتور أحمد مختار عمر، ينظر: البحث اللغوي عند العرب: ١٢١.

(٤) أصوات العربية بين التحول والثبات: ٢٩.

الثاني: صعوبة أو استحالة نطق صوت شديد مجهور من مخرج القاف على نحو ما يمكن مع صوت الكاف))^(١).

ثانياً: المصوتات عند علماء العربية:-

المصوتات: هي ((الأصوات المجهورة، التي يحدث في تكوينها أن يندفع الهواء في مجرى مستمر، خلال الحلق والشفة، وخلال الأنف معهما أحياناً، دون أن يكون هناك عائق، يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً، أو تضيق لمجرى الهواء، من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً))^(٢).

والمصوتات في العربية الفصحى، هي ما سماه نحاة العرب بالحركات (الفتحة، والضمة، والكسرة)، وكذلك حروف المد، كالآلف في (قال)، والواو في (يدعو)، والياء في (القاضي).

قال الدكتور رمضان عبد التواب: ((لم تحظ أصوات العلة، من قدامى اللغويين العرب، بمثل ما حظيت به الأصوات الصامتة من العناية بها، فإهم على الرغم من إسهامهم في علاج تلك الأصوات الصامتة، واعتدادهم بها أصواتاً مستقلة متميزة، رأيناهم يعالجون أصوات العلة علاجاً سطحيًا، وينظرون إليها على أنها تابعة للأصوات الصامتة، لا تستقل بنفسها في النطق تاماً، كاستقلال الأصوات الصامتة))^(٣).

ونجد هناك دعاوى مثل هذه تتردد في كتب علماء الصوت العرب المعاصرين ودراساتهم حول إغفال علماء العربية العناية بالمصوتات عامة والحركات خاصة، وأن معالجاتهم لها كانت سطحية دائماً^(٤).

ولا يخلو موقف هؤلاء العلماء من المبالغة ومجانبة الدقة، مما يدل على أنهم لم يطلعوا على كثير من مصادر الدرس الصوتي العربي القديم، فكل من يقف على ما

(٤) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٩٧.

(١) فصول في فقه العربية: ٣٩٦.

(٢) المصدر نفسه: ٣٩٧.

(٣) ينظر: مثل هذه الدعاوى في: التطور النحوي: ٥٣، والأصوات اللغوية: ٣٧، وعلم اللغة العام: الأصوات: ١٩٠.

ورد عن هذا الموضوع في كتب التراث، لا يمكنه إلا أن يقدر تلك الجهود وينوّه بها، ولا يقلل من قيمتها ما أحرزه الدرس الحديث من تقدّم كبير في دراسة الأصوات، بفضل ما تيسر من الوسائل الجديدة لدراسة الأصوات، فلا تزال الأفكار الصوتية العربية القديمة في مجال المصوّتات لها قيمتها من الناحية التاريخية والعلمية^(١).

ثالثاً: الصلة بين صيغة (أفعال) وصيغة (أفعال) :-

نجد أنّ القدامى من علماء اللغة قد فطنوا إلى هذه الظاهرة الصوتية، وقرّروا أنّ الصيغة المهموزة نشأت من الأخرى تخلّصاً من التقاء الساكنين، وأشاروا إلى أنّ الكلام العربي الذي يشتمل على هذه الظاهرة لا يكون إلا في النثر، أمّا الكلام الموزون المقفى فلا يمكن أن يكون في مادته من الكلم ما يشتمل على هذا المقطع الصوتي، أي أنّ ((النثر يسمح بمصوّت طويل قبل صامت مضعّف كما في (احمأر)، (ولا الضالّين)، على حين لا يسمح الشعر بهذه المقاطع المديدة))^(٢).

ذكر أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) - وهو يعدّ أصوات الهمزات في اللغة العربية - الهمزة التي تزداد، لئلا يجتمع ساكنان، ومثّل لها باطمأًن و اشمأزً و غيرهما، أي أنّ أصل اطمأًن: اطمأًن، وأصل اشمأزً: اشمأزً، وهكذا^(٣). وقال أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ): ((وقرأ السخّتياني: (ولا الضالّين) بإبدال الألف همزة فراراً من التقاء الساكنين، وحكى أبو زيد: دأبة وشأبة في كتب الهمز... قال أبو الفتح: وعلى هذه اللغة قولٌ كثير: إذا ما العوالي بالعبيط احمأرت^(١).

وقول الآخر:

(١) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ١٦٠. ومن يريد أن يقف على ذلك الجهد. وتصحيح نظرة علماء الصوت المحدثين تلك، عليه أن يطّلع على بحث (المصوّتات عند علماء العربية) للدكتور غانم قدوري الحمد الذي نشره في مجلة كلية الشريعة جامعة بغداد: العدد (٥) لسنة ١٩٧٩م، ص (٣٩١ - ٤٥٦)؛ إذ عرض خلاصة لجهود علماء السلف في دراسة المصوّتات، بعد أن درس الموضوع في العربية في ضوء الدرس الصوتي الحديث.

(٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٥٦.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: ٦٨٢ / ١٥.

(٤) تنظر قراءة أيوب السخّتياني في: مختصر في شواذ القراءات: ١.

(١) البيت في ديوان كثير عزة: ٢٩٤.

والأرض أَمَا سَوْدُهَا فَتَجَلَّتْ بَيَاضًا وَأَمَا بَيِضُهَا فَأَذْهَامَتْ^(١).

وقد عدّ القدامى صيغة (افعلال) قياسية، وأما (افعلال) المهموز فليست قياسية، قال ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ): ((وقد كان يدّسع هذا عندهم، إلا أنه مع ذلك لم يكثر كثرةً توجب القياس، قال أبو العباس: قلت لأبي عثمان: أتقيس هذا النحو؟ قال: لا، ولا أقبله بل ينقاس ذلك عندي في ضرورة الشعر))^(٢).

وقد التزم الدكتور رمضان عبد التواب برأي القدامى من أهل اللغة الذين قالوا إن (افعلال) المهموز قد جاء من (افعال) بالألف هروبيًا من التقاء الساكنين؛ إذ قال: ((المقطع الرابع لا يجوز في العربية الفصحى، إلا في آخر الكلمة في حالة الوقف عليها، أو في وسطها بشرط أن يكون المقطع التالي له، مبتدئًا بصامت يماثل الصامت الذي خُتِمَ هو به.

وهذه الحالة الأخيرة، هي ما عبّر عنها اللغويون العرب القدامى (بالتقاء الساكنين على حدّهما)، وهو أن يكون الأول حرف مدّ، والثاني مدغمًا في مثله نحو: (دابة) و (شابة) و (الضالين) و (مذهّمتان) و (احمراء) و (اصفراء) وما أشبه ذلك. فصيغة (افعال) إذن يفتقر فيها التقاء الساكنين، على رأي النحاة، أو بعبارة أخرى: يجوز ورود المقطع الرابع، بالاصطلاح الذي يعرفه علماء الأصوات اليوم!)^(٣).

ثم ذهب الدكتور رمضان عبد التواب إلى القول بأنّ صيغة (افعال) نشأت من صيغة (افعال)؛ إذ قال بعد أن ذكر جملة من الأفعال التي وردت على وزن (افعال) التي عثر عليها في بطون المعاجم العربية، وكتب اللغة، نحو: اتمّار، واجثال، واجذأر... الخ: ((استطعنا أن نحكم باطمئنان إلى أنّ أصل الأمثلة السابقة هو: (افعال)، أي: اتمّار، واجثال، واجذأر... الخ))^(٤).

(*) البيت لكثير عزة: ينظر: ديوانه: ٣٤٣.

(٢) البحر المحيط: ٣٠ / ١.

(٣) الممتع في التصريف: ٣٢٢ / ١.

(٤) فصول في فقه العربية: ١٩٤ - ١٩٥.

(١) المصدر نفسه: ٢١٣.

وهكذا نجد الدكتور رمضان عبد التواب قد قرّر أنّ السبب في وجود صيغة (افعلّ) في العربية يرجع إلى الوزن الشعري؛ لأنه لا يقبل بعض المقاطع الجائزة في النثر. وهذا أحد آثاره في أبنية العربية، فالوزن الشعري هو المسؤول عن وجود الكثير، من الآثار الأخرى، مثل: (الكلال) إلى جانب (الكلال) بمعنى: الصدر، و(درهام) إلى جانب (درهم)، و (خاتم) إلى جانب (خاتم)، وغير ذلك (٢).

وقد خالف الدكتور إبراهيم السامرائي ما ذهب إليه الأقدماء والدكتور رمضان عبد التواب الذين قالوا بهذه الصلة بين الصيغتين، فقال: ((إنّ (افعلّ) من مزيد الثلاثي بحرفين وهما الهمزة والتضعيف، ولا علاقة له بـ (افعلّ) المزيد بالمدّ أي الألف، و لا تكون (افعلّ) المهموز قد جاءت من (افعلّ) بالألف هروبيًا من اجتماع الساكنين كما ذهب المتقدمون وكما التزم برأيهم الدكتور رمضان، أمّا أن يكون في الشواهد المتقدمة (احمأر، واسوأر، وابياضن) فلا عبرة فيه فهو من باب اضطرار الشاعر؛ لأنّ الأفعال بالمد لا يمكن أن تأتي في أعراب الشعر)) (٣).

واستدلّ على رأيه هذا بوجود طائفة من هذه الأفعال بالألف ولم تتحوّل إلى (افعلّ) تخلّصًا من هذه العلة العارضة، ثم سرد طائفة من هذه الأفعال، منها: ابهأرّ الليل (انتصف)، وارغأدّ اللبن (اختلط بعضه ببعض)، وارمأدّ الحبل (ضعف)،... الخ (٤).

أمّا داود عبدة فقد كان له رأي مختلف، وهو أنّ الألف في صيغة (افعلّ) هي في الأصل همزة، وقد سقطت هذه الهمزة وأطيلت الفتحة السابقة لها كما سقطت الهمزة في مثل (أمّن)، وأطيلت الفتحة السابقة لها فأصبحت (أمّن)، وكما سقطت الهمزة وأطيلت الفتحة السابقة لها كما في رامس وبيبر وشوم في اللّهجات المحكية (١). ويبدو لي أنّ ما ذهب إليه الدكتور رمضان عبد التواب هو الأرجح؛ وذلك أنّ هذه الظاهرة المتمكّنة من تأليف الكلم هي شكل من أشكال التناسق الصوتي في بنية

(٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ٢١٣.

(٣) تاريخ العربية: ١٠٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٠ - ١٠١.

(١) ينظر: معالم دراسة في الصرف، الأقبسية الفعلية المهجورة: ٧١.

الكلمة العربية ((وكانها ما شاعت في العربية إلا بعد أن صاغتها السنة متدوّقة وأحاسيس مرهفة تعرف أين تضع هذا الصوت أو غيره من البناء))^(٢). ولا نجد أحقّ من السنيّة الشعراء بهذا الذوق، فوضعوا الهمزة بدلا من حرف الهمزة في مثل هذا المقطع الذي يضيق به بعض أهل العربية ذرعا. فالهمزة من أصوات الحلق، وهذه الأصوات ((معروفة بنصاعتها وحلاوة جرسها وأثرها على أصوات سائر الكلمة من حيث البيان والإظهار))^(٣).

* * *

(٢) أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ٢١٠.
 (٣) أحرف الحلق وأثرها في التغيرات الصوتية: (بحث) للدكتور رشيد العبيدي، مجلة الأستاذ، كلية التربية: العدد (١) لسنة ١٩٧٨م.

المبحث الثاني

جهود الصرفية

من المجالات التي صنّف فيها العرب وأجادوا فيه علم الصرف أو ما يسمّى بالتصريف، وهو: ((يطلق على شيين؛ الأول: تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني كالتصغير، والتكسير، واسم الفاعل، واسم المفعول. وهذا القسم جرت عادة المصنّفين بذكره قبل التصريف - كما فعل الناظم - وهو في الحقيقة من التصريف. والآخر: تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها، ولكن لغرض آخر، وينحصر في: الزيادة والحذف والإبدال والقلب والنقل والإدغام. وهذا القسم هو المقصود بقولهم (التصريف)... ولهذا التغيير أحكام كالصحة والإعلال. ومعرفة الأحكام وما يتعلق بها تسمّى علم التصريف))^(١).

ويذهب الدكتور كمال محمد بشر إلى أنّ كلّ دراسة ترتبط باللفظة، أو أحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة التراكيب هي صرف^(٢).

وبعد، فقد تناول الدكتور رمضان عبد التواب جملةً من الموضوعات الصرفية وتوصّل إلى آراء قيمة فيها، ويمكن تناول أهم معالجاته على النحو الآتي:-

أولاً: فكرة ثنائية الأصول:-

ذهب بعض المحدثين إلى فكرة ثنائية الأصول، وأنّ المعنى العام للمادة اللغوية يرتبط بأصليين اثنين فقط من أصولها.

ومن رواد هذه الثنائية: ادستاس مازي الكرملّي (ت ١٩٤٨م) الذي قال بهذه الفكرة، وأخرج فيها كتاباً بعنوان: (نشوء اللغة ونموها واكتهاها) تناول فيه كثيراً من مواد اللغة، بناءً على نظريته هذه، وزعم أنّها ثنائية الأصول، وأنّ ما زاد فيها على

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ١٧٥/٤ - ١٧٦.

(٢) ينظر: دراسات في علم اللغة: ٨٥/٢، وفقه اللغة في الكتب العربية: ١٤٥.

أثنين، ليس إلا زيادة في أولها، أو زيادة في وسطها، أو زيادة في آخرها؛ فعنده أن: ثَرَمَ وَجَرَمَ وَحَرَمَ وَخَرَمَ وَشَرَمَ وَصَرَمَ وَعَرَمَ، ذوات أصل ثنائي، هو الراء والميم، مصدرًا بحرف آخر، وتدل كلها على (القطع).

و أن: رَتَمَ وَرَثَمَ وَرَحَمَ وَرَدَمَ وَرَسَمَ وَرَشَمَ وَرَضَمَ وَرَطَمَ وَرَغَمَ وَرَقَمَ وَرَكَمَ. مشتقة عنده أيضًا من هذه المادة الثنائية (رم)، بعد أن حُدِّثت بحرف آخر، وكلها تدل على القطع كذلك. وقد أسرف في رد اللغات الأجنبية إلى العربية، ومن عمله ذلك رد (cum) اللاتينية إلى (مع) العربية؛ إذ يقول: ((ويستعمل اللاتين: كم cum ومعناها: (مع) للدلالة على ما يدل على الجمع. وما (كم) إلا معكوس: (مك) المقابل لأداتنا: (مع)؛ وذلك أنه ليس للغربيين الحرف: (عين)، فيحارون في نقله إلى لغتهم، وقد نقلوه هنا إلى الكاف، فقالوا (كُم) cum))^(١).

ولم يكن مرجعي الدومنيكي، أقل حماسة من انستاس الكرمل، في الدفاع عن هذه الفكرة في كتابه: (المعجمية العربية في ضوء الثنائية الألمانية السامية) الذي يقول فيه: ((المضاعف العربي، الذي يقال إنته مركب من ثلاثة أحرف أصلية، لا تجد مقابلة في السريانية إلا بحرفين اثنين لا أكثر؛ مثلاً: مقابل: قَصَّ = قَصَّ، وبحذاء: حَمَّ = حَمَّ، وبإزاء: مَسَّ = مَسَّ، وهكذا كل المضاعفات، التي هي في الحقيقة ثنائيات، والثنائي وارد في كل الساميات))^(٢).

وقد عبَّ الدكتور رمضان عبد التَّوَّاب على ما ذهب إليه الدومنيكي، قائلًا: ((وقد خدعه ما آل إليه المضعف الثلاثي، في بعض اللغات السامية، بعد أن سُدَّت أو آخر كلماتها، لسقوط الحركات الإعرابية وغيرها، فضعف التضعيف منها، وصارت على حرفين، فظنَّ أنَّ هذا هو الأصل فيها ... ونسي الأب مرجعي، أنه عند إسناد المضاعف إلى الضمائر، في العبرية والسريانية، يظهر التضعيف؛ فيقال في العبرية مثلاً: sab 𐤑 بمعنى: (أحاط) بغير تضعيف، وعند إسنادها إلى المنكَّم مثلاً يقال: sabbōT 𐤑؛

(١) نشوء اللغة ونموها واكتهاؤها: ١٤٠، وينظر: فصول في فقه العربية: ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) نقلًا من فصول في فقه العربية: ٣٠٠.

فيظهر التضعيف ... كما يقال في السريانية مثلاً: baz بمعنى: (سَلَب)، وعند إسنادها إلى الغائبة مثلاً يقال: bezzat (سَلَبْتُ) ... وغير ذلك))^(١).
 وخالصة الرأي عند الدكتور رمضان عبد التّواب في الثنائيات هو: لا يصح أن نعدّها الأصل الأوّل للغات السامية وإن وجدت في بعض هذه اللغات، فيقول: ((نحن مع الأستاذ عبد الله أمين، في أنّه لا يمكننا أن نسلّم بأنّ رجلاً أصله: رَج، وقِرْد أصله: قِر، وفيلاً أصله: في، كما يقولون))^(٢).

ثانياً: الاشتقاق الصرفي:

الاشتقاق الصرفي: هو ((اخذ صيغة من أخرى، مع اتّفاقها معنوي و مادة أصلية، وهينة تركيب لها، يدلّ بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئةً، كضارب من ضرب، وحذّر من حذّر))^(٣) ويسمى (الاشتقاق العام) أو (الاشتقاق الصرفي)^(٤)؛ إذ ((تتصرف الألفاظ عن طريقه، ويشترك بعضها من بعض، ومعنى هذا افتراض الأصالة في بعض الألفاظ، والفرعية في بعضها الآخر))^(٥)، وذلك فإنّ أصل الاشتقاق بين المصدر والفعل هو من مسائل الخلاف بين اللغويين البصريين والكوفيين، فقد كان للبحث في أصل المشتقات والجدل في أسبقية المصدر أو الفعل أهمية كبيرة عند اللغويين القدامى، وذهبوا فيها إلى قائلٍ بأصالة المصدر، لكونه بسيطاً أي يدل على الحدث فقط، بخلاف الفعل الذي يدل على الحدث والزمن، وهذا هو قول البصريين.

(١) فصول في فقه العربية: ٣٠٠ - ٣٠١.

(٢) المصدر نفسه: ٣٠١، وينظر: الاشتقاق، لعبد الله أمين: ١٥٩.

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٣٤٦/١.

(٤) اختلف المحدثون من علماء العرب، في أنواع الاشتقاق، ومدلول كلّ نوع؛ فعبد الله أمين يجعل الأنواع أربعة: صغير: ويعني الاشتقاق الصرفي، وكبير: ويعني الإبدال، مثل: بعثر وبعثر، وأكبر: التقليل، مثل تغليب مادة (حبر) مثلاً، وكبّار: النحت، مثل: سبيل وحمدل - أمّا علي عبد الواحد وافي، فيجعل أنواعه ثلاثة: العام: وهو الصرفي، والكبير: وهو التقليل، والأكبر: وهو الإبدال - وصبحي الصالح يجعله أربعة أنواع: الأصغر: وهو الصرفي، والكبير: وهو التقليل، والأكبر: وهو الإبدال، والكبّار: وهو النحت، ينظر: فقه اللغة لوافي: ١٧٢ - ١٨٠، ودراسات في فقه اللغة: ١٧٣ - ٢٧٤، وفصول في فقه العربية: ٢٩١.

(٥) فصول في فقه العربية: ٢٩١.

أما الكوفيون فيعدّون الفعل أصلاً للمشتقات؛ لأنّ المصدر يجيء بعده في التصريف، فيقال مثلاً: ضرب يضرب ضرباً (١).

ويؤيد الأستاذ عبد الله أمين مذهب البصريين، ويزيد عليه أنّ العرب اشتقت من أسماء الأعيان، إلى جانب اشتقاقها من المصدر، ويدل على ذلك بقوله: ((ولا شك أنّ كلّ اسم من أسماء الأعيان، هو أصل المشتقات من مادته؛ إذ لا يعقل أنّ الفعل: تأبّل، أي اتخذ إبلاً، قد وضع قبل لفظ: إبل نفسه، ولا الفعل: تأرض، أي لصق بالأرض، وضع قبل لفظ الأرض... وأوضح من هذا دليلاً وأقوى حجة، على أنّ العرب اشتقوا من أسماء الأعيان، كما اشتقوا من المصادر، إنهم عربوا أسماء أعجمية، ثم اشتقوا منها مصادر وأفعالاً ومشتقات، إذ لا يعقل أن يكون العرب، قد اشتقوا كلّ ذلك من مواد الأسماء الأعجمية، قبل أن يعربوها... عربوا الأجسام، ثم اشتقوا منه: الجم الفرس)) (٢).

وهناك رأي آخر ذهب إليه بعض الأصوليين وهو أنّ المادة اللغوية هي أصل المشتقات جميعاً، وتبعهم في ذلك تمام حسّان الذي بحث مشكلة الاشتقاق ولم يجد لها حلاً غير ترك ما قاله اللغويون القدامى والقول في أصالة المادة المعجمية، إذ يقول: ((وبذلك تعتبر الأصول الثلاثة أصل الاشتقاق فالمصدر مشتق منها والفعل الماضي مشتق منها كذلك وبهذا لا نستطيع أن ننسب إلى هذه الأصول الثلاثة أي معنى معجمي على نحو ما صنع ابن جنّي وإنما نجعل لهذه الأصول معنًى وصفيًا وهو ما تؤيده من دور تلخيص العلاقة بين المفردات)) (٣).

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أنّ هذا ((النوع من الاشتقاق قياسي، إذ لا يُعقل أن يسمع عن أصحاب اللغة، جميع المشتقات في كلّ مادة من مواد اللغة)) (٤)، وهو يردّ على بعض اللغويين القدامى الذين يخالفون في هذا، فيروّون أنّه لا قياس على كلام العرب في الاشتقاق، وأنّ كلّ كلام العرب توقيف؛ ((فلنّ الذي وقفنا على أنّ

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف... (م / ٢٨)، ص: ٢٣٥ - ٢٤٥.

(٢) الاشتقاق لعبد الله أمين: ١٤٧ - ١٤٨.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٦٩. وينظر: البحث النحوي عند الأصوليين: ٩٤ - ٩٧.

(٤) فصول في فقه العربية: ٢٩٢.

الإجتتن التستر، هو الذي وقفنا على أنّ الجنّ مشتق منه، وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قيلمًا لم يقيسوه؛ لأنّ في ذلك فساد اللغّة وبطلان حقائقها))^(٢)، فيقول - عبد التّواب -: ((وفي هذا القول غلو وإسراف، في منع القياس على ما اشتقّه العرب، علاوة على ما فيه من فساد الاعتقاد، باشتقاق المعنوي من الحسي؛ فإنّ (الإجتتن) مأخوذ من الجنّ وليس العكس))^(٣).

ثالثًا: الإعلال في الأفعال المعتلة:

نعني بالأفعال المعتلة هنا، ما كان منها أجوف، نحو قل، وباع، وخاف وطلّ أو ناقصًا، نحو دعا، وقضى. أو اللّيف المقرون، نحو روى.

و أشار اللغويون والنحويون القدماء إلى الأصول بقولهم: (كذا أصله كذا)، فيروون مثلًا أنّ الأصل في: قال، (قَوْل)، وباع، (بَيْع) وعَلّلوا ذلك أنّ الواو والياء المتحركتين المقنوح ما قبلهما تقلبان ألفًا. بيّد أنّهم يعوّدون فيؤكّدون أنّ هذا الأصل لم يستخدم في العربية في يوم ما؛ إذ يقول ابن جنّي مثلاً: ((هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه، لا حقيقة تحته؛ وذلك كقولنا: الأصل في قام: قَوْم، وفي باع: بَيْع... فهذا يوهّم أنّ هذه الألفاظ وما كان نحوها - ممّا يدّعى أنّ له أصلاً يخالف ظاهر لفظه - قد كان مرّة يقال، حتّى أنّهم كانوا يقولون في موضع: قام زيد: قَوْم زيد... وليس الأمر كذلك، بل بضدّه؛ وذلك أنّه لم يكن قطّ مع اللفظ به إلا على ما تراه وتسمعه. وإنّما معنى قولنا: إنّ كان أصله كذا، أنّه لو جاء مجيئ الصحيح ولم يعمل، لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا، فأما أن يكون استعمل وقتنا من الزمان كذلك، ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ، فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر))^(١).

أمّا الدكتور رمضان عبد التّواب فيرى أنّ هذه الأصول قد استعملت حقيقة مدة من الزمن، ومن ثم تطوّرت هذه الألفاظ خلال الزمن فأصبحت على ما هي عليه

(٢) الصّاحبي...: ٦٧، والمزهر...: ١ / ٣٤٦.

(٣) فصول في فقه العربية: ٢٩٣.

(١) الخصائص: ١ / ٢٥٦.

في الوقت الحاضر، إذ يقول: ((معرفتنا بالحبشية من بين اللغات السامية، تقودنا إلى الإيمان بأن هذا الأصل مرحلة أقدم ممّا وصل إلينا في العربية، ففي الحبشية يقولون: (بَيِّن) بمعنى: تحقّق، و(كَيِّن) بمعنى: دان، و(رَمَي) بمعنى: رَمَى، و(تَلَو) بمعنى: تلا، وهكذا))^(٢).

وقد سطر الدكتور رمضان عبد التواب مراحل التطور، التي مرّت بها الأفعال المعتلّة في اللغة العربية، وأخواتها اللغات السامية، وبين ما تركت بعض هذه المراحل من ركام لغوي^(٣) هنا وهناك. وسأعرض ذلك بإيجاز وعلى النحو الآتي:-
المرحلة الأولى^(٤):-

إنّها كانت: قَوْل، وبيّع، وخوف، وطول، ودعوى، وروى، وهوى، على نمط الصحيح تمامًا. وبقي بعض الأمثلة من هذه المرحلة كما هي في اللغة الحبشية في بعض الأفعال الجوفاء، وفي كلّ الأفعال الناقصة، أو من نوع اللفيف المقرون، مثال ذلك ما ذكرناه آنفًا. وكذلك بقيت من هذه المرحلة، عدّة أفعال في العربية؛ مثل: (عَوَر)، و (حَوَر)؛ و (هَيْف)، و (استحوذَ)، و (استنوق).

المرحلة الثانية^(٥):-

مرحلة تسكين الواو والياء للتخفيف، فيصبح الفعل على نحو: قَوْل، وبيّع وخوف، وقضّي، ورَمَى... الخ. وقد بقيت هذه المرحلة عند قبيلة طيبي كما ذكرنا سابقًا عند تناولنا لهجة طيبي القديمة.

(٢) فصول في فقه العربية: ٤٨.

(٣) اصطلاح (الركام اللغوي) صنعه الدكتور عبد التواب قياسًا على: (الركام الحجري)؛ ذلك الاصطلاح الجيولوجي، الذي يعنون به تلك الأحجار، التي تجرفها السيول والانهيارات الثلجية، من مكان إلى مكان، أمّا (الركام اللغوي) فمصطلح يعني بقايا الظواهر اللغوية المنتثرة؛ فهو يعتقد أنّ الظاهرة اللغوية الجديدة، لا تمحو الظاهرة القديمة بين يوم وليلة، بل تسير معها جنبًا إلى جنب مدّة من الزمن، وحين تتغلب عليها، لا تقضي على أفرادها قضاءً مبرمًا، بل تبقى منها الأمثلة، ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٥٨ - ٥٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥٩ - ٦٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٦٠ - ٦٣.

المرحلة الثالثة^(٢):-

وهي انكماش الأصوات المركّبة، وهي في العربية: الواو، والياء، المسبوقتان بالفتحة، في مثل: (قول) و (بيّت)، فتحوّل الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة طويلة ممالّة، والياء المقنوح ما قبلها تنكّمش فتحوّل إلى كسرة طويلة ممالّة، كقولنا في لهجة الخطاب: يُوم (yōm) و (nōm) بدلا من (يُوم وتُوم)، وليّل (LeL)، وبيّت (beT) بدلا من: (ليّل وبيّت)، وغير ذلك.

وهذه المرحلة شائعة في اللغة الحبشية في الأفعال الجوفاء فيها، مثلا: kōma (قام)؛ Šēta (باع) وغير ذلك.

و توجد هذه المرحلة في اللهجات العربية التي في مثل قراءة من أمال في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾^(٣).

المرحلة الرابعة^(٤):-

التحوّل من الإمالة إلى القتح الخالص؛ ذلك أنّ الحركة الممالّة الناتجة من انكماش الصوت المركّب، كذيّرا ما تتطوّر في اللغات المختلفة، فتحوّل إلى فتحة طويلة^(٥)؛ فمثلا كلمة: (فأين) تطوّرت بعد سقوط الهمز منها إلى (فَين) fēn بدلا من (فَين) وفي بعض اللهجات العراقية: (وَين) wen المتطوّرة عن: (وَين) بعد سقوط الهمزة من: (وَين). غير أنّ أهالي مصر العليا، ينطقون (فن) بدلا من: (فَين) fēn الشائعة فيما عدا ذلك في بلاد مصر، أي أنّ التطوّر الصوتي في هذا الصوت المركّب، كان على النحو الآتي: ā < ē < uy.

وهذا التطوّر الأخير هو الذي وصلت إليه العربية في مثل: (قام) و (باع) و (خاف) و (دعا) و (قضى) و (رمى). و وصلت إليه اللغة العبرية في مثل: Šat (وضع)؛ rām (ارتفع)؛ gār (سكن). وإلى مثل ذلك وصلت اللغة الآرامية، في نحو:

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٣ - ٦٤.

(٣) الضحى: ١ - ٣، قرأ حمزة والكسائي بالإمالة إلا قوله (سجى) فإنّ الكسائي فتحه، ينظر: التيسير في القراءات السبع: ٢٢٣.

(٤) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٦٤ - ٦٥.

(٥) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: ٥١.

كām (قام)؛ hāT (خاط)؛ sām (وضع)؛ ram (رمى)؛ bnā (بنى)؛ krā (دعا، سمى).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدكتور إبراهيم السامرائي أنكر الأصول المفروضة أو المتخيلة التي قال بها اللغويون وتبعهم رمضان عبد التواب، ويرى أن نحو (قال وباع) وغيرهما أصول قديمة بذاتها وليست مغيرة عن أصول أخرى، إذ قال: ((ليس لنا أن نقول: إن المد في (قال) آت من واو متحركة والأصل (قَوْل) وكذا في (باع) فلدها من (بَيَع). والحقيقة أن الفرق كبير بين هذا المد والواو المتحركة والياء المتحركة في (قال) و (باع). وعلى هذا فلا يكون أصل قال وباع (قَوْل) و(بَيَع)))).^(١)

ومن الباحثين من ذهب إلى مسألة الإعلال والتصحيح في (عين) هذه الأفعال من الاختلافات اللهجية، فقد نسب التصحيح إلى أهل الحجاز فهم يقولون: عَوْر يَعُورُ، حَوْرَ يَحُورُ. وتميم يعلون هذه الأفعال فيقولون: عارَ يعارُ، وحارَ يحارُ^(٢).

رابعاً: صيغة (أنفعل) المطاوع:-

صيغة (أنفعل) موضوعة للدلالة على مطاوعة الفعل الثلاثي، أي قبول أثر هذا الفعل، مثل: كسرتُ الإناءَ فأنكسرَ، وفتحْتُ البابَ فأنفتحَ^(٣). وأنكر الدكتور مصطفى جواد المطاوعة في الصرف ويرى أنها محض خرافة؛ إذ يقول: ((وفي الصرف خرافةٌ عجيبةٌ لم يزل المعنيون بالصرف يرددونها وما قدنت الكتب الصرفية تنقلها وهي (المطاوعة)... والصحيح أنه ليس في اللغة العربية أوزان المطاوعة ولا أثر للمطاوعة في هذه الأوزان التي ذكروها، وقد قام الخيال الصرفي في هذه المسألة بدور كبير، ونحن لم نجد عربياً فصيحاً استعمل في

(١) الفعل زمانه وأبنيته: ١١٠.

(٢) ينظر: اللهجات العربية في التراث: ٥٣١ / ٢.

(٣) قال ابن سيده: ((ومضى قولنا (مطاوعة) أن المفعول به لم يمتنع مما رامه الفاعل، ألا ترى أنك تقول فيما امتنع مما رمته: دفعته فلم يندفع، وكسرتَه فلم ينكسر، أي أوردت أسباب الكسر عليه فلم تؤثر))، المخصص: ١٤ / ١.

كلامه جملة (كسرت العود فانكسر) ولا أمثالها، ولا (حطّمته فحطّمْ) فالعرب كانت تكفي بن تقول (كسرت العود

وحطّمته) وصورة الفعل تدلّ على نتيجته، وإذا أرادت أن تطوي ذكر الفاعل، قالت: كسِرَ العودُ وحطّمْ))^(١).

وقوله: أنه لم يجد عربياً فصيحاً استعمل ذلك قولاً مردوداً بما ذكره الدكتور رمضان عبد التواب من شواهد المطاوعة في الشعر العربي القديم^(٢)، كقول أبي قيس بن الأسلت:

محاَجُهُمْ تحت أَقْرَابِهِ وقد شَرَمُوا جِلْدَهُ فانشَرم^(٣).

وقول سهم بن حنظلة الغنوي:
حَتَّى يُصَادِفَ مَالاً أَوْ يُقَالَ قَتَى لاقى التي تَشَعَبُ الفَتِيانَ فانشَعَبَا^(٤).

وقول سويد بن كراع:
فإن تَزَجْراني يا ابن عَفْانِ أنْزَجِرْ وإن تتركاني أَحْمِ عِرْضاً مُنْعَا^(٥).

وقول ذي الرمة:
سَيلاً من الدَّعْصِ^(*) أَغْشَتْهُ نكبأءُ تَسْحَبُ أعلاهَ فَيَنْسَجِبُ^(١).

ويرى د. مصطفى جواد أنّ أفعال المطاوعة لم تكن تُشبه في المعنى المبني للمجهول؛ لأنها لو كانت ((تؤدي معنى الفعل المبني للمجهول، أو كان الفعل المجهول يؤدي معنى هذه الأفعال ما احتاج الواضع إلا إلى إحدى الطريقتين منهما للتعبير ولم يأت بهما معاً))^(١).

(١) المباحث اللغوية في العراق: ١٥- ١٧.

(٢) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٧٩.

(٣) لسان العرب: (شرم) ٢١٣/١٥.

(٤) الأصمعيات: ق ١٢/١٢ ص ٤٨.

(٥) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ١٦.

(*) الدَّعْصُ: ((قور من الرمل مجتمع))، لسان العرب: (دعص): ٧/ ٣٥.

(١) ديوانه: ٢.

(٢) المباحث اللغوية في العراق: ١٨.

بَيِّدَ أَنَّ الدكتور رمضان عبد التواب يرى أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فاعِلُ الفِعْلِ المَطْوُوعِ (انفعل)، ((ضميراً يعود على مفعول الفِعْلِ السَّابِقِ عَلَيْهِ فِي جَمَلَتِهِ، أَصْبَحَ الفِعْلُ المَطْوُوعِ، مَشْبَهًا فِي المَعْنَى لِلْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ، فِي نَحْوِ: (كَبِيرَ الإِنَاءِ) وَ (فَتِيحَ البَلْبِ)؛ إِذْ لَا يَذْكَرُ مَعَ المَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ غَالِبًا، إِلا مَا هُوَ مَفْعُولٌ بِهِ فِي المَعْنَى، وَأَصْبَحَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَنْوِبَ هَذَا المَطْوُوعِ مَنْابَ المَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ. وَقد بدأت هذه الظاهرة في التطور، في عصر نزول القرآن الكريم؛ ولذلك نجد الفعل المطووع واردًا في النص القرآني، في سياق الأفعال المبنية للمجهول في بعض الأحيان، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِعَتْ ۝٣ وَإِذَا الْغُبُورُ بُعِثِرَتْ ۝٤ ﴾ ((...))^(١). ويرى عبد التواب أيضًا أَنَّ هَذَا التَطَوُّرَ فِي هَذِهِ الظَّاهِرَةِ قَدْ ظَلَّ ((سائرًا على السنة العامة، شيئًا فشيئًا، حتى كادت صيغة المبنى للمجهول الأصلية تندثر في كثير من اللهجات العربية الحديثة وينوب عنها في الدلالة على الجهل بالفاعل، صيغة: (انفعل)؛ إذ يقول العامة في مصر مثلاً: (فلان انضرب علأة سخنة، وعيظ لَمَّا أنفلق من العياط))^(٢).

خامسًا: فَعَلَ وَ أَفْعَلَ:-

معلوم أَنَّ (فَعَلَ) اللّازِمَ تَعْدِيَهُ العَرَبِ بِوَسَائِلِ مُخْتَلَفَةٍ، مِنْهَا زِيَادَةُ الهَمْزَةِ فِي أَوَّلِهِ، نَحْوُ: ذَهَبَ وَأَذْهَبَ، وَخَرَجَ وَأَخْرَجَ. وَأَنَّ لِصِيغَةِ (أَفْعَلَ) مَعَانِي تَزِيدُ عَلَى السَّنَةِ إِلَى جَانِبِ اسْتِعْمَالِهَا لِلتَّعْدِيَةِ، فَهِيَ المَكَانُ وَالزَّمَانُ، وَالصِّيْرُورَةُ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى مَصَادَفَةِ المَفْعُولِ بِهِ عَلَى صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ، وَالتَّعْرِيفُ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى الاسْتِحْقَاقِ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى السَّلْبِ وَالإِزَالَةِ^(١).

على أَنَّا نَجِدُ هَذِهِ الصِّيغَةَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ تُؤَدِي المَعْنَى الَّتِي تُؤَدِيهِ صِيغَةُ (فَعَلَ)، وَهِيَ مُتَعَدِيَةٌ بِالهَمْزَةِ وَبِغَيْرِهَا، نَحْوُ: مَضَّنِي الأَمْرَ وَأَمَضَّنِي. وَالثَّانِيَةُ لُغَةٌ تَمِيمٌ^(٢)، ((وأهل الحجاز يقولون قَنَّتُهُ المَرَاةَ، إِذَا وَلَّ هَشَّةً وَأَحَبَّهَا، وَأَهْلُ نَجْدٍ يَقُولُونَ: أَفَنَّنْتُهُ))^(٣).

(*) الانفطار / ١ - ٤.

(٣) بحوث ومقالات في اللغة: ٧٩ - ٨٠.

(٤) المصدر نفسه: ٨٠.

(١) ينظر: الصرف للضامن: ٥٣، ٥٤.

(٢) لسان العرب: (مضض): ٩ / ١٠١.

(٣) المصدر نفسه: (فتن) ١٧ / ١٩٦.

وتفسير ذلك عند الدكتور رمضان عبد التواب في إطار ما عُرِف من ترك الهمز عند القبائل الحجازية، في مقابل احتفاظ القبائل النجدية بالهمزة - أصلية كانت أم زائدة - في أماكنها القديمة من الكلمة فيقول: ((... لا يكون إلا بعزو الصيغ المهموزة إلى القبائل النجدية، والصيغ الخالية من الهمز إلى القبائل الحجازية. ويعضدنا في هذا التفسير، تلك الروايات الكثيرة في بطون كتب اللغة، التي تسند صيغة (أَفْعَل) إلى إحدى القبائل النجدية و صيغة (فَعَل) التي بمعناها إلى إحدى القبائل الحجازية))^(٤).

ويرى الدكتور مصطفى جواد أنَّ هاتين الصيغتين إذا دلّتا على معنى واحد فالثلاثي هو الراجح وهو الفصيح ما لم ينبّه اللغويون على فصاحة الرباعي دون الثلاثي وهو نادر^(٥).

ويعقب الدكتور رمضان عبد التواب على رأي العلامة مصطفى جواد قائلاً: ((وليس الأمر كما زعم هذا العالم الجليل، بل الأصل في نظرنا، هو: (أَفْعَل) وقد ترك الحجازيون همزه على عانتهم. هذا ما دمنا نقول باتحاد المعنى في فَعَل و أَفْعَل))^(٦).

ونقابل في العربية الفصحى عكس هذه الظاهرة تماماً، فنجد (فَعَل) المتعدي في الأصل، إلى جانب (أَفْعَل) المتعدي كذلك؛ مثل: (سَقَيْتُ فُلَانًا) و (أَسَقَيْتُهُ). فنجد الأصل في هذا المثال ونحوه، هو الثلاثي المتعدي.

ويفسّر الدكتور رمضان عبد التواب هذه الظاهرة بقوله: ((إنَّ عقدة الهمز عند الحجازيين، وحسبانهم كلٍّ غير المهموز من لهجات الخطاب المحلية عندهم، جعلهم يتحدلقون ويبالغون في التفصّح، فيلحقون الهمزة بالثلاثي ظلماً منهم أنّ الهمزة قد سقطت منه في لهجاتهم المحليّة، فبعد أن صار الهمز شعار العربية الفصحى تسابق العرب في النطق به، فأدى ذلك إلى همز ما ليس أصله الهمز))^(٧).

(٤) مشكلة الهمزة العربية: ١١٩.

(٥) ينظر: المباحث اللغوية في العراق: ٤٣.

(٦) مشكلة الهمزة العربية: ١٢١.

(٧) المصدر نفسه: ١٢٧ - ١٢٨.



* * *

المبحث الثالث

جهوده الدلالية

يقصد بعلم الدلالة: ((دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى))^(١). ويُعدُّ علم الدلالة أحدث فروع علم اللغة كليًا وأصعبها، فهو يعرض لمشكلة المعنى، ((والمعنى اللغوي كما هو معروف يتعلَّق بكلِّ شيء في حياة الإنسان... وليس من الأسهل على الدارس أن يحدِّد هذا كله ويتعرَّف عليه *تعرَّفًا دقيقًا إلا بدراسة شاقَّة طويلة قد تستغرق حياته كلها))^(٢). ويمكن بعد هذا أن نتناول جهود رمضان عبد التواب في المجال الدلالي على النحو الآتي:-

أولاً: التطوُّر اللُّغوي الدلالي:-

يرى الدكتور (رمضان عبد التواب) أنَّ التطوُّر اللُّغوي يعرض للغة العربية كما يعرض لأية لغة في العصر الحاضر؛ إذ ((إنَّ اللغة كائن حيّ، لأنَّها تحيا على ألسنة المتكلِّمين بها وهم من الأحياء، وهي لذلك تتطوُّر وتتغيَّر بفعل الزمن كما يتطوُّر الكائن الحيّ ويتغيَّر... وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أوضاع المجتمع، وتستمد كيَّانها منه، ومن عاداته وتقاليده وسلوك أفرادها، كما أنَّها تتطوُّر بتطوُّر هذا المجتمع فترقى برقيه وتتحط بانحطاطه))^(٣).

(١) علم الدلالة، لأحمد مختار عمر: ١١.

(٢) الصواب: يتعرَّفه

(٣) دراسات في علم اللغة (القسم الأول): ٣٢.

(٤) التطوُّر اللُّغوي، مظاهره وعلله وقوانينه: ٥.

يتّضح لنا من ذلك أنّ التطوّر اللغوي ضرورة تحتّمها طبيعة النظام الاجتماعي في كلّ مجتمع بعدها ظاهرة اجتماعية، إذن فكيف يمكننا أن ندرس هذا التطوّر؟

إنّ هذا الأمر يحتاج إلى رجل عمره أطول من أعمار الناس لا يقاس بالسنين بل بالأدقاب ليسمع كلام الناس ويسجّله على مدى عشرات من الأجيال السابقة واللاحقة، حتى يتمكّن من توضيح ما تغيّر في اللغة ممّا ظل على حاله منها، أو أن يفتح الله على أحدهم، فيعطيه الصبر على البحث والدراسة حتى يغوص في بطون كتب اللغة قديمها وحديثها، ليخرج بملاحظات كثيرة حول ظواهر لغوية متطورة أو متغيرة تشيع حتى تأخذ شكل قانون لغويّ. ولا بدّ لهذا من علمٍ بعدد من اللغات، بل فهم ودراسة بخصائص كلّ هذه اللغات ومواضع الاتّفاق والاختلاف فيها. ولا بدّ له أيضاً من ذكاء شديد وذاكرة لغوية حافظة لكلّ شاردة وواردة في اللغة وما أتصل بها من علوم أخرى، وفهم لديناميكية اللغة في حركتها وتطوّر ها، ولقد وجدنا أنّ هذه السمات تكاد تجتمع في شخصية العالم اللغوي الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب؛ إذ انطلق هذا الرجل - رحمه الله - إلى بحور اللغة يجمع تلك الملاحظات اللغوية التي تحوّلت بالربط بينها إلى قوانين لغويّة. فأخرجها لنا في كتابين في هذا الموضوع كما ذكرنا سابقاً، هما: لحن العامّة والتطوّر اللغوي، والتطوّر اللغوي مظاهره وعلايه وقوانينه، فضلاً عن آرائه المبنوثة في أثناء كتبه الأخرى؛ إذ تضمّنت جهوداً واسعة في مجال التطوّر اللغوي؛ لذا فإنني لن أطيل في هذا الجانب لسعة حجم الموضوع وتشعبه، فضلاً عن أنّه يمكن أن يكون دراسة مستقلة بذاتها، لما فيها من آراء قيمة في مظاهر التطوّر اللغوي وقوانينه، وسأتناول بإيجاز نبذة عن جهده في التطوّر الدلالي وعلى النحو الآتي:

العوامل التي تؤدي إلى التطور الدلالي^(١) :

السياق المضلل:

يذكر الدكتور رمضان عبد التواب مثلاً على ذلك ((خطأ إحدى المذيعات في وصف (البخل) بأنه (بخل مدقع)؛ لأنها تسمع هذا الوصف دائماً مع كلمة: (الفقر) بمعنى: (الفقر الشديد)، وهو معنى لازم للمعنى الأصلي للكلمة...، وهذا من وهم السياق الذي تدور فيه هذه الكلمة))^(٢).

١. **تغير المسمى وبقاء الاسم:** مثل: ((مدلول القطار، الذي كان يراد به

مجموعة الإبل المنتظمة في سيرها، ثم استعير للقاطرة الحديثة؛ لأنها تجمع في سيرها طائفة من العربات))^(٣).

٢. **سوء الفهم والقياس الخاطئ:** مثل كلمة (عتيد) التي تطورت

دلالتها في أذهان الناس، إلى معنى (عتيق) أو (عزيد)؛ بسبب القياس الخاطئ على هاتين الكلمتين.

٣. **تطور أصوات الكلمة:** مثل كلمة (كماش) الفارسية، بمعنى: نسيج من

قطن خشن، قد تطورت فيها الكاف فأصبحت قافاً، فشابهت الكلمة العربية: (قماش) بمعنى: أراذل الناس، وما وقع على الأرض من فتات الأثنياء، ومتاع البيت، فأصبحت هذه الكلمة العربية، ذات دلالة جديدة على المنسوجات.

٤. **اختصار العبارة:** مثل: عبارة (فلان من الذوات) في العامية المصرية،

أي من الأغنياء، فهذه الكلمة مختصرة بلا شك من عبارة: (ذوات الأملاك).

(١) ينظر: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه: ١١١ - ١١٤.

(٢) المصدر نفسه: ١١١ - ١١٢.

(٣) مباحث لغوية: ٩٢.

٥. **الابتدال:** الذي يصيب الألفاظ في كلّ لغة لظروف سياسية أو اجتماعية أو عاطفية؛ فمثلاً كلمة: (الحاجب) كانت تعني في الدولة الأندلسية: (رئيس الوزراء)، ثم صارت على النحو المألوف الآن.

المظاهر التي يسلكها التطور الدلالي^(١):

١. **تخصيص الدلالة:** أي يحدث في معنى الكلمة تضيق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص، مثل: تخصيص كلمة (الحريم) للدلالة على النساء بعد أن كانت تطلق على كلّ جمي محرّم.
 ٢. **تعميم الدلالة:** أي يحدث في معنى الكلمة اتّساع عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام، مثل إطلاق كلمة (البأس) على كلّ شدّة، وهي في الأصل بمعنى الحرب، وكذلك استعمال (تعال) للأمر بالمجيء مطلقاً، وأصلها لأمر من كان في سفلى أن يأتي محلاً مرتفعاً، ثم استعملت لمطلق المجيء أي بمنزلة (هَلُمَّ).
 ٣. **انتقال الدلالة لغير التخصيص والتعميم:** وذلك عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص، كما في حالة انتقال الكلمة من المحلّ إلى الحال، أو من السبب إلى المسبب، أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه... الخ. وإنّ انتقال المعنى يتضمّن طرائق شتى يطلق عليها النحاة أسماء اصطلاحية، منها: المجاز المرسل والاستعارة وغير ذلك.
- ومن أمثله الكثيرة: إطلاق اللسان على اللغة؛ لأنّه آلة الكلام، وإطلاق الوغى على الحرب، وأصلها: اختلاط الأصوات بالحرب وما إلى ذلك.

(١) ينظر: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه: ١١٤ - ١١٩.



ثانياً: النحت و التركيب:-

النحت هو انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر، أما التركيب فهو امتزاج كلمتين من كلمات اللغة، ويكون لهما بعد التركيب معنًى لم يكن لهما في حالة الأفراد مثل بعلبك وحضرموت.

يعدُّ النحاة واللغويون العرب كلاً من التركيب والنحت شيئاً واحداً ويسمونه (النحت)، بيِّد أنَّ الفرق بينهما هو أنَّ في النحت اختزالا واختصاراً، أما التركيب فليس فيه شيءٌ من مادة المفردات التي تدخل في تركيب الكلمة الجديدة^(١).

أما أسباب نشوئه فهي: الاختصار^(٢)، كما أنَّ المتكلم قد يصعب عليه أن (يفصل بين كلمتين في ذهنه دفعة واحدة، وربما تتداخل الكلمتان فيما بينهما تداخلا تاماً. والنتيجة الطبيعية لمثل هذه الزلّة وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلفة، أو سيرورة الكلمتين كلمة واحدة عن طريق المزج بينهما (contamination) أو تكوين كلمة صناعية مشتملة على مزيج من أصوات كلمتين أخريين، وجامعة لمعنييهما (a'portamanteun word) أو أكثر الكلمات التي تتكوّن بهذه الطريقة ذات عمرٍ قصير، غير أنَّ قدرًا غير يسير منها قد يكتب له البقاء فيستقرّ في اللغة كلمات جديدة^(٣)). وأرجع علماء اللغة النحت إلى أربعة أقسام: فعلي، ووصفي واسمي، ونسبي^(٤).

وإنَّ اليد الطولى في هذا الموضوع، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، فهو إمام القائلين بالنحت بين اللغويين القدامى؛ إذ يقول: ((اعلم أنَّ للرباعي والخماسي مذهباً في القياس، يستنبطه النظر الدقيق، وذلك إنَّ أكثرَ ما تراه منه منحوت. ومعنى النحت: أن تؤخذ كلمتان، وتحت منهما كلمة تكون آخذة منهما

(١) ينظر: الدراسات اللغوية في العراق: ٢٥٤.

(٢) ينظر: الصاحبى...: ٢٧.

(٣) دور الكلمة في اللغة: ١٤٠ - ١٤١.

(٤) ينظر: الاشتقاق والتعريب: ١٣ - ١٥، وقصول في فقه العربية: ٣٠٢.

جميعًا بحظ))^(٥). بَيَّنَّ أَنَّ ابن فارس لم يستطع أن يفسر الرباعي والخماسي كلَّه هذا التفسير، فجعله على ثلاثة أقسام: منحوت، وموضوع، وملحق بهما بزيادة حرف في أوله أو في وسطه أو في آخره على أصله الثلاثي؛ إذ يقول: إنَّ منه ((ما نُحِتَ من كلمتين صحيحتي المعنى، مطَّرد في القياس، ومنه ما أصله كلمة واحدة، وقد ألحق بالرباعي والخماسي، بزيادة تدخله، ومنه ما يوضع كذا وضعا))^(١). ومن أمثلة المنحوت عند ابن فارس: ((البُخْتَر، وهو: القصير المجتمع الخَلْق، فهذا منحوت من كلمتين من الباء والتاء والراء، وهو من بَخَّرْتَهُ فُبَيَّرَ، كأنه حُرِمَ الطول، فُبَيَّرَ خَلْقُهُ. والكلمة الثانية: الحاء والتاء والراء؛ وهو من حَخَّرْتُ وَاخْتَرْتُ، وذلك أَلَّا تُفْضِلَ على أحد؛ يقال: أَخْتَرَّ على نفسه وعياله، إذا ضَيَّقَ عليهم؛ فقد صار هذا المعنى في القصير؛ لأنَّه لم يُعْطَ ما أُعْطِيَهُ الطويل))^(٢).

ويلاحظ أنَّ ابن فارس لا يرى النحت إلا فيما زاد على ثلاثة أحرف؛ فيقول: ((هذا مذهبنا في أنَّ الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف، فأكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد: ضَيْبَطْر، من: ضبط و ضبط. وفي قولهم: صَهْصَلِق، أنه من: سهل وصلق. وفي الصلدم أنه من: الصلد والصدم))^(٣).

أمَّا الدكتور رمضان عبد التواب فيرى أنَّ بعض الكلمات الثلاثية منحوتة أيضًا، فإنَّ كلمة (أَسْمَر) مثلا، عنده منحوتة من (أَسْوَد) و (أَحْمَر). وهو يقول: ((هناك الأمثلة الكثيرة، التي تؤكد أنَّ العربية تعرف النحت، في كلماتها الثلاثية وغيرها))^(٤).

ويبدو لي أنَّ هذا الرأي يطغى عليه الخيال اللغوي، ولا دليل عليه، ولو فتحنا هذا الباب لجاؤنا آراءً كثيرة تحمل لنا الكثير من التكلّف والمبالغة.

(٥) مقاييس اللغة: ٣٢٨/١.

(١) مقاييس اللغة: ٥٠٥/١.

(٢) المصدر نفسه: ٣٢٩/١.

(٣) الصاحبى...: ٢٧١.

(٤) ينظر: فصول في فقه العربية: ٣٠٥، ٣٠٧.

ثالثاً: التعريب:

التعريب: ((ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعانٍ في غير لغتها))^(١). وقال إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ): ((وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها))^(٢). وذلك ((بأن تؤخذ الكلمة الأجنبية المستعملة، فتوضع في قالب عربي من حيث أصواتها وصيغتها على نحو ما جرى في: فلسفة، وهرطقة، وسفسطة، التي اتخذت كلها حروفاً عربية، وبدت في صيغة عربية هي صيغة (فعللة))^(٣).

إن التعريب حظي بعناية اللغويين الأوائل رغبة منهم في تمييز الألفاظ الدخيلة من العربية الأصلية، وقد أرسوه على أصول راسخة ثابتة. فقد وضع العلماء علامات، يعرف بها المعرب في العربية، استنتجوها من موازنة نسج الألفاظ العربية، بنسج هذه الألفاظ المعربة، وقد لخصها الدكتور عبد التواب، على النحو الآتي^(٤):

١. اجتماع الصاد والجيم؛ مثل: جص، وصنجة، وصولجان.
٢. اجتماع الجيم والقاف؛ مثل: المنجنيق، والجوالق، والجرموق.
٣. اجتماع الباء والسين والتاء؛ مثل: البستان.
٤. وقوع الراء بعد النون؛ مثل: نرجس، ونرسيان.
٥. وقوع الزاي بعد الدال؛ مثل: المهندز.
٦. خلو الكلمة الرباعية والخماسية من حروف الذلاقة (فر من لب)؛ مثل: عقجش.
٧. خروج الكلمة عن الأوزان؛ مثل ابريسم.

(١) مقاييس اللغة: ٤/ ٣٠٠.

(٢) الصحاح: (عرب)

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية: ٣٦.

(٤) فصول في فقه العربية: ٣٦٣، وينظر: المعرب للجوا ليقني: ١١ - ١٢، والمزهر: ١/ ٢٧٠،

وتهذيب الألفاظ العامية: ٢٢ - ٢٣، وفقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي: ٢٠٠.

فالعربية ((لغة" إذا دخلتها كلمة أجنبية عندها، قلق موضعها، حتى تأخذ وزن كلمات اللغة وهيئة حركاتها؛ لتشاكلها وتمثلها وتأتلف معها؛ لذلك تراهم يشذبون الكلمات الأعجمية الطارئة التي لم تأتِ على أوزان العرب، بالحنف والإبدال، حتى تلائم الأسلوب العربي))^(١).

وقد بيّن الدكتور رمضان عبد التواب منهج العربية في تعريب الألفاظ الأعجمية وذلك على النحو الآتي^(٢):-

١. إبدال الأصوات التي ليست من أصوات العرب إلى أقربها مخرجًا؛ لئلا

يدخل في كلامهم ما ليس من أصواتهم. فمِمَّا غيَّروه من الأصوات: ما كان بين الجيم والكاف (ك)، وربما جعلوه كفاء، وربما جعلوه جيمًا، وربما جعلوه قافًا^(٣). وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء (P) فاء، وربما جعلوه باءًا^(٤).

٢. تغيير بناء الكلمة إلى أبنية العربية. فمِمَّا الحقوه بأبنيتهم: (برهم) الحقوه بهجرع....^(٥)

٣. ترك اللفظ الأعجمي على حاله، إذا كان موافقًا لمنهج العربية في الأصوات والصيغ، أو أبنية الكلمات.

ونجد أنّ اقتراض اللغة العربية من جاراتها اللغات الأخرى قد حدث في وقت مبكر، وكان ((دأب العرب في جاهليتهم، أن تجري على ألسنتهم بعض الألفاظ، التي يحتاجون إليها من لغات الأمم المجاورة لهم، بعد أن ينفخوا فيها من روحهم العربية، ويتلقفها الشعراء منهم، فيدخلوها في أشعارهم و أرجازهم))^(٦).

وعندما جاء القرآن الكريم، وأنزله الله تعالى بهذه اللغة العربية، جاء فيه شيء من تلك الألفاظ المعربة، وكان السلف الصالح من الصحابة والتابعين، يدرك ذلك

(١) مولد اللغة: ٦١.

(٢) فصول في فقه العربية: ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٣) ينظر: المعرب للجواليقي: ٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٨.

(٦) فصول في فقه العربية: ٣٥٩.

تمامًا؛ فقد ((روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم، في أحرف كثيرة أنه من غير لسان العرب؛ مثل: سَجِيل، والمشكاة، واليَم، والطور، وأباريق، وإستبرق، وغير ذلك))^(١). ولكن طائفة من مفكري الإسلام، تذهب إلى إنكار وقوع المعرّب في القرآن الكريم، منهم: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)؛ إذ يقول: ((من زعم أنّ في القرآن سوى العربية، فقد أعظم على الله القول))^(٢). وكذلك أبو بكر بن الأنباري، يقول ((... إنّ الله ﷻ لا يخاطب العرب بلغة العجم؛ إذ بيّن ذلك في قوله جلّ وعلا: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٣))).^(٤)

وذهبت طائفة أخرى إلى القول بعربية هذه الألفاظ بعد أن عربتها العرب، فهي عربية في هذه الحال، أعجمية الأصل^(٥).

أمّا في العصر الحديث فيواصل الشيخ أحمد شاکر، حملة أبي عبيدة في القديم، على من ذهب إلى وقوع المعرّب في القرآن، ويصم القول بذلك، بأنّه ((قولٌ ينبو عنه التحقيق، وإنما ذهب إليه من ذهب، إعظامًا لِمَا روي عن بعض الأقدمين في ألفاظ قرآنية، أنّها معرّبة، وعجزًا عن تحقيق صحّة الرواية، وعن تحقيق صحّة هذه الحروف في كلام العرب، ثم تقليدًا لأولئك القائلين، وجمّعًا بين القولين زعموا))^(٥).

وحاول الشيخ شاکر أن يعثر على اشتقاق عربي للكلمات التي ذكرها الجواليقي في كتابه (المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم).

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أنّ الأمثلة التي ذكرها الشيخ أحمد شاکر، ضدّ القول بوقوع المعرّب في القرآن تدلّ على تعصّبه، فيقول: ((وهو تعصّب لا مبرر له؛ إذ الكلمة المعرّبة تصبح عربية، باستعمال العرب آياها على مناهجهم في لغتهم، غير أنّ ما دعا العلماء إلى القول بعدم أصلتها في العربية، أنّها تدلّ على شيء لم يكن له وجود في الأصل، في البيئّة العربية، وأما هو وافد مع اسمه إلى تلك

(١) المعرّب للجواليقي: ٥.

(٢) المصدر نفسه: ٤.

(٣) الزخرف / ٣.

(٤) الأضداد: ٣٨.

(٥) من أصحاب هذا المذهب: أبو عبيد القاسم بن سلام، ينظر: المعرّب: ٥.

(٥) مقدّمة المعرّب للجواليقي: ١١.

البيئة، كما وفدت علينا في العصر الحديث كلمات، مثل: تليفون، وراديو، وتلفزيون، مع أجهزتها التي سُميت بها...، لأنّ المفردات التي تقبّسها لغة ما، عن غيرها من اللغات، يتصلّ معظمها بأمور قد اختصّ بها أهل هذه اللغات، أو برزوا فيها... وهكذا نرى من العبث إنكار وقوع المعرّب في العربية الفصحى، والقرآن الكريم^(١). وقد وقف اللّغويون العرب بالتعريب، عند عصور الاحتجاج، التي تشمل عصر الجاهلية وصدر الإسلام والأمويين، ويُعدّ جميع ما فيها عربية فصحي، وما جاء بعدها مولّد لا يصحّ، فيستوي في هذا التطور والتعريب الجديد^(٢). أمّا الاهتمام الكبير الذي ناله التعريب في دراسات المحدثين فلم يدخل من اختلاف أصحابها في نظرتهن إلى التعريب وموقفهم منه، ويمكننا أن نجعله على ثلاثة مذاهب:-

الأول: ذهب طائفة من الباحثين إلى رفض إدخال الكلمات الأعجمية إلى العربية بعد عصور الاحتجاج؛ لأنها لم تجد إمامًا من أئمّة اللغة يصرّح بقياسيّة التعريب، وترى هذه الطائفة أنّ نسد حاجتنا إلى المفردات بطرق أخرى كالاشتقاق والنحت والإبدال وغيرها. ومن ذهب إلى هذا المذهب: مصطفى صادق الرافعي^(٣)، ورشيد بقوننس^(٤)، وعزّ الدين التنوخي^(٥).

الثاني: ذهب طائفة أخرى من الباحثين إلى وجوب تعريب الألفاظ الأعجمية كيفما يتفق، لتزيد العربية ثروة إلى ثروتها، ولاسيما المصطلحات التي يمكن أن تعدّ مصطلحات عالمية في جميع اللغات وقد عبّر عن رأي هذه الطائفة واحتج لمذهبه يعقوب صرّوف^(١).

(١) فصول في فقه العربية: ٣٦٢ - ٣٦٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٦.

(٣) ينظر: الاشتقاق والتعريب: ١٢٩.

(٤) ينظر: حركة التصويب اللغوي: ٣٠٧ - ٣٠٨، أطروحة دكتوراه، محمد ضاري حمادي.

(٥) ينظر: المباحث اللغوية في العراق: ٨٩، والحاشية (٢) ٧٧.

(١) ينظر: الدراسات اللغوية في العراق: ٢٦٩ - ٢٦٧.

الثالث: ذهبت طائفة مذهباً معتدلاً بين الطائفتين السابقتين؛ إذ ذهبوا إلى جواز الاستعانة بالتعريب عند الضرورة لسد حاجة العربية إلى المفردات وخصوصاً في الأعلام وأسماء الأجناس والمصطلحات بشرط ألا يفسد هذا المعرب أصلاً من أصول اللغة أو يخرج بها عن طرائقها المألوفة. فإهمال التعريب عند وجود الضرورة لا يقلّ خطراً عن إيادته بغير تقييد، وإن أصحاب هذا المذهب المعتدل يمثلون العدد الأكبر من الباحثين، وقد ذكر محمد ضاري حمادي في أطروحته (حركة التصويب اللغوي)^(٢) أكثر من ثلاثين باحثاً يمثلون هذا المذهب.

ويذهب لغويّنا الدكتور رمضان عبد التواب مذهب المعتدلين في التعريب؛ فيقول: ((وفي رأبي أنّ اللغة لا تفسد بالدخيل بل حياتها في هضم هذا الدخيل؛ لأنّ مقدرة لغة ما تمثّل الكلام الأجنبي، تعدّ مزيّة وخصيصة لها؛ إذ هي صاغته على أوزانها، وصبّته على قوالبها، ونفخت فيه من روحها، وتركت عليه بصماتها؛ فالتعريب إذن ضروري لحياة العلم))^(٣).

وهو يرى أنّ المشكلة في تعريب ألفاظ العلم ومستحدثات الحضارة، ((هي مشكلتنا الحقيقيّة في العصر الحديث. ومجامعنا العلمية لم تستطع حتى الآن، معالجة هذه المشكلة معالجة حاسمة، فإنها تنتظر حتى يشيع اللفظ الأجنبي على كلّ لسان، وتستخدمه العامّة والخاصّة، ثم تقوم قيامة المجامع العلمية، وتحاول البحث عن لفظ عربي بديل، وبذلك يولد هذا اللفظ ميبّئاً، لا شتهار اللفظ الأعجمي وشيوعه على الألسنة))^(٤).

ثم يرى الدكتور رمضان عبد التواب أنّ الحلّ في معالجة هذه المشكلة هو: ((... لو صاحب دخول المخترع الأجنبي إلى البلاد العربية، وضع لفظ عربي له،

(٢) ص: ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٣) فصول في فقه العربية: ٣٦٨.

(٤) المصدر نفسه: ٣٦٨.

وعناية وسائل الإعلام والصحافة بالدعاية له، لقضي على الكثير من مظاهر هذه المشكلة من أساسها^(١).

وأرى أن هذا هو القول المفيد، ويجب علينا أن نأخذ به وندعو إليه.

* * *

رابعاً: الترادف:

هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد^(٢). وقد يُعبر عنه بآته: ما كان معناه واحداً وأسماءه كثيرة^(٣). وهو بهذا المعنى عكس المشترك اللفظي. والترادف من الظواهر اللغوية القديمة التي انتبه إليها علماء اللغة في وقت مبكر، إذ سجلت مصنفاتهم عدّة أسماء مختلفة للمعنى الواحد، وذلك قبل أن يُصطلح عليها ويتشعب القول فيها. ولعل من أقدم النصوص التي أشارت بوضوح إلى هذه الفكرة في اللغة ما جاء في كتاب سيبويه: ((اعلم أن من كلامهم... اختلاف اللفظين والمعنى واحد... نحو: ذهب وانطلق))^(٤)، فهذا الضرب من الألفاظ هو الذي سُمّي فيما بعد بالألفاظ المترادفة. ثم تناقل كلام سيبويه هذا كثير من العلماء من بعده وذلك بشيء من التصرف والزيادة والشرح. فقد عرض له قطرب (ت بعد ٢١٠هـ)، والمبرد، وابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، وابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، والسيوطي (ت ٩١١هـ)، وغيرهم^(٥).

((وأما الخلاف في هذه الفكرة فيرجع إلى القرن الثالث الهجري على وجه التحديد؛ إذ إننا لا نلاحظ أيّ خلاف أو جدل بشأنها قبل هذا العصر))^(٦). فذهب بعض علماء اللغة إلى وجود ظاهرة الترادف في اللغة العربية ويجعلونها سمة مميزة لها من سائر لغات العالم، وبالغوا في جمع تلك الألفاظ، وكان فخر أحدهم، أنه يحفظ لهذا

(١) المصدر نفسه: ٣٦٨.

(٢) التعريفات للجرجاني: ٤٩.

(٣) المصدر نفسه: ٧٩.

(٤) الكتاب: ١ / ٧ - ٨.

(٥) ينظر: الترادف في اللغة: ٣٥ - ٤٦.

(٦) المصدر نفسه: ٤٦.

الشيء أو ذلك، كذا وكذا اسمًا، كالأصمعي الذي كان يحفظ للحجر سبعين اسمًا⁽¹⁾، وابن خالويه الهمداني الذي يقول: جمعت للأسد خمسمائة اسم، وللحية مائتين⁽²⁾. وظهرت طائفة أخرى من العلماء، تعارض هذا الاتجاه وترفض ظاهرة الترادف في العربية رفضًا تامًا؛ وقد ذكر الدكتور عبد التواب عددًا منهم أشهرهم: ((أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (ت ٢٣١هـ)، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ)، وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن دُرستويه (ت ٣٣٠هـ)، وأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، وأبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، وغيرهم))⁽³⁾. وهذا يعني أن الكوفيين كانوا يرفضون هذه الظاهرة في اللغة، أمّا أبو علي الفارسي فهو بصري متأخر والذي عدّه عبد التواب ممن يرفضون هذا الاتجاه رفضًا تامًا؛ مستدلًا برواية السيوطي عن أبي علي الفارسي، أنّه قال: ((كنت بمجلس سيف الدولة ب حلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أدفط للأسيف خمسين اسمًا. فتبسم أبو علي، وقال: ما أحفظ إلا اسمًا واحدًا، وهو السيف! قال ابن خالويه: فأين المهذد والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات، وكانّ الشيخ لا يفرّق بين الاسم والصفة))⁽⁴⁾. وعلى ذلك فالرواية لا يمكن أن تكون دليلًا على أنّه كان يرفض الترادف إذّما يبدو كان يقصد أنّ هذه الكلمات التي ذكرها ابن خالويه كانت ضمن باب المجاز، لأنّ الترادف عنده أن تكون الألفاظ موضوعة لمعنى على الحقيقة؛ إذ إنّ الأصوليين يعرفون الترادف بآته: ((عبارة عن توارد الألفاظ المفردة على مسمى واحد بحسب أصل الوضع، فيبدل على معنى واحد من جهة واحدة؛ كالليث والأسد، يطلقن على الحيوان المعروف، وكلّ واحد منهما يحمل الدلالة عليه من غير فرق، وهذا هو المعنى الحقيقي للترادف، إذا قلنا: بآته اتّحاد عام في المعنى))^(١). وعلى هذا كان أبو علي يقول بالترادف ولكنّه متشدّد فيه؛

(١) ينظر: الصاحبى...: ٤٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣.

(٣) فصول في فقه العربية: ٣١١.

(٤) المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ١/٤٠٥.

(١) التصور اللغوي عند الأصوليين: ٩٩.

بدليل أنه متحمس للترادف في كتابه البغداديات، فيقول: ((... واختلاف اللفظين والمعنى واحد حسن بعد الحاجة إلى التوسع بالألفاظ، وبيّن أنّ هذا القسم لو لم يوجد، لم يوجد من الاتّساع ما وجد بوجوده... ألا ترى أنّ في التنزيل: ﴿وَعَرَّيْبُ مُوَدِّ﴾^(*)، و(الغرابيب) هي: السود عند أهل اللغة، فحسّن التكرير لا اختلاف اللفظين، ولو كان (غرابيب) (غرابيب) لم يكن سهلاً...))⁽²⁾.

يتّضح ممّا تقدّم أنّ أبا علي يقرُّ بوجود الترادف في اللغة لأنّه يقول: ((لو لم يوجد لم يوجد من الاتّساع ما وجد بوجوده)) ولكن هذا الوجود مقتزن بحسن الحاجة إليه فليس من الحسن الإفراط به⁽³⁾.

أمّا الدارسون المعاصرون من العرب فكادوا يجمعون على وقوع الترادف في اللغة العربية؛ إذ إنّ أغلبهم يؤكّدونه بوصفه أمرًا واقعيًا لا يمكن دحضه، وإنّ إنكاره إنكارًا تامًّا مذهب لا تؤيده النصوص والشواهد اللغوية، وأنّه شيء ثابت في العربية، قلّ أو كثر⁽⁴⁾. قال الدكتور رمضان عبد التّواب: ((ورغم ما يوجد بين لفظة مترادفة وأخرى، من فروق أحيانًا، فإنّنا لا يصحّ أن نذكر الترادف مع من أنكره جملة، فإنّ إحساس الناطقين باللغة، كان يعامل هذه الألفاظ معاملة المترادف؛ فنراهم يفسّرون اللفظة منها بأخرى))⁽⁵⁾.

أمّا مفهوم الترادف فقد اختلف بمرور الزمن نتيجة توافر العلماء على التأمّل في هذه الظاهرة، وبسبب تباين مناهجهم ومذاهبهم في النظر إليها. فقد شارك في هذا كثير من علماء اللغة والأصول والفقه والمنطق قدامى ومعاصرين. فقد اقتقر اللغويون القدامى إلى منهج واضح دقيق محدّد لهذا المفهوم، وكذلك ما كان من نظرتهم إلى المترادفات تبعًا إلى الوضع الأصلي للألفاظ، وخطهم بين المستويات

(*) فاطر / ٢٧.

(2) المسائل المشكّلة المعروفة بالبغداديات: ٥٣٣ - ٥٣٤.

(3) ينظر: أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية: ٨٠.

(4) ينظر: الترادف في اللغة: ٢٥٩.

(5) فصول في فقه العربية: ٣١٥ - ٣١٦.

اللغوية المختلفة في الزمان والمكان والبيئة كلّ ذلك مردّ خلطهم في ظاهرة الترادف^(١).

أمّا نظرة المعاصرين إلى الترادف فتتّصف بالدقّة والموضوعية قياساً إلى النظرة اللغوية القديمة التي نجد فيها كثيراً من السدّة والشمول، وتتمثّل تلك النظرة في الشروط اللغوية التي وضعوها، ورأوا أنّه لا بدّ من تحقّقها حتّى يمكن القول بالترادف في الألفاظ.

وهذه الشروط يلخصها الدكتور رمضان عبد التواب على النحو الآتي^(٢):

١. الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تامّاً، فإذا تبيّن لنا بدليل قوي، أنّ العربي يفهم حقّاً من كلمة: (جَلَسَ) شيئاً، لا يستفيده من كلمة: (قَعَدَ) قلنا حينئذٍ: ليس بينهما ترادف.

٢. الاتّحاد في البيئة اللغوية. ولم يفتن المغالون في الترادف إلى مثل هذا الشرط؛ بل عدّوا كلّ اللهجات وحدة متمسكة، وعدّوا كل الجزيرة العربية بيئة واحدة، ولكّنا نعدّ اللغة المشتركة أو الفصحى الأدبية، بيئة واحدة، ونعدّ كلّ لهجة أو مجموعة منسجمة من اللهجات، بيئة واحدة.

٣. الاتّحاد في العصر. فالمعاصرون حين ينظرون إلى المترادفات، ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معين، فإذا بحثنا عن الترادف، يجب ألاّ نلتمسّه في شعر شاعر من الجاهليين، ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم، يرجع إلى العهود المسيحيّة مثلاً.

٤. ألاّ يكون أحد اللفظين نتيجة تطوّر صوتي آخر، فحين نقارن بين: (الجثل) و (الجفل) بمعنى: النمل، نلاحظ أنّ إحدى الكلمتين، يمكن أن تُعدّ أصلاً، والأخرى تطوّراً لها.

خامساً: المشترك اللفظي:

(١) ينظر: الترادف في اللغة: ٣٠٥.

(٢) فصول في فقه العربية: ٣٢٢- ٣٢٣، وينظر: في اللهجات العربية: ١٧٨ - ١٧٩.

هو: ((اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة))^(١). ويختلف المشترك اللفظي عن الدلالة المجازية للألفاظ، فالأول وضع على سبيل الحقيقة، في حين تتغير المعاني المجازية للفظ من حالٍ إلى حالٍ باختلاف الاستعمال والتركيب^(٢).

وإن كبار اللغويين العرب يؤمنون بهذه الظاهرة في العربية كالخليل (ت ١٧٥هـ)، وأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ)، وأبي زيد (ت ٢١٥هـ)، وأبي الحسن الأخفش (ت ٢١٥هـ)، والأصمعي (ت ٢١٦هـ)، والمبرد (ت ٢٨٥هـ)، وابن فارس، والثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، والسيوطي، وغيرهم.

في حين يذهب بعضهم إلى إنكار هذه الظاهرة في أصل اللغة كما هو الحال عند ابن درستويه (ت ٣٤٧هـ)؛ إذ يقول: ((فإننا أتفق البناءان في الكلمة والحروف ثم جاء لمعنيين مختلفين، لم يكن بدّ من رجوعهما إلى معنى واحد، يشتركان فيه، فيصيران متفقي اللفظ والمعنى))^(٣).

ووقف الدارسون المعاصرون على هذه الظاهرة موقف الدارس الباحث المتأمل، فميزوا بين ما هو أدخل على المشترك اللفظي وما كان منه، وجعلوا المجاز مسوّغاً لإخراج كلّ الألفاظ التي أدخلها الدارسون في المشترك اللفظي^(٤).

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أنّ ((المشترك اللفظي، لا وجود له في واقع الأمر إلا في معجم لغة من اللغات، أمّا في نصوص هذه اللغة واستعمالاتها، فلا وجود إلا لمعنى واحد، من معاني هذا المشترك اللفظي))^(٥). أي أنّ المألوف في الاستعمال هو ألا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة، التي تدلّ عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النصّ، أمّا المعاني الأخرى فتُمحى وتتبدّد. فالفعل (أدرّك) مثلاً، إذا انتزع من مكانه في النظم، يصبح غامضاً غير محدّد

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/ ٣٦٩.

(٢) ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ٢٤٢.

(٣) تصحيح الفصح لأبن درستويه: ١/ ٢٤٠.

(٤) ينظر: فقه اللغة، لعلي عبد الواحد وافي: ٨٤، ودلالة الألفاظ: ٢٠٩-٢١٠.

(٥) فصول في فقه العربية: ٣٣٤.

المعنى، هل معناه: (لَحِقَ به) أو (عاصره)، أو أنه يعني: (رأى) أو (بلغ الحلم)؟ فإنَّ السياق الذي استعمل فيه الفعل، هو وحده الذي يمكنه أن يجيب عن هذا السؤال^(١). ويمكننا أن نلخص عوامل نشأة المشترك اللفظي في العربية - التي عرضها الدكتور رمضان عبد التواب - على النحو الآتي^(٢):

١ - الاستعمال المجازي: فمثلا كلمة (العين)، تدل في الأصل على عضو الإبصار في الإنسان والحيوان، وتدل في العربية أيضاً: على الإصبة بالعين؛ وضرب الرجل في عينه؛ والمعاناة؛ وهذه كلها اشتقاقت فعلية من لفظ (العين) بمعناها القديم.

و من معانيها كذلك: (المال الحاضر)؛ لأنه يعين كذلك، بعكس المال الغائب الذي لا تراه العين.

ومن معانيها: (الjasوس) و (ريثة الجيش) وهو الذي ينظر لهم، وهذا على التشبيه والمبالغة، فكأنهما قد تحولتا إلى عين كبيرة؛ لأن العين أهم أعضائها في عملها.

و من المعنى كذلك: (خير الشيء) و (المسيد) و (سنام الإبل)، وهذه الثلاثة يجمعها بالعين قيمتها بالنسبة إلى سائر الجسد، على التشبيه بها في المكانة والمنزلة.

ومن المعاني أيضاً: (الدينار) و (عين الركبة)، و (عين الشمس) و (عين الماء)؛ وهذه كلها على التشبيه بالعين في الاستدارة، أو سيلان الدمع منها.

٢ - اللهجات: مثلاً أن قبيلة (تميم) كانت تطلق كلمة: (الألفت) على الأعسر، كأن فيه التفاتاً من اليمنى إلى اليسرى. أمّا قبيلة (قيس) فكانت تطلق هذه الكلمة على (الأحمق). ولعلها كانت تلحظ فيه التفاتاً من الكيس إلى الحمق^(١).

(١) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ٥٤، واللغة لفندريس: ٢٢٨.

(٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ٣٢٦ - ٣٣٤.

(١) ينظر: المزهر في علوم اللغة...: ١ / ٣٨١.

- ٣ - اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة: مثلاً: في العربية الفصحى: ((الْحَبُّ بمعنى الوداد، وهو حبّ الشيء)) وفيها كذلك: ((الْحَبُّ: الجرة التي يجعل فيها الماء))^(١). والمعنى الأول عربي أصيل، أمّا الثنائي، فهو فيها مستعار من الفارسية، لكلمة مماثلة تماماً للفظ العربي^(٢).
- ٤ - التطور اللغوي: مثلاً: ((الْفَتْرُوة: جلدة الرأس و الغنى))^(٣). وأصل الكلمة بالمعنى الثنائي، هو: (الثروة)، أبدلت الثاء فاءً، على طريقة العربية في مثل: (جَدَث) و (جَدَف) و(حثة) و (حفالة)، وما أشبه ذلك.

سادساً: التّضاد:

هو: نوع من المشترك اللفظي يكون اللفظ فيه محتويًا معنيين: أحدهما ضد الآخر^(٤). وقد يكون بلفظين أيضًا أحدهما ضد الآخر في المعنى، وقد يكون في الألفاظ إيجابًا وسلبًا وحينئذ يكون تناقضًا. ويدلّ على فكرة التّضاد في النوع الأول المعنيان اللذان تضمنهما لفظ واحد، وأطلق عليه اللغويون العرب: الأضداد، مثل: ((الصريم: يقل لليل صريم، وللنهار صريم... وكذلك السُدفة: الظلمة، والسُدفة: الضوء... والجلل: اليسير، والجلل: العظيم))^(٥). وقد كثر التأليف في هذا النوع من الأضداد؛ إذ بلغت عدّة ذلك (٣١) مؤلفًا، بدءًا بأضداد قطرب (ت بعد ٢١٠ هـ) وانتهاءً بمؤلف مجهول المؤلف^(٦)، فضلًا عما تضمّنته المعجمات من مادة تفرّقت في تضاعيفها، واستمرت هذه العناية لدى المعاصرين فبلغت دراساتهم (١٥) دراسة ما بين كتاب وبحث^(٧).

(٢) شفاء الغليل...: ٦٨.

(٣) ينظر: المعرّب للجواليقي: ١٢٠.

(٤) القاموس المحيط: (فرو): ٣٧٣/٤.

(٥) ينظر: في اللهجات العربية: ٢٠٧، وفصول في فقه العربية: ٣٣٦.

(٦) الأضداد لابن الأنباري: ١.

(٧) ينظر: الأضداد في اللغة: ٣١٢ - ٣١٨.

(٨) ينظر الأضداد اللفظية: (بحث) للدكتور مكي نومان الدليمي، مجلة كلية التربية للبنات - جامعة بغداد، م/١٦، العدد/١، ص/١٠ - ٢١، لسنة ٢٠٠٥ م.

أما النوع الثاني فهو ما يقع في كلمتين (الكلمة وعكسها) من الأسماء والأفعال، وهذا ما أسقطه اللغويون من حساب دراستهم^(٣)، وأدخل في البديع، وهو ما يسميه أهل البلاغة بـ ((الطباق والتضاد أيضاً))^(٤).

أما النوع الثالث: فيكون ((في الألفاظ إيجاباً وسلباً وحينئذ يكون تناقضاً))^(٥). أي ما يقع بالنفي أو بواسطة همزة السلب، من ذلك ما نبيّه عليه ابن جنّي؛ إذ قال: ((أَنْ كَلَّ فَعَلَ أَوْ اسْمٌ مِنَ الْفِعْلِ أَوْ فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلِ، فَإِنَّ وَضَعَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى إِثْبَاتٍ مَعْنَاهُ لَا سَلْبِهِمْ إِيَّاهُ. وَذَلِكَ قَوْلُكَ: قَامَ، فَهَذَا لِإِثْبَاتِ الْقِيَامِ، وَجَلَسَ لِإِثْبَاتِ الْجُلُوسِ... [فإذا] أردت نفي شيء منها ألحقته حرف النفي فقلت: ولم يفعل، ولن يفعل، ولا نفعل... وكذلك (عجم) أين وقعت في كلامهم... للإيهام وضد البيان ثم... قالوا أعجمت الكتاب إذا بيّنته وأوضحته. فهو إذن لسلب معنى الاستبهاًم لا إثباته...))^(٥).

وقد اختلف علماء اللغة في النوع الأول منه. قال جماعة بوقوعه في اللغة، وفي مقدمتهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، وقطرب، وغيرهم كثيرون من تلاميذهم وأتباعهم^(٦)، على أنهم كانوا يختلفون في تأويلها ويطلقون تعليقات عديدة في أسباب تكونها في اللغة. ويخالفهم آخرون بإنكارها؛ منهم ابن درُستويه، الذي ألف كتاباً في أبطال الأضداد^(٧).

(٣) درس الدكتور مكي نومان الدليمي في بحثه السابق؛ هذه الأضداد في ضمن أصناف العلاقات الدلالية بين الألفاظ، واختار اصطلاح (الأضداد اللفظية) الذي ورد عند ابن الأثير، ليطلقه على الأضداد التي تكون في لفظين متضادين في المعنى. وهو أول من أطلق مصطلح (الأضداد المعنوية) على اللفظ الواحد تضمّن معنيين متضادين، ليميّز في الاصطلاح بين هذين النوعين من الأضداد.

(٤) التلخيص في علوم البلاغة: ٣٤٨.

(٥) أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية: ٨٣.

(*) زيادة يقتضيهما السياق.

(٦) الخصائص: ٣/ ٧٥ - ٧٦.

(١) ينظر: التضاد في ضوء اللغات السامية: ١٨.

(٢) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/ ٣٩٦.

وترى جماعة من العلماء أنّ التضاد في المعاني، ينشأ أولاً في لهجات مختلفة، ثم تستعير كل لهجة المعنى المستعمل عند الأخرى، وبذلك يجتمع المعنيان المتضادان في هذه اللهجة، عن طريق تلك الاستعارة، فمن المُحال أن يقع اللفظ على معنيين متضادين، أوقعه العربي عليهما بمساواةٍ منه بينهما. ومن هؤلاء ابن دريد (ت ٣٢١هـ) ^(١)، وابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ^(٢).

ويؤيد الدكتور رمضان عبد التواب الرأي الأخير؛ فيقول: ((ومن الطبيعي أن الكلمة من كلمات الأضداد، لم توضع للمعنيين المتضادين في أول الأمر، وإذا وضعت لأحدهما، ثم جدت عوامل مختلفة، أدت إلى نشأة المعنى الثاني المتضاد للمعنى الأول... غير أننا لا نود أن ندساق وراء المؤلفين في الأضداد، من اللغويين العرب، فتعد كل ما أتوا به من كلمات هذه الظاهرة صحيحاً)) ^(٤).

وقد عدّ عبد التواب كثيراً من الكلمات في كتب الأضداد من باب: المشترك اللفظي، لا من باب التضاد ^(٥)، كما اشترط ((اتحاد الكلمة ومتعلقاتها في المعنيين؛ لأن أي تغيير فيها، أو في متعلقاتها، يخرجها عن كونها بذاتها تحمل المعنيين المتضادين)) ^(٦). لذلك فهو لا يعدّ مثلاً: (ظاهر عنك) بمعنى زائل، و(ظاهر عليك) بمعنى لازم - التي وردت عند ابن الأنباري ^(١) - من الأضداد. وهو أيضاً لا يعدّ من كلمات الأضداد ((ما ترك اللغويون العرب الاستشهاد على أحد مَعْنَيْهِ؛ لأنه لم يثبت في كلام العرب أنه استعمل بهذا المعنى، مثل: قولهم: إن (قَسَطَ) تعني: عدلّ أو جاز... فالمعنى الأول لا دليل عليه، أمّا الثاني فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَنظُورُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ^(٢) ^(٣)، كذلك يستبعد من كلمات الأضداد،

(٣) ينظر: جمهرة اللغة: ٢٩١ / ١.

(٤) ينظر: الأضداد: ١١.

(٥) فصول في فقه العربية: ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٦) ينظر: فصول في فقه العربية: ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٧) المصدر نفسه: ٣٤٠.

(١) في كتابه الأضداد: ٥٦.

(*) الجن / ١٥.

(٢) فصول في فقه العربية: ٣٤١.

((تلك التي صحفها اللغويون أو حرّفوها... ومن التصحيف قول أبي الطيّب اللغوي: (يقال: أُنْدَفَ الليل؛ إذا أظلم، وأشْدَفَ الصبح؛ إذا أضاء)، فإنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ هذا تصحيف لكلمة: (أُنْدَفَ) و (السُدْفَة) بمعنى الظلمة والضوء))^(٣).

وقد أقرّ الدكتور رمضان عبد التّواب أنّ هناك ((مجموعة صالحة من كلمات الأضداد في العربية، ولا شكّ في أنّ الأصل فيها كلّها، دلالتها على معنى واحد، غير أنّ هناك عوامل كثيرة، أدّت إلى التّضاد فيها))^(٤). ثم عرض هذه العوامل، وطبّقها على بعض كلمات الأضداد، وسنعرضها بإيجاز على النحو الآتي^(٥):

١ - عموم المعنى الأصلي: قد يكون المعنى الأصلي للكلمة عامّاً، ثم يتخصّص في لهجة من اللهجات، كما يتخصّص في اتجاه مضاد في لهجة أخرى، مثل كلمة: (الذفر) بمعنى: الريح الطيّبة، والريح المنتنة، ويبدو أنّ المعنى الأصلي للكلمة هو: (الريح)، وهو أعمّ من الريح الطيّب والخبيث.

٢ - التّفاؤل: إذا شاء المرء التعبير عن معنى سيّئ، تشاءم من ذكر الكلمة الخاصّة به، وفرّ مذها إلى غيرها من كلمات حسنة المعنى، قريبة إلى الخير؛ مثل المفازة: معناها في العربية: المنجاة والمهلكة. واشتقاق الكلمة من: (الفوز) يؤكد أصالة المعنى الأول، أمّا إطلاقها على المعنى الثاني، فهو على سبيل التّفاؤل.

٣ - التّهكّم: لا شكّ أنّ عامل التّهكّم والهزء والسخرية، من العوامل التي تؤدي إلى قلب المعنى، وتغيير الدلالة إلى ضدّها في كثير من الأحيان؛ فأصل كلمة (التعزير) في العربية: التعظيم، غير أنّها تستعمل في معنى التّأديب والتّعنيف واللوم تهكّماً واستهزاءً بالذنب.

٤ - الخوف من الحسد: يشيع في القبائل البدائية أن يفرّ المرء، من وصف الأشياء بالحسن والجمال حتى لا تصيبها عين الحسود؛ مثل كلمة: (شوّهاء) يو صف بها الأفرس القبيح والجميل؛ فيقال: مهرة شوّهاء، إذا

(٣) المصدر نفسه: ٣٢١ - ٣٢٢.

(٤) المصدر نفسه: ٣٤٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٢ - ٣٥٥.

كانت قبيحة، ومهرة شوهاه، إذا كانت جميلة. وإن مادة: (شوه) تعني: التشويه والقبح، وإطلاق الكلمة على المهرة الجميلة من باب درء العين والحسد.

٥ - التطور اللغوي: أن توجد كلمتان مختلفتان، لهما معنيان متضادان، فنتطور أصوات أحدهما، بصورة تجعلها تنطبق على الأخرى تمامًا، فيبدو الأمر كما لو كانت كلمة واحدة لها معنيان متضادان، مثل قول بني عقيل: (لمقت الكتاب) أي: كُتِبَتْه، وقول سائر قيس: (لمقت الكتاب) أي: محوته. هكذا يبدو التضاد في الفعل (لَمَقَّ) غير أن هناك فعلاً آخر بمعنى الكتابة، هو: (نَمَقَّ). فتطور هذا الفعل الأخير في نطق بني عقيل، فأبدلت النون لامًا. وهما من الأصوات المتوسطة التي يحدث فيها الإبدال كثيرًا.

٦ - المجاز والاستعارة: مثل إطلاق كلمة: (الأمة) على الجماعة وعلى الفرد؛ وإطلاقها على الفرد على وجه المبالغة؛ فيقال عن هذا العالم أو ذاك: (كان أمةً وحده) فاستعير له لفظ يطلق في العادة على الجماعة.

٧ - احتمال الصيغة الصرفية للمعنيين: مثل: (ركوب) بمعنى: الراكب والمركوب، فهي على وزن (مفعول) وتستعمل في العربية بمعنى: فاعل، مثل: شكور وكفور، كما تستعمل أحيانًا بمعنى: (مفعول)؛ مثل: رسول، بمعنى: مُرسَل^(١).

(١) ينظر: فصول في فقه العربية: ٣٤٢ - ٣٥٥.

الفصل الخامس

جهوده في تحقيق التراث اللغوي

المبحث الأول

منهجه في تحقيق التراث اللغوي

(لا يعرف الشوك إلا مَنْ يخوض ميدان تحقيق التراث) (١) هذه المقولة ردّدها رمضان عبد التواب لِمَنْ أراد أن يخوض هذا الميدان، وذلك بعد أن ظنَّ بعض الدارسين أنّ التحقيق عمل هين وسهل، بأن يقوم المحقق بقراءة المخطوطة ثم نسخها وطبعها بأغلاطها وتحريفاتها، التي تبعتها كثيرا عن الأصل الذي كُتبت به. إنّ التحقيق فن - كأى فن - له أصول وقواعد، إن لم تتبع كان العمل المقدم ليس إلا مخطوطة أخرى أضيفت إلى المخطوطات السابقة للنص المحقق.

وقد نهج الدكتور رمضان عبد التواب منهجًا في التحقيق يقوم على الاستقصاء في التخرّيج، حتى أصبحت له مدرسة تُعرف في الوسط العلمي الآن بالمدرسة الرمضانية في تحقيق التراث (٢).

وقبل أن نشرع في بيان أسس منهج الدكتور رمضان في التحقيق، ننظر في تعريفه مصطلح التحقيق؛ إذ يقول: ((تحقيق النص معناه: قراءته على الوجه الذي أراده عليه مؤلفه، أو على وجه يقرب من أصله الذي كُتِبَ به هذا المؤلف)) (٣). ومعنى هذا تخليص النص ممّا أصابه من تحريف أو تصحيف وتبرئته ممّا زيد فيه أو نقص منه، وذلك من خلال مقابلة النسخ وتوحيّ القراءة المتأنية الدقيقة.

ونلاحظ هنا احترازًا في التعريف، إذ يقول: ((وليس معنَى قولنا (يقرب من أصله) إننا نخمّن آية قراءة معينة، بل علينا أن نبذل جهدًا كبيرًا في محولة العثور على

(١) ينظر: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: ٤.

(٢) لقد سمى الدكتور عبد المجيد دياب هذا المنهج الذي اتبعه الدكتور رمضان عبد التواب في التحقيق: (منهج الاستقصاء في التخرّيج)، ينظر: تحقيق التراث العربي: ٢٧٥ - ٢٨١.

(٣) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: ٥.



دليل يؤيد القراءة التي اخترناها))^(١).
 ولا شك في أنّ هذا العمل يحتاج إلى مراجعة وتدقيقات للنص المنقول في المصادر الأخرى فضلا عن إعمال العقل .
 وقد يقضى عمل المحقق الأمين أن يقضي ليلة كاملة أو أكثر في تصحيح كلمة أو عبارة أو تخريج بيت من الشعر أو علم من الأعلام .
 والتراث في مجال تحقيق النصوص لا يتحدّد بزمن معين عند الدكتور رمضان عبد التواب؛ إذ يقول: ((هو كلّ ما وصل إلينا مكتوبًا، في أي علم من العلوم أو فنّ من الفنون، أو في التالي: كلّ ما خلفه العلماء في فروع المعرفة المختلفة، ولهذا فالتراث ليس محدّدًا بتاريخ معين، إذ قد يموت أحد العلماء في عصرنا هذا، فيصبح ما خلفه مكتوبًا تراثًا بالنسبة لنا، فما كتبه شوقي، وحافظ، وطه حسين، والعقاد ومحمد مندور، وأمين الخولي، وغيرهم، يُعدُّ تراثًا لا يقلّ في أهميته عمّا خلفه لنا أبو تمام والمنتبّي، والبحثري، وسيبويه، والأصمعي، والمبرد، وثعلب مثلاً))^(٢).

أسس التحقيق:

أولاً: جمع النسخ المخطوطة للنص:-

وهذه المرحلة الأولى من مراحل التحقيق، وهناك عدّة مصادر يرشدنا إليها الدكتور (رمضان عبد التواب) للوصول إلى غرض تعرّف نسخ المخطوطة في شتى مكتبات العالم، منها: (تاريخ الأدب العربي) لكارل بروكلمان، وهو ليس كتابًا في تأريخ الأدب بالمعنى المعروف، وإنما هو تسجيل لكلّ ما وصل إلى علم صاحبه، ممّا أُلّف باللغة العربية، في جميع فروعها. وكذلك (تاريخ التراث العربي) لفؤاد سزكين، وهو من الأتراك الذين يشتغلون بالدراسات العربية، الذي طاف بكثير من مكتبات العالم التي لم تفهرس كتبها حتى صدور كتاب بروكلمان، وقام هو بفهرسة

(١) المصدر نفسه: ٥.

(٢) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: ٨.

المخطوطات الموجودة فيها. وفهارس المكتبات التي فيها مخطوطات عربية، ثم أخيراً سؤال أهل العلم عما يعرفونه من نسخ الكتاب المراد نشره^(١).

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أنه يحسن بالمحقق ((أن يدرس النسخ المخطوطة للكتاب قبل جمعها، أولاً، عن طريق وصف الفهارس لها، فقد يرى مثلاً من هذا الوصف أن بعض مخطوطات الكتاب قد نقل عن بعضها الآخر، وعندئذ فلا داعي للحصول عليها كلها، بل يكفي في هذه الحالة استخدام الأمهات فحسب، إلا إذا كان بعض النسخ الحديثة قد كتبها علماء معروفون، أو سمعت عن علماء مشهورين، ففي هذه الحالة لا بد من الحصول على هذه النسخ كذلك. وإذا كان الكتاب نسخة وحيدة، فلا يضير تحقيقه بالاعتماد على هذه النسخة وحدها. أمّا إذا كان للكتاب أكثر من مخطوطة، فمن الخطورة الاعتماد على نسخة واحدة من نسخه؛ لأننا لانضمن أن تكون هذه النسخة مستوفية لكل النص الذي كتبه مؤلف الكتاب))^(٢).

لكن كيف نرتب النسخ من حيث الأهمية، ونختار النسخ الأمّات؟ يجيب الدكتور عبد التواب عن هذا بأنّ الفصل في ذلك ثلاثة أمور هي:

١. **قَدَمُ النسخة:** ويعرف ذلك إمّا من التأريخ المتون على آخرها، أو من شكل ورقها وخصائص خطوطها. والحكم في الأمرين الأخيرين ((حكم تقريبي؛ لأنه لا توجد عندنا مميزات قاطعة بانتفاء هذه المخطوطة أو تلك إلى عصر معين على وجه التحديد اعتماداً على شكل الورق أو نوع الخط))^(٣).

ويهمنا هنا أن نذكر أنّ ((قَدَمُ النسخة لايشكل بالضرورة مبرراً لاتخاذها أمّا ما لم يكن هناك من الدواعي، ما يجعلها قادرة على قيامها مقام نسخة الأمّ، فقد تكون نسخة حديثة، أنفع من الاعتماد على نسخة قديمة مشحونة بالأخطاء، مملوءة بالتصحيف والتحرّيف))^(٤).

(١) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: ٦٠ - ٦٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٥.

(٣) المصدر نفسه: ٦٦.

(٤) منهج تحقيق النصوص ونشرها: ١١.

٢. علم الناسخ: فقد تكون لدينا نسختان لمخطوطة إحداهما قديمة ولكن ناسخها جاهل كثير الخطأ والتحريف، والأخرى حديثة بيد أن ناسخها مشهور له بالدقة وتحري الصواب، وهنا لابد للمحقق أن يعد هذه النسخة الحديثة أمّا وتُعتمد الأخرى أو الأخرى للمقابلة والتصويب والتصحيح.

٣. كمال النسخة: فقد تكون النسخة القديمة بها خروم سواء في أولها أو وسطها أو آخرها عندئذ تفضلها نسخة حديثة بلا نقصان. وهنا يتنبه الدكتور (رمضان عبد التواب) إلى مسألة غاية في الأهمية، وهي أن اختلاف النسخ في الزيادة والنقصان ((لا يعني دائماً بالناقصة خروماً، فقد يكون سببه أن المؤلف الواحد قد يؤلف كتابه عدّة مرات، فيزيد في بعضها وينقص منها))^(١). وهذا هو ما يطلق عليه (الإبرازات) وهي عندما تختلف ((يجب على المحقق أن يختار واحدة منها ولا يمزجها بغيرها. ولو صنع ذلك لأحدث شيئاً لم يكن موجوداً من قبل؛ لأنّ وظيفته العلمية هي المحافظة على كلّ ما يروى بلا استثناء. وللمحقق أن يؤثّر النسخة التي أبرزها المؤلف بنفسه على تلك التي أُبرزت بعد وفاته، ويؤثّر المسهبة على المختصرة والمصححة على التي فيها خلل، فإن كانت هناك إبرازتان كلّ واحدة منها مهمّة، والفرق بينهما كبير، لا يمكن إيضاحه بإيجاز، فالأولى نشرهما جميعاً))^(٢).

وترتب النسخ المخطوطة للكتاب الواحد من حيث علو الدرجة على النحو الآتي:-
أولاً: النسخة التي بخط المؤلف، فهي أعلى النسخ على الإطلاق.
ثانياً: النسخة المقرّوة على المؤلف.
ثالثاً: النسخة المنقولة عن نسخة المؤلف، أو المقابلة بنسخته.
رابعاً: النسخة التي كتبت في حياة المؤلف^(٣).

(١) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: ٦٩.

(٢) المصدر نفسه: ٧٠.

(٣) المصدر نفسه: ٧١-٧٢.

الشدّة فيخيل لمن لم يمزّن على خط المخطوطة أنّها شدّة وكسرة في حين أنّ هذا الكاتب يضع الشدّة فوق الحرف والكسرة تحته للدلالة على الشدّة والكسرة^(١).

رابعاً: معرفة مصطلحات القدماء في الكتابة:-

ومن هذه المصطلحات: (التصحيح) وهو ((كتابة (صح) على الكلام أو عنده، ولا يفعل ذلك إلا فيما صحّ رواية ومعنى، غير أنّه عرضة للاشكّ أو الخلاف، فيكتب عليه: (صح)؛ ليعرف أنّه لم يغفل عنه، وأنّه قد ضُبط وصحّ على ذلك الوجه))^(٢).

((وأما التضييب - ويسمى أيضاً التمرّيض - فيُجعل على ما صحّ وروده كذلك من جهة النقل، غير أنّه فاسد لفظاً أو معنى، أو ضعيف، أو ناقص، مثل أن يكون غير جائز من حيث العربية أو يكون شاذّاً عند أهلها ياباه أكثرهم، أو مصحّفاً، أو ينقص من جملة الكلام كلمة أو أكثر، وما أشبه ذلك. فيمدّ على ما هذا سبيله خطّاً، أوّله مثل الصاد، ولا يلزق بالكلمة المعلم عليها، كيلا يظن ضرباً وكأته صاد التصحيح بمدتها دون حاتها، كتبت كذلك، ليفرّق بين ما صحّ مطلقاً من جهة الرواية وغيرها، وما صحّ من جهة الرواية دون غيرها، فلم يكمل عليه التصحيح))^(٣).

ومن ذلك أيضاً (علامة الإلحاق أو الإحالة) ((وهي عبارة عن خط رأسي مائل نحو اليمين، إذا كتّب الاستدراك على الحاشية اليمنى، أو نحو اليسار، إذا كتّب الاستدراك على الحاشية اليسرى للأصحة))^(٤). ذلك أنّ القدماء إذا سقط منهم في الكتابة شئ من نصّ، استدركوه على الحاشية، ولا يقمونه بين الاسطور حتّى لا يشوّها جمال الصفحة.

أمّا إذا وقعت زيادة في الكتّبة فكان الأجود عندهم أن يضربوا عليه ... وفي كيفية الضرب خمسة أقوال مشهورة^(٥):-

(١) مناهج تحقيق التراث...: ٧٨.

(٢) المصدر نفسه: ٣٣.

(٣) مقدّمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح: ٣١٥، وينظر مناهج تحقيق التراث...: ٣٢.

(٤) مناهج تحقيق التراث...: ٣٥.

(٥) المصدر نفسه: ٣٧ - ٣٨.

- أ- أن يصل بالحروف المضروب عليها، ويخط عليها خطأ ممتدًا.
- ب- أن يكون الخط فوق الحروف منفصلا عنها، منعطفًا طرفاه على أول المبطل وآخره، كالياء المقلوبة.
- ت- أن يكتب لفظة (لا) أو لفظة (من) فوق أوله، ولفظة (إلى) فوق آخره ومعناه (من هنا محذوف إلى هنا).
- ث- أن يكتب في أول الكلام المبطل وفي آخره نصف دائرة.
- ج- أن يكتب في أول المبطل وفي آخره صفرًا وهو دائرة صغيرة. وهذا الصفر هو علامة النقطة في المخطوطات القديمة ولذلك كان أبو عبيدة يسمي الضرب على الشيء الزائد بالنقط.

هذه المصطلحات وغيرها يُنبّه الدكتور رمضان عبد التواب المحقق على أن يكون مُلمًا بها ((وإلا خلط النصّ بغيره ممّا ليس منه، أو أسقط ما هو جدير بالثبوت، أو أساء الضبط؛ لأنّه لم يعرف طريقة النسخ في ذلك))^(١).

و يؤكّد الدكتور عبد التواب التمرّس بكتابة القدماء في المخطوطات، إذ ((يشيع في بعض المخطوطات القديمة كتابة الكاف كاللام المقوسة بعض الشيء بغير الشرطة الأفقية وهذه لا بُدّ للمحقّق من التمرّس بها، وإدراك المراد منها في المخطوطة التي يحقّقها، وإلا خلطها باللام كما حدث من محقّق التوطئة لاشلوبيني، الذي قرأ المخطوطة التي أمامه في أحد المواضع (القسمُ جملةٌ يولد بها جملة أخرى) والصواب المراد (القسمُ جملةٌ يؤكّد بها جملة أخرى))^(٢).

خامسًا: المران على أسلوب المؤلف ومراجعة كتبه:-

و هذا مهم جدًا إذ يجب ((المران على أسلوب المؤلف، والإلمام بموضوع الكتاب، فكلّ مؤلف أسلوبه وعباراته التي يردد ها، ولازمته التي تدور في كلامه، وينبغي لكي نكتسب هذا المران، أن نقرأ الكتاب عدّة مرات، فمن الأشياء المهمة التي

(١) مناهج تحقيق التراث...: ٨٧.

(٢) ينظر: التوطئة: ٢٣٦.

(٣) مناهج تحقيق التراث...: ٨٨.

لا بدّ من معرفتها رأي المؤلف نفسه، وغرضه في الكتاب كلّه، وفي كلّ فصل من فصوله، وذلك لأننا نستعين بتلك المعرفة على نقد ما يخالف رأي المؤلف وغرضه في النسخ وتصحيح ذلك ... كما يعين على المران على أسلوب المؤلف قراءة الكتب الأخرى التي كتبها ذلك المؤلف^(١). إذ إنّ بعض المؤلفين القدامى كثيراً ما كان يستخدم النصّ الواحد في أكثر من كتاب لمناسبات شتى وهذا لا شكّ يفيد في إصلاح التحريف الذي ينتاب بعض النسخ.

سادساً: الشكّ في النفس قبل النصّ:

ما سبق من أسس، تلزم معرفته للباحثين والناشرين للنصوص على السواء؛ إذ إنّ باحث الدراسات الإنسانية مطالب بتحقيق النصوص التي يستخدمها قبل أن يقدم على استنباط أية نتائج منها، والمحقّق المنصف هو الذي يشكّ في نفسه قبل أن يشكّ في صحّة النصّ إذا كان النصّ غامضاً. وهنا يخاطب الدكتور رمضان عبد التواب المحقّق قائلًا: ((إمّا أن يكون العيب فيك أنت؛ لأنّ محصوك اللغوي قليل، لم يصل بعد إلى مرحلة تتمكّن فيها من فهم هذا النصّ دلالةً وتركيباً، وإما أن يكون النصّ الذي أمامك قد أصابه التصحيف أو التحريف أو السقط أو التغيير))^(٢).

ويلفت الدكتور رمضان عبد التواب نظر المحقّقين إلى شيء مهم جدّاً وهو أنّه ((ليس كلّ نصّ صعب غير مفهوم، يُعدّ مغلوطاً، إذ يحدث في بعض الأحيان أن يغيّر النسخ بعض العبارات الصحيحة غير المفهومة لهم بعبارات سهلة مفهومة، فإذا عثرنا على قراءتين إحداهما تُفهم بصعوبة والأخرى تُفهم بسهولة فضّلنا الأولى ... إذ لا يتصوّر أن يبدّل النسخ شيئاً مفهوماً بشيء لا يُفهم إلا بصعوبة، والمحمّل ضدّ ذلك. وهذا الرأي صحيح، والقاعدة التي تترتّب عليه نافعة؛ إذ تحذّرنا ممّا يسهل فهمه؛ فإنّه كثيراً ما يختبئ الصحيح فيما مظهره غير مفهوم، فعلياً إنن أن نستخرجه فلا نكتفي بتخمينات النسخ، وهي في الحقيقة بعيدة عن الأصل))^(٣) ومع ذلك ((فدّنا

(١) مناهج تحقيق التراث...: ٩٠.

(٢) المصدر نفسه: ٩٣.

(٣) المصدر نفسه: ٩٧، وينظر: أصول نقد النصوص لبرجسترا سر: ٨٦.

إذا تأكدنا من أنّ الخطأ قد وقع من المؤلف فإدنا لا نُصلّحه في متن الكتاب، وإدنا نُبقي عليه كما هو، ونشير إلى وجه الصواب فيه في هوامش التحقيق))^(٢).

سابعاً: مراجعة مصادر المؤلف:

من أهم وسائل تحقيق النصوص مراجعة مصادر المؤلف التي استقى منها مادته العلمية، ذلك إنّ إهمال الرجوع إليها - كما يقول الدكتور رمضان - ((ليؤدي إلى كثير من الأوهام والخلل في تحقيق النص، والإبقاء على ما أصابه من تحريف وتصحيف، أو سقط واضطراب))^(٣).

ثامناً: مراجعة المؤلفات المماثلة:

كذلك يلزم المحقق مراجعة المؤلفات المماثلة للكتاب الذي يحقّقه وهذا أمر ضروري جداً ((لتصحيح ما قد يبدو في الظاهر صحيحاً لا غبار عليه وهو في حقيقة أمره مصحّف ومحرّف))^(٤).

تاسعاً: مراجعة النقول عن الكتاب والحواشي والشروح:

يرى الدكتور (رمضان عبد التواب) أنّ مراجعة المحقق للنقول والاقباسات عن الكتاب المحقق في بطون المؤلفات المختلفة لها فائدة عظيمة؛ إذ إنّها قد تلقي ((الضوء على ما التبس من عبارة المخطوطة أو أصابه التصحيف والتحريف على أيدي النساخ في مختلف الأزمنة ... كما أنّ الحواشي والشروح التي صنعها العلماء لبعض الكتب تُعدّ في غاية الأهمية لإلقاء الضوء على عبارات هذه الكتب وتقويم ما أصابها من أوهام النساخ عبر العصور فلا يعقل مثلاً أن ينشر كتاب سيبويه دون رؤية أحد الشروح الموسّعة عليه كشرح أبي سعيد السيرافي مثلاً))^(٥).

عاشراً: تخريج النصوص:

(٢) مناهج تحقيق التراث... : ٩٧ - ٩٨.

(٣) المصدر نفسه: ٩٩.

(٤) المصدر نفسه: ١٠٣.

(٥) المصدر نفسه: ١٠٦.

ويقصد بالتخريج البحث عما يؤيد النصّ ويشهد بصحته في بطون الكتب، ويراه الدكتور عبد التواب أمراً ضرورياً جداً، ((فقد يبدو النصّ واضحاً ومفهوماً، وعندئذ يتكاسل المحقق في أمر مراجعته وتخريجه في المصادر المختلفة للتأكد من صحة مضمونه))^(٢). وقد يترتب على ذلك سقوط لفظة أو كلمة تغيّر المعنى المقصود.

وأول النصوص التي ينادي الدكتور رمضان بتخريجها هو القرآن الكريم. ولعلّ الاستعانة بفهارس القرآن التي صنعها بعض العلماء تيسّر هذا الأمر على المحقق، على أنه ليكن معلوماً لدى المحقق أنه ينبغي ألاّ يسارع ((إلى تخطئة نص الآية الذي أمامه بناءً على ما في المصحف الذي بين أيدينا، بل عليه أن يبحث عنه في كتب القراءات المختلفة))^(٣).

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّه لا ينبغي الاكتفاء بعرض الآية القرآنية على الفهارس التي عنيت بتخريج آيات الذكر الحكيم وإنما يستهدى بها في معرفة السورة والآية فحسب، ويتحمّم عرض الآية على المصحف الشريف. يزداد عليه أنّ المحقق يجدر به ألاّ يعول على حفظه في تخريج الآيات القرآنية الكريمة.

ومما ينبغي تخريجه الأحاديث النبوية الشريفة وذلك حتى ((يطمئن المحقق إلى سلامتها من التصحيف والتحريف. ويعين على ذلك كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في كتب السنة، ومسند الدارمي وأحمد بن حنبل وموطأ الإمام مالك) للمستشرق فنسنك، وكتاب (مفتاح كنوز السنة) لمحمد فؤاد عبد الباقي، و (الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي، وغيرها))^(٤).

كذلك ممّا ينبغي تخريجه الأمثال ويرجع في ذلك إلى كتب الأمثال العربية المختلفة، أمّا الشعر فعند تخريجه ينبغي مراجعة المصادر المختلفة التي ورد فيها هذا الشعر فلا بدّ للمحقق أن يرجع ((إلى ديوان الشاعر إن كان له ديوان وإلاّ رجع إلى ما روي من أشعاره في المجاميع الشعرية المختلفة كالأصمعيّات، والمفضليّات،

(٢) مناهج تحقيق التراث...: ١٠٨.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٩.

(٤) المصدر نفسه: ١١٠.

وجمهرة أشعار العرب للقرشي، وحماسة أبي تمام، وحماسة البحتري، والحماسة البصرية، وحماسة ابن الشجري، والأشباه والنظائر للخالدين، وغيرها))^(١).

ويركّز الدكتور عبد التواب في منهجه في تخريجه للأشعار على منهج الاستقصاء والتبني على جمهرة المواقع التي ورد فيها هذا البيت أو ذلك في المصادر التي بين أيدينا؛ ذلك أنّ هذا التخرّيج المستقصى ((قد يفيد باحثًا أو محققًا يجد أمامه هذا البيت أو ذلك في سياق نثري غير مفهوم؛ إمّا لاختصارٍ مغلّ في العبارة، وإمّا لتصحيف أو تحريف أصاب هذا النصّ في كتاب مطبوع أو مخطوط. والوسيلة المأمونة العاقبة في مثل هذه الحالة، هي البحث على مثل هذا البيت في مصادره المختلفة لعلّه يعثر في بعضها على سياقه الخالي من الاضطراب والتشويش. مثل هذا الباحث أو المحقق، يَحْمَد لهذه الطريقة المستقصية في تخرّيج الأشعار أنّ وضعت أمامه جمهرة مصادر البيت الذي يهّمه، ووفّرت له كثيرًا من الجهد والمشقة... على أنّ الاكتفاء بمصدر أو مصدرين قد يجرّ إلى إدعاء نسبة خطأ بيت، وردت في مصادر لم يرها المحقق أو القول بتحريف أو تصحيف، في رواية لم يجهد المحقق نفسه في البحث عنها، أو ترك التصحيف والتحريف كما هو، لعثوره عليه مرةً أخرى في مصدره الذي اكتفى به))^(٢).

وأخيرًا لا بدّ من تخرّيج الأعلام من أسماء الأشخاص والأماكن والبلدان للتأكد من صحتها وذلك بالبحث في بطون كتب التراجم والطبقات والكتب التي تعنى بالبلدان.

وهكذا نرى من خلال منهج الدكتور رمضان عبد التواب في تحقيق النصوص أنّ التحقيق ((ليس مهمة يسيرة بل لا بدّ فيه من معرفة واسعة بالمصادر العربية وطريقة استخدامها والإفادة منها في تحقيق النصّ، حتّى يقترب من أصله الذي كتبه المؤلف))^(٣).

(١) مناهج تحقيق التراث: ٠٠٠: ١١٣.

(٢) المصدر نفسه: ١١٤ - ١١٥.

(٣) المصدر نفسه: ١١٧.

حادي عشر: المقابلة بين النسخ:

تُعَدُّ المراحل السابقة مراحل تمهيدية قبل إعداد النصّ المحقَّق للنشر. فإذا شرع المحقَّق في إعداد النصّ للنشر يلزمه أولاً المقابلة بين النسخ. والغرض منها هو الوصول إلى الصورة الصحيحة للنصّ ((أو التي تبدو أنّها هي الصواب، وإثباتها في صلب النصّ عند نشره، ثمّ توضع فروق النسخ الأخرى في هامش الصفحة مع الإشارة إلى هذه النسخ برموز معينة يختارها المحقَّق ويشير إليها في مقدمة تحقيقه للكتاب))^(٢).

ويشرح الدكتور (رمضان عبد التواب) طريقته في المقابلة بين النسخ قائلًا: ((درجت في الكتب الكثيرة التي حققتها على نَسْخِ الأصل نسخًا دقيقًا مراجعًا، مع مراعاة ترك سطر أبيض بين كلِّ سطرين يستخدم لمقابلة النسخ الأخرى فوق الكلمات والعبارات المختلفة، واستخدام رموز معينة لكلِّ نسخة وكتابة كلِّ هذه المقابلات بقلم الرصاص، ليسهل مَحْوُها بعد انتهاء كلِّ المقابلات وإثبات الصواب بالحبر في النصّ، وفروق النسخ والتخرجات، والأشروح وغير ذلك في هوامش الصفحات بالأرقام))^(٣).

وينبّه الدكتور رمضان عبد التواب على ملاحظة مهمّة، وهي أنّه إذا أثبتت المقابلة إجماع النسخ المختلفة على قراءة بعينها، فلا يصحُّ تغييرها إلاّ بدليل قاطع على فسادها.

ثاني عشر: إصلاح التصحيف والتحريف:-

وسنفضّل القول في هذا الأساس لاحقًا.

(٢) مناهج تحقيق التراث: ١٢٠ : ١٠٠٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٠.

ثالث عشر: الزيادة والنقص:-

عرفنا من قبل أنّ التحقيق هو قراءة النصّ كما أَرادَه مؤلّفه، وعلى ذلك فلا يجوز للمحقّق ((أن يزيد في النصّ أو ينقص منه شيئاً إلا بشرط واحد وهو أن يكون ذلك ضروريّاً لا مفرّاً منه، ولا بدّ من وضع الزيادة بين قوسين معقوفين، والتنبيه على مكان استجلابها في الهامش))^(١).

ويُحذّر الدكتور رمضان عبد التواب المحقّقين من الزيادة في النصّ بسبب بعض الحواشي التفسيرية التي يُقجّمها بعض النساخ، وذكر لنا بعض الأمثلة على ذلك، منها ما ورد في كتاب (المذكر والمؤنث) للمبرد: (ومن هذا الباب في قول سيبويه قصباء يا فتى) فقد شُدِّحَت كلمة قصباء على هامش مخطوطة الظاهرية بأنّها (جمع القصب) فأضاف ناسخ مخطوطة التيمورية هذه الحاشية إلى النصّ غفلةً منه وسهواً، فصار: ومن هذا الباب في قول سيبويه جمع القصب قصباء يا فتى^(٢).

رابع عشر: ضبط ما يُشكّل من الكلمات:-

لا بدّ للمحقّق أن يراعي ضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط بشرط أن لا يتعارض ذلك مع قصد المؤلف. وعموماً ينبغي العناية بضبط آيات القرآن الكريم، وأبيات الشعر بما لا يخلّ بالوزن، وما يُشكّل من الألفاظ اللغوية والعبارات الملبسة ... وإذا كانت المخطوطة بخط المؤلف فلا يُغيّر ما فيها من الضبط حتّى لو كان هذا الضبط مخالفاً لقواعد اللغة والنحو، حتّى يكون نصّ المؤلف شاهداً على ثقافته، ولكن يشار إلى ما يظنّه المحقّق صواباً في الحواشي. ويصدّق ذلك على غير القرآن الكريم، فلو تبيّن المحقّق من خطأ المؤلف في ضبط النصّ القرآني فعليه أن يُصلّحه مع لزوم الإشارة في الحواشي إلى ما كان في الأصل من ضبط^(٣).

(١) المصدر نفسه: ١٤٩.

(٢) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ١٥٧، والمذكر والمؤنث للمبرد: ١/١٢٣.

(٣) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ١٦٠ - ١٦٢.

علمًا أنّ من المحققين وهم من المهرة في فن التحقيق يرَوُّن أنّ الآية القرآنية يُكفَى بتصحيحها، ولا يستدعي الإشارة في الحاشية إلى ذلك، ومن هؤلاء: المحققون العراقيون وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن.

خامس عشر: الإشارة إلى مصادر التخرّيج:-

ويقصد بمصادر التخرّيج الوثائق التي يسوقها المحقق دليلًا على صحة النصّ الذي يحقّقه. ومنهج الدكتور عبد التواب فيها هو الاستقصاء، يتضح هذا من قوله: ((وأهم ما ننادي به هنا منذ عدّة سنوات مَضَّت هو الإكثار ما أمكن من ذكر المصادر لا الإكثار من النقل عن هذه المصادر...))^(١).

((وأول ما ينبغي أن يلتفت إليه المحقّق، هو مراجعة مصادر المؤلف، ما دامت موجودة مخطوطةً كانت أم مطبوعةً، وعليه أن يشير في هوامشه إلى صنيع المؤلف في نصوص هذه المصادر وهل كان ينقلها نقلًا حرفيًا في دقّة وأمانة؟ أم أنّه كان يتصرّف فيها بالنقص والزيادة عليها؟ ويكفي في الحالة الأولى الإشارة إلى مكان ورود النصّ في مصدره. أمّا الحالة الثانية فإنّها تستدعي من المحقّق نقل النصّ ووضعه في الحاشية؛ لكي يتمكّن الباحث من المقارنة بين النصّ الأصلي وما صنعه به المؤلف المقبّس له.

ولا يصحّ الاعتماد في تخرّيج النصوص على المصادر الثانوية، فلا يصحّ الاعتماد في تخرّيج نصّ لابن جنّي مثلًا على كتاب: (الأشباه والنظائر) للاسيوطي مثلًا، مع وجود كتاب ابن جنّي وإمكان الاطلاع عليه؛ إذ يُعدّ كتاب: (الأشباه والنظائر) للاسيوطي، مصدرًا ثانويًا في حالة وجود كتاب ابن جنّي، ولا بلّس من الإشارة إليه مع كتاب ابن جنّي كذلك. أمّا الاعتماد عليه وحده، فإنّ ذلك قد يضرّ غاية الضرر))^(٢).

(١) المصدر نفسه: ١٦٣.

(٢) مناهج تحقيق التراث...: ١٦٣ - ١٦٤.

وأنكر الدكتور رمضان عبد التواب بعض البدع التي شاعت بين المحققين في ذكر الحواشي منها^(٣).

١. ذكر اسم المؤلف أولاً وبعده اسم الكتاب، وهذه بذعة لم يعرفها العرب القدامى في مؤلفاتهم وإنما هي وافدة علينا من الغرب.

٢. توضيح بيانات المصدر عند ذكره أول مرة في الكتاب المحقق أو الرسالة العلمية، وهذا تزيد لا مسوغ له وتقليد أعمى للغرب الذي يصنع أهله هذا.

٣. إذا تكرر الرجوع إلى مصدر معين أشار إليه المحقق أو الباحث في حواشيه بعبارة (المصدر السابق) أو (نفس المصدر) أو (المصدر نفسه).

وترجع كراهية هذا الأسلوب عند الدكتور رمضان إلى ما يذنبها من ضرورة النظر إلى حاشيتين بدلاً من حاشية واحدة. وقد تكون الحاشية الأولى في صفحة والثانية في صفحة لاحقة. ويزداد الأمر صعوبة إذا أكثر النقل من مصدر واحد وكثرت الصفحات بين الحاشيتين: الصريحة والتي بين يدي القارئ، واحتاج الأمر إلى تقليب بعض الصفحات.

أقول: إن عبارة (المصدر نفسه) أو (المصدر السابق) تعني المصدر الذي يسبق مصدرك الذي أنت فيه أي (الحالي) حسب، ويستعمل إذاك في هذا الإطار ولا بأس في ذلك.

٤. الفصل بين كل مصدر وآخر بفاصلة من دون الواو.

٥. اختصار أسماء المصادر، مثل: الإبدال لابن السكيت = (بس) والخصائص لابن جني = خصا، وغيرها.

ولي في هذا نظر من حيث أنه ملبس للقارئ الشدا، بله غير المتخصصين.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٥ - ١٧٢.

٦. الاكتفاء بذكر المادّة في المعجم من دون ذكر للأجزاء والصفحة؛ ذلك أنّ المقصود بذكر بيانات المصادر في الحواشي، المساعدة على الوصول إلى ما ينبغي في أسرع وقت وبأقصر سبيل، فإذا وجد الشخص نفسه أمام حاشية تقول: انظر: اللسان (عرف)، لمعرفة الفرس مثلا، كلفه ذلك قراءة عشر صفحات في مادّة (عرف) ليعثر على (معرفة الفرس).

وننتهي في هذا من إجمال منهج الدكتور رمضان عبد التواب في التخرّيج من ((وجوب النصّ على مكان الآية في المصحف الشريف بذكر اسم السورة ورقمها ورقم الآية وكذلك البحث عن القراءة القرآنية المذكورة في النصّ في كتب القراءات المختلفة، وتخرّيج الأحاديث والأمثال والأشعار والترجمة للأعلام والبحث عن أسماء الأماكن في معاجم البلدان وشرح الغامض من الكلمات والعبارات والوقوف أمام مشكلات النصّ بتقليب وجهات النظر والحدس والتخمين. وفي كلّ هذه الأمور لا بدّ من بذل الجهد، وحشد أكبر قدر من مصادر التخرّيج حتّى يطمئنّ المحقّق إلى أنّ النصّ المختار صحيح لا يرقى إليه شك))^(١).

سادس عشر: المقدّمة:

وهذا الأساس من مكملات أسس التحقيق السابقة، فالمقدمة لا بد أن تشمل على ترجمة وافية لصاحب الكتاب المحقّق. ومنهج الدكتور (رمضان عبد التواب) في هذه الترجمة يشتمل على عشر نقاط^(٢):

١. تحقيق اسم الشخص بالضبط.
٢. تحقيق تاريخ مولده ووفاته.
٣. ذكر الشيوخ الذين تلقى عليهم العلم.
٤. ذكر التلاميذ الذين أفادوا من علمه.
٥. ذكر طرف من حياته ومهنته وتنقلاته.
٦. ذكر آراء العلماء فيه من المعاصرين وغيرهم.

(١) مناهج تحقيق التراث... : ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) مناهج تحقيق التراث... : ١٧٥ - ١٧٦.

٧. ذكر المناظرات والخلافات التي جرت بينه وبين معاصريه إن وجدت.
٨. ذكر طائفة من أشعاره إن كان له أشعار.
٩. ذكر كتبه مرتبة هجائياً مع بيان المطبوع منها والمخطوط ومكان وجودها في مكتبات العالم.
١٠. الرأي في مركزه العلمي مدعماً بالأدلة.

كذلك ينبغي أن تتضمن المقدمة كلمة كاشفة للكتاب المحقق، تُبرز فيها قيمة الكتاب في فنه، وما أضافه من جديد، ومدى اعتماده على ما سبقه أو استقلاله في الرأي والمنهج، وإفادة الخالفين منه، وبيان أغلاطه ومساوئه إن وجدت، وتوضيح مذهب صاحبه واتجاهات فكره^(١).

وتتضمن المقدمة كذلك وصفاً للمخطوطات التي اعتمد عليها المحقق، ولا بد أن توصف صفحة العنوان بدقة ويوضح ما عليها من تمليكات أو سماعات أو وقف خلال العصور. وكذلك وصف خاتمة كل مخطوط وما فيها من تأريخ للنسخ والإجازات والسماعات وغير ذلك. وأن يوضح المحقق عدد الأوراق ومقاس الصفحة في كل مخطوطة وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة، وعدد كلمات الأسطر الواحد، ويبين نوع الخط، وألوانه إن اختلفت، وموقف المخطوطة من الضبط بالشكل والعبارة.

ويرتبط بوصف المخطوطات موقف المخطوطة من كتابة الهزات، وكتابة الألف اللينة، والألف الفارقة، وتاء التدبُّث، والخصائص الخطية المختلفة بها فيما عدا ذلك^(٢).

سابع عشر: الفهارس:

والفهارس يصفها الدكتور رمضان عبد التواب بأنها مفتاح الكتاب ((الحقيقية لكي يصل الباحث عن طريقها إلى بغيته بأقصى سرعة ممكنة وبأيسر سبيل))^(٣).

(١) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ١٨١.

(٢) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ١٨٥ - ١٩٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٣.



وأنواع الفهارس متعدّدة، وأهمّها^(٤):

١. فهرس الموضوعات: ويحسن أن يكون مفصّلاً تظهر فيه دقائق الموضوعات التي عالجها صاحب الكتاب، ويكون ترتيبها على نسق ورودها في الكتب.
٢. فهرس الآيات القرآنية: ترتّب في سورها، ثم ترتّب السور بحسب ورودها في المصحف الشريف.
٣. فهرس الأحاديث والآثار: إن كانت قليلة في الكتاب المحقّق رُتبت جميعها بحسب أول حرف في أول كلمة وردت فيها. أمّا إذا كثرت ففي رأي عبد التواب إنّ الطريقة المثلى في فهرستها، أن تفهرس كلّ كلمة فيها في فهرس عام يمثّل صورة مصغّرة من (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) للمستشرق (فدسنك) Wensinck. ومثّل ذلك يقال عن فهرس الأمثال والحكم وأقوال العرب.
٤. فهرس اللغة: ((توضع المادّة اللغوية في جداول، وبجوارها الألفاظ المستخدمة من هذه المادّة ومعها صفحاتها، وترتّب هذه المواد اللغوية ترتيباً هجائياً بحسب الأصل الأول والثاني وما يثابهما))^(١).
٥. فهرس قوافي الشعر: فبها ترتّب ترتيباً هجائياً على حروف الروي، ثم في داخل كلّ حرف يكون الترتيب بالروي الساكن فالمفتوح فالمضموم فالمكسور، ومع كلّ حركة من هذه الحركات وصلها بالهاء، ثم ترتّب كل حركة على حسب البحور بترتيب الخليل بن أحمد لهذه البحور على: الطويل، فالمديد، فالبيسط، فالوافر، فالكامل، فالهزج فالرمل، فالسريع، فالمنسرح، فالخفيف، فالمضارع، فالمقتضب، فالمجتث فالمتقارب، فالمتدارك.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٣ - ٢١٩.

(١) مناهج تحقيق التراث...: ٢١٤.

وينادي الدكتور رمضان عبد التواب بفهرسة كل بيت ورد في الكتاب المحقق، بدلا من فهرسة البيت الأول في المقطوعة أو القصيدة التي أوردتها المؤلف، ولا يستثنى من ذلك إلا الدواوين الشعرية.

٦. **فهرس الأعلام:** في هذا النوع من الفهارس يغلب على جمهرة المحققين استبعاد الألف واللام للتعريف، كما يغلب عليهم استبعاد كلمة: أبو، وأبن، وأم.

٧. **فهرس المراجع:** يرفض الدكتور رمضان عبد التواب تقسيمها إلى مصادر ومراجع ومعاجم ودوريات ومقالات؛ لأن هذا التقسيم في رأيه ضرب من العبث ينبغي التخلي عنه في الكتب المحققة والمؤلفة؛ لأن فيها تشتيتا لجهد القارئ الذي يضطره الأمر إلى الكشف عن الكتاب الواحد في أكثر من قسم؛ لأنه لم يستطع تحديد هويته من عنوانه. وهو يدعو إلى أن تفهرس المقالة أو البحث وتوضع في مكانها في قائمة المراجع وعندئذ يقال إنها منشورة في الدورية الفلانية أو مجلة كذا. وينبغي أن تكون المداخل في فهرس المراجع مرتبة على أسماء الكتب لا على أسماء المؤلفين، ويحتوي الفهرس على ذكر اسم الكتاب بالكامل، وذكر اسم مؤلفه على ما اشتهر به، وذكر اسم المحقق إن كان محققا، ورقم وجوده في المكتبة إن كان مخطوطا، كما يذكر مكان الطبع وتاريخه إن عُرِف، فإن لم يُعْرَف لطبعه تأريخ قيل (بلا تأريخ) لكن ينبغي التثبت من ذلك أولا بمراجعة غلاف الكتاب في أوله وآخره وصفحة العنوان وخاتمة المقدمة التي كتبها المؤلف أو المحقق، والمكان الذي يذكر فيه عادة رقم الإيداع بدار الكتب.

ذلك عرض موجز لأسس منهج التحقيق في تحقيق التراث عند الدكتور (رمضان عبد التواب) عرضناه إجمالاً. ولِمَنْ أراد المزيد فليعد إلى كتابه: **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين** (رحمه الله وجزاه عن أهل التحقيق خيراً).

المبحث الثاني

جهوده في إصلاح التصحيف والتحريف

يقصد به ((ما يحدث في النصوص اللغوية من أخطاء نتيجة لعدم ضبط روايتها وكتابتها، وما يحدث عن الكتابة بالذات من إيهام. واصطلاح التحريف والتصحيف بهذا المعنى شائع في التراث العربي كلاًه؛ لأنه يتصل بالنصوص، وهي محور دراسته بأسرها))^(١).

فإن ((الكلمتين مترادفتان عند جمهرة القدماء من علماء العربية؛ إذ يستعملان عندهم بمعنى التغيير في الحروف والحركات))^(٢).

وأول من فرّق بين المصطلحين هو: أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٥٣٨٢هـ) في كتابه (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف)، مثل: قارح وفارج^(٣). و

(١) أصول التفكير النحوي: ٢٨٤.

(٢) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: ١٢٤.

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: ٦٠.

أطلق: التحريف على غير ذلك من التغييرات، مثل: سرى بالحي وسرى في الحي، وقال هنا: ((هذا من التحريف لا من التصحيف))^(٤).

وقد وقع في التصحيف والتحريف كثيرون من أعلام اللغة والنحو، كعيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، وأبي عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وغيرهم من علماء البصرة. ومن أئمة الكوفة أكابر: كدماذ الراوية (ت ١٥٦هـ)، والكسائي (ت ١٨٩هـ)، والفراء (ت ٢٠٧هـ)، وغيرهم^(٥).

وقد استقر الرأي عند جمهرة العلماء في العصر الحاضر على أن التصحيف: (تغيير

نقط الحروف المتمثلة في الشكل)، كالباء والطاء والثاء والنون والياء، والجيم والحاء والخاء، والذال والذال، والراء والزاي، والسين والشين، والصاد والضاد، والطاء والظاء، والعين والغين، والفاء والقاف.

وأنّ التحريف هو: (تغيير في شكل الحروف المتشابهة في الرسم)، كالدال والراء، والدال واللام، والنون والزاي، والميم والقاف، وما إلى ذلك^(٦).

أسباب الوقوع في التصحيف والتحريف :-

ذكر الدكتور (رمضان عبد التواب) الأسباب التي تؤدي إلى الوقوع في التصحيف والتحريف، وسأعرض هذه الأسباب على النحو الآتي^(٧):-

أولاً: النقل من خطوط لم يتمرس فيها الناسخ:-

إذا كان الكتاب قد كتب أولاً بالكوفي، ثم نُسخ بالخط النسخي، ثم المغربي، ثم أعيدت كتابته بالنسخ، ثم كُتب بالتعليق أو الرقعة، فلا نهاية لاحتمال وقوع التحريف

(٤) المصدر نفسه: ٧٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٥٧ - ٩٢، ١٢٠ - ١٤٣، وتصحيح التصحيف وتحريف: ٤ - ٥.

(٦) ينظر: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي: ٢٦٨ - ٢٨٧، ومناهج تحقيق التراث...: ١٢٤.

(٧) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ١٢٧ - ١٣١.

والتصحيح في مثل هذا الكتاب، وأكثر من ذلك يحدث عند النقل من خط إلى خط، وعند النسخ من أصل قديم؛ لأنّ الناسخ في هذه الحالات لا يعرف خط الأصل معرفة كافية في كثير من الأحيان. ومن الأمثلة التي ذكرها الدكتور عبد التواب على ذلك ما جاء في ديوان عبيد بن الأبرص، الذي نشره المستشرق الإنكليزي: لايل (Lyll)، فقد جاء فيه: ((حتّى أتى شجرات واستكل عنهن)) ففي ذلك تحريفان، والصواب: (واستظلّ تحتهن)، فيقول الدكتور عبد التواب: ((والمرجح أنّ أصل النسخة - وهي قديمة جدًّا تأريخها سنة ٤٣٠ هـ - كان مكتوبًا بالخط المغربي، والظاء فيه تشبه الكاف في الخط النسخي، ويشتدُّ الالتباس إذا وقعت بعدها لام، كما في مثالنا هذا))^(٣).

(٣) المصدر نفسه: ١٢٧، وينظر: ديوان عبيد بن الأبرص: ١، ومقدمة الناشر: ١٠ - ١١.

ثانياً: قد يكون التصحيف والتحريف، ناتجاً عن خطأ في السماع لا في القراءة:-

قال أبو الطيّب اللغوي (ت ٥٣٥هـ): ((يقال برّدت الماء، من البرد، أي جعلته بارداً، وبرّدتته: سخّنته. قال: وأنشدنا بعضهم:

شكّيت البرّد في المياه فقلنا برّديه تواقفه سخينا

قال قطرب: معنا برّديه في هذا البيت: سخّنيه. وقال أبو حاتم: هذا خطأ، إنّما هو: بل رّديه، من الورود، ولكنّه أدغم اللام في الزاء، كما يقرأ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(١). قال أبو الطيّب: وهذا الصحيح، وبه يستقيم معنى البيت))^(٢).

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: إنّ التصحيف في هذا المثال ناتج عن خطأ في السمع. ثمّ يحدّثنا عن تجربة يسيرة قام بها بنفسه، تُبيّن كيف يتسبّب الخطأ السمعي في تصحيف الكلام وتحريفه؛ إذ جمع الكراسات من أيدي الطلبة في إحدى محاضراته، فوجد في واحدة منها: (أكل الهريسة يشقّ الظهر) بدل: (يشدّ). وفي أخرى: (كما تفرّ من الحسد) بدلا من: (الأسد). وفي ثالثة: (شقيقة نوح) بدلا من: (سفينة نوح) وفي رابعة: (دعاء القوط) بدل: (دعاء القنوت)!^(٣)

ثالثاً: قد يكون التصحيف أو التحريف ناتجاً عن خطأ في الفهم:-

فمن ذلك ما ذكره الجاحظ من قوله: ((قال محمد بن سلام: قال يونس بن حبيب: ما جاءنا عن أحد من روائع الكلم ما جاءنا عن رسول الله ﷺ))^(٤)؛ فقد جاء في حواشي نسخة من نسخ (البيان والتبيين) عن هذا الموضع ما يأتي: ((هذا ما صحّفه الجاحظ وأخطأ فيه؛ لأنّ يونس إنّما قال: عن النّبّي، وهو عثمان النّبّي، فلمّا لم يذكر عثمان النّبّي، التبس النّبّي فصحّفه الجاحظ بالنسبي، ثم جعل مكان النّبّي الرسول، وكان النّبّي من الفصحاء))^(٥).

(*) المطلقين / ١٤. وتتنظر القراءة في: السبعة في القراءات: ٦٧٥.

(١) الأضداد: ٨٦/١.

(٢) ينظر مناهج تحقيق التراث...: ١٢٩.

(٣) التنبيه على حدوث التصحيف: ١٤٩، وينظر: مناهج تحقيق التراث...: ١٣٠.

(٤) البيان والتبيين: ١٨/٢.

مؤلفات العلماء في التصحيف والتحريف:

ذكر الدكتور (رمضان عبد التواب) عددًا من مؤلفات الأقدمي والمحدثين في التصحيف والتحريف ودلّ على مكان ورودها في المصادر، وعلى المطبوع منها والمخطوط إن وجد. وقد ذكرها على قسمين: قسم ذكر فيه المؤلفات الخاصة بهذا الموضوع، والقسم الآخر: ذكر فيه مؤلفات العلماء الذين خصّصوا فصولاً في مؤلفاتهم، للحديث عن التصحيف والتحريف، وسقطات الأدباء والشعراء والعلماء. ومن المفيد هنا أن نذكر هذه المؤلفات، وعلى النحو الآتي^(٢):

أولاً: مؤلفات الأقدمي الخاصة بموضوع التصحيف والتحريف، وهي مرتبة تاريخياً:

١. تصحيف العلماء: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)^(٣).
٢. ما صحّف فيه الكوفيون: لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ)^(٤).
٣. التنبيه على حدوث التصحيف: لحمزة بن الحسن الأصفهاني (٣٥٠هـ)^(٥).
٤. التنبيهات على أغاليط الرواة: لعلي بن حمزة البصري (ت ٣٧٥هـ)^(٦).
٥. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٨٢هـ)^(٧).
٦. تصحيف المحدثين: لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ).

(٢) ينظر مناهج تحقيق التراث...: ١٤٣ - ١٤٧.

(٣) ذكره في الفهرست: ١٢١.

(٤) ذكره الصفدي في: مقدمة كتابه (تصحيف التصحيف وتحرير التحريف)، ولم يذكره واحد ممن ترجموا له، ينظر: ترجمته في تاريخ بغداد: ٤٢٧/٣.

(٥) نشره الشيخ محمد حسن آل ياسين في بغداد ١٩٦٧م، ونشره أسعد طلس في دمشق ١٩٦٨م.

(٦) ذكره في معجم الأدباء: ٢٠٩/١٣، وبغية الوعاة: ١٦٥/٢. وقد نشر المرحوم العلامة عبد العزيز الميمني قسماً منه، مع كتاب: المذقوص والممدود للأفراء، بدار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٧م. ونشر الدكتور خليل إبراهيم العطية بقية هذا الكتاب بعنوان (بقية التنبيهات على أغلاط الرواة) ونشرته دار الشؤون العامة ببغداد سنة ١٩٩١م.

(٧) ذكره في: إنباه الرواة: ٣٤٣/٢، وبغية الوعاة: ٥٠٦/١، ووفيات الأعيان: ٨٣/٢، وكشف الظنون: ٤١١/١، وطبع هذا الكتاب كاملاً بتحقيق عبد العزيز أحمد بالقاهرة سنة ١٩٦٣م.

٧. الرد على حمزة في حدوث التصحيف: لأبي نصر إسحاق بن أحمد نصر الصّفار (ت بعد سنة ٤٠٥هـ) (٢).
٨. تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) (٣)، ومنه مخطوطات في دار الكتب بالقاهرة، والمكتبة الظاهرية والمكتبة العمومية بدمشق (٤).
٩. التصحيف والتحريف: لأبي القتح عثمان بن عيسى بن منصور التاج البلطيّ (ت ٥٩٩هـ) (٥).
١٠. منتزه القلوب في التصحيف: لعلي بن الحسن بن عنتر المعروف بشديم الحلّي (٦٠١هـ) (٦).
١١. تصحيح التصحيف وتحريّر التحريف في اللغة: لصلاح الدين خليل بن أبيك الصّفي (ت ٧٦٤هـ) (٧)، ومنه مخطوطات متفرقة في العالم، منها مصورة بالمكتبة الزكية بدار الكتب المصرية برقم ٣٧ لغة (٨).
١٢. التطريف في التصحيف: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) (١). ومن الكتاب مخطوطة في برلين برقم ١٦٦٤ (٢).

ثانياً: العلماء الذين خصّصوا فصولاً في مؤلفاتهم في التصحيف والتحريف:

١. أبو القتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢هـ)، عقد في كتابه (الخصائص) باباً لأغلاط العرب وباباً آخر في سقطات العلماء (٣).

- (٢) ذكر في: معجم الأدباء: ٩٦/٦، وبغية الوعاة: ٤٣٨/١، وهدية العارفين: ٢٠٠/١.
- (٣) ذكر في: كشف الظنون: ٤٧٣/١، وهدية العارفين: ٧٩/١.
- (٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان: ٦٠/٦.
- (٥) ذكر في: معجم الأدباء: ١٤٧/١٢، وكشف الظنون: ٤١١/١، وهدية العارفين: ٦٥٣/١.
- (٦) ذكر في معجم الأدباء: ٧٢/١٣، وهدية العرفين: ٧٠٣/١.
- (٧) في: هدية العرفين: ٣٥١/١.
- (٨) ينظر لحن العامة والتطور اللغوي: ٢٦٨-٢٧٣.
- (١) ذكر في كشف الظنون: ٤١٥/١.
- (٢) ينظر: (بروكلمان GALII) نقلا عن مناهج تحقيق التراث: ١٤٥.

٢. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ)، الذي عقد في كتابه: (العمدة في صناعة الشعر ونقده) بابًا بعنوان: (باب في أغاليط الأشعراء والرواة)^(٤).
٣. الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ)، الذي عقد في كتابه: (محاضرات الأدباء) بابًا بعنوان: (ومّا جاء في التصحيقات)^(٥).
٤. أبو الفرج بن الجوزي (٥٩٧ هـ)، الذي عقد في كتابه: (الحمقى والمغفلين) بابًا بعنوان: (المغفلين من القراء والمصحّفين وحمقى رواة الحديث)^(٦).
٥. جلال الدين السيوطي، الذي عقد في كتابه: (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) بابًا بعنوان: (معرفة التصحيف والتحريف)^(٧)، وبابًا آخر بعنوان: (معرفة أغلاط العرب)^(٨).

(٣) ٣ / ٢٧٣ - ٣٠٩

(٤) ٢ / ١٩١ - ١٩٦

(٥) ١ / ٦٣ - ٦٧

(٦) ص ٤٦ - ٥٧

(٧) ٢ / ٣٥٣ - ٣٩٤

(٨) ٢ / ٤٩٤ - ٥٠٥

٦. الأستاذ عبد السلام محمد هارون، الذي عقد في كتابه: (تحقيق النصوص ونشرها) فصلا بعنوان: (التصحيف والتحريف)^(١).
٧. الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور سامي الاعاني، اللذان عقدا في كتابهما: (منهج تحقيق النصوص ونشرها)، فصلا بعنوان: (التصحيف والتحريف)^(٢).
٨. الدكتور عبد المجيد دياب، الذي عقد في كتابه: (تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره)، فصلا بعنوان: (التصحيف والتحريف)^(٣).
٩. الدكتور محمود الطناحي، الذي ضمّن كتابه: (مدخل إلى تأريخ نشر التراث العربي)^(٤) محاضرة عن التصحيف والتحريف ألقاها بقاعة المحاضرات الكبرى، بجامعة أمّ القرى بمكة المكرمة، في الموسم الثقافي لعام ١٩٨٣ - ١٩٨٤م.

معالجة التصحيف والتحريف:

إنّ معالجة التصحيف والتحريف ليس بالأمر الهين أو السهل بل على المحقق أن يكون ذا قدرة على التحريّ والتمعن والدقة والإتقان مع سعة الثقافة التي يمتلكها لكي يتمكن من أداء عمله هذا. وأصاب الجاحظ في قوله: ((ربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حرّ اللفظ وشريف المعاني، أيسر عليه من إتمام ذلك النصّ، حتى يردّه إلى موضعه من اتصال الكلام))^(٥).

ولمعالجة آفة التصحيف والتحريف نُشِبّه النصّ المغلوط الذي تتدفق عليه كلّ النسخ بالمريض، ونشِبّه الناقد بالطبيب يقول المستشرق برجشتراسر: ((إنّ أول

(١) ص ٦٥ - ٧١.

(٢) ص ١٠٣ - ١١.

(٣) ص ١٦٧ - ١٧٩.

(٤) ص ٢٨٥ - ٣١٦.

(٥) الحيوان: ١ / ٧٩.

وظيفة للطبيب هي أن يتحقق: هل يكون المريض مريضاً في الأصل؟ أي أذنا إذا وجدنا نصّاً صعباً لا نحكم عليه بأنه مريض، كما إننا لا نحكم عليه بأنه غير صحيح إلا بعد الفحص. ثم بعد ذلك يجب على الطبيب أن يعين العضو المريض، وذلك أنه كثيراً ما يكون الخطأ في غير الموضع الذي يصعب فهمه، كما أنّ دلائل المرض كثيراً ما تشاهد في عضو آخر غير العضو المريض، ثم نستدل على جنس المرض الواقع فيه. وكذلك الناقد يجتهد في استخراج جنس الخطأ، أي يجتهد في استخراج ما كان يتوقع أن يوجد في النصّ، مكان الموجود في روايته. وبعد هذه العناية يتقدم الطبيب للعمل على شفاء المريض، فيصف له ما يمكن من علاج، وكذلك الناقد يتقدم لإصلاح الخطأ، ويتجذب في سبيل ذلك كلّ تحكّم واستبداد^(١). وهكذا يمكن تنقية الآثار العلمية من هذه الآفة التي منيت بها.

معالجة التصحيف والتحريف عند رمضان عبد التواب :-

قدّم لنا الدكتور رمضان عبد التواب جهوداً مهمّة وطريقة في معالجة التصحيف والتحريف في الكثير من الآثار العلمية الكبيرة، سواء كانت محققة مطبوعة أو مخطوطة قام هو بتحقيقها، وسنعرض أمثلة من معالجاته للكتب المطبوعة، وعلى النحو الآتي:-

أولاً: اقتبس الإمام السيوطي نصّاً، في القبائل التي تؤخذ عنها اللغة، من كتاب: (الألفاظ والحروف) لأبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ) الفيلاسوف المشهور. وهو قوله في المزهري عن الفارابي: ((وبالجملة فإِنَّه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقيط والفرس))^(٢). ويقف المرء حائراً أمام هذا النصّ؛ إذ كيف لليمن أن تكون بالجزيرة مجاورة

(١) أصول نقد النصوص: ٨٧، وينظر: مناهج تحقيق التراث...: ١٤٨

(٢) المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ٢١١/١.

لليونان؟ ثم كيف لبكر أن تمتد بجناحيها في شمالي الجزيرة العربية، فتجولر في الشرق الفرس في إيران، كما تجاور في الغرب القبط في مصر؟.

وإن مراجعة المصدر الذي اقتبس منه السيوطي هذا النص - وهو كتاب الألفاظ والحروف للفارابي الذي نشره محسن مهدي، في بيروت سنة ١٩٦٩م - لا تغني شيئاً في علاج هذا الشكل الواقع في المزهري؛ لأنّ في كتاب الفارابي نقصاً في مخطوطته، ترتّب عليه ضياع نصوص كثيرة، منها هذا النصّ الوارد في المزهري^(١).

ويتحير الباحث ويزداد عجبه، حين يرى مجموعة كبيرة من علماءنا الأفاضل، يقتبسون هذا النصّ من المزهري، ويضعونه في بحوثهم، من دون أن يخطر على بالهم أن به تحريفات فاحشة، وثوقاً منهم بنص قد طبع محققاً، هو نصّ المزهري؛ فهذا هو الشيخ محمد علي الدسوقي^(٢)، والمستشرق الألماني أوجست فيشر^(٣)، وأدي شير^(٤)، والأستاذ عبد الوهاب حمودة^(٥)، والدكتور مهدي المخرومي^(٦)، والدكتور صبحي الصالح^(٧)، والدكتورة بنت الشاطي^(٨)، والأستاذ أحمد عبد الغفور عطّار^(٩)، والدكتور إبراهيم السامرائي^(١٠). ((كلّ هؤلاء العلماء الأفاضل، يقتبسون نصّ (المزهري)، ولا يقفون أمام عبارته التي لا يقبلها العقل؛ لأنهم وثقوا فيه!))^(١١).

وحين توقّف الدكتور رمضان عبد التواب أمام هذا النص، قبل نحو أربعين عاماً، رأى أن يراجع من أجله كتب السيوطي اللغوية، محاولة منه للعثور فيها على هذا النصّ مرّة أخرى، إذ تعود ذلك من كثير من المؤلفين، حين يستخدمون النصّ

- (١) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ٦.
- (٢) في كتابه: تهذيب الألفاظ العامية: ٤٢.
- (٣) في كتابه: المعجم اللغوي التاريخي: ١٢ - ١٣.
- (٤) في كتابه: الألفاظ الفارسية المعربة: ٣.
- (٥) في كتابه: القراءات واللهجات: ٢٩.
- (٦) في كتابه: مدرسة الكوفة: ٥٤.
- (٧) في كتابه: دراسات في اللغة: ١١٤.
- (٨) في كتابها: لغتنا والحياة: ٣٢.
- (٩) في كتابه: الفصحى والعامية: ٢٨.
- (١٠) في كتابه: العربية بين أسسها وحاضرها: ٢٢.
- (١١) مناهج تحقيق التراث...: ٧.

الواحد في أكثر من كتاب من مؤلفاتهم لمناسبات شتى، وقد صدق حدسه؛ إذ وجد النص نفسه مرّة أخرى، في كتاب (الاقتراح في أصول النحو) للاسيوطي، وفيه صواب العبارة: ((ولا من تغلب والنمر، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر؛ لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس)). فانظر كيف حُرِّفَت كلمة: (النمر)، فصارت في نشرة المزهري: (اليمن)، كما حُرِّفَت أختها: (النبط) فصارت: (القطب)^(١)؟!

ثانياً: يرى النحاة منذ أيام سيبويه، أنّ (كان) الناسخة، تحذف وحدها أحياناً، وذلك بعد أن المصدرية، في مثل قولك: (أما أنت منطلقاً انطلقت) وأصله - كما يقول النحاة^(٢) - انطلقت لأن كنت منطلقاً، ثم قُدِّمَت اللام، وما بعدها على: (انطلقت) للاختصاص، ثم حذفت اللام للاختصار، وحذفت (كان) لذلك، فتفصل الضمير، ثم زيدت (ما) للتعويض، ثم أدمجت النون في الميم للتقارب.

هكذا يقول النحاة العرب، ويمتثلون على ذلك بقول العباس بن مرداس

السلمي:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَقْرِ فَلَنْ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضُّبُعُ^(٣).

وقول الشاعر:

أَمَّا أَقْمَتَ وَأَمَّا أَنْتَ مُرْتَجِلاً فَاللَّهُ يَكْلَأُ مَا تَلَيْ وَمَا تَذَرُ^(٤).

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((إنّ هذه المسألة مبنيّة على تحريف وقع في بيت العباس بن مرداس السلمي... وهذا يعني أنّ المسألة لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً، وأنّ النحاة وعلى رأسهم سيبويه أو شيوخه قد وقعوا في التحريف في بيت العباس ابن مرداس، وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى، وأنّ صواب رواية البيت:

(١) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ٧.

(٢) ينظر: الخصائص: ٣٨١/٢، ورسالتان في اللغة: ٣٩/١، والمفصل في صنعة الإعراب:

١٠٣/١، والإنصاف في مسائل الخلاف: م(١٠) ١/ ٧١، وشرح شذور الذهب: ٢٤٢.

(٣) الكتاب: ١٤٨/١.

(٤) خزنة الأدب: ٨٢/ ٢.

أبا خراشة إِمَّا كُنْتَ ذَا نَفْرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبْعُ.

هكذا: (إِمَّا كُنْتَ) بدلا من: (أَمَّا أَنْتِ) التي يزعم النحاة منذ أيام سيبويه إن البيت يُروى بها. و(إِمَّا) هذه هي: (إِنْ) الشرطية المؤكدة بما الزائدة، وهي كثير في الكلام العربي، ويأتي بعدها المضارع؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأْيُتَدِّ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ (١)، والماضي كقول الأبيرد الرياحي:

فَلَا يُبْعِدُنَّكَ اللَّهُ إِمَّا تَرَكْنَا حَمِيدًا وَأُودِيَ بِعَدِّكَ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ ((٢))

ويستدل الدكتور عبد التواب على صحة ما يقول بما يأتي: -

١. إن بيت العباس بن مرداس السلمي ((هو البيت الوحيد الصحيح النسبة، بين شاهدي هذه المسألة؛ لأن البيت الثاني يُروى بلا نسبة، كما أنه يحتوي على عبارات إسلامية ظاهرة، مما يدل على أنه مصنوع بعد وضع القاعدة وعلى ضوئها)) (٣).

٢. ((إن بيت العباس بن مرداس يروى كثيرا في غير كتب النحو - التي يقل بعضها عن بعض - بالرواية الصحيحة، وهي: (إِمَّا كُنْتَ). ويكفي أن تُراجع ذلك في كتاب العين للخليل بن أحمد: ٣٣١/١، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري: ١١٠/٢، وتهذيب الألفاظ لأبن السكيت: ٢٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٣/١، ولسان العرب: (خرش) ١٤٣/٨، والاشتقاق لابن دريد: ٣١٣، والشعر والشعراء لابن قتيبة: ٣٤١/١، وشرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب: ٣٤٩/١، والحيوان للجاحظ: ٢٤/٥، ٤٤٦/٦، وغير ذلك)) (٤).

ثالثا: جاء في مخطوطات كتاب: (الاقضاب في شرح أدب الكتاب) للبطلبيوسي، العبارة الآتية: ((وقد اضطربت آراء الكتاب والنحويين في الهجاء، ولم يلتزموا فيه القياس، فزادوا في مواضع حروفا خشية اللبس؛ نحو: واو عمرو، وياء

(١) الأنفال / ٥٨.

(٢) بحوث ومقالات في اللغة: ١٥٦ - ١٥٧، والبيت في: الكامل للمبرد: ١ / ٢١٥.

(٣) بحوث ومقالات في اللغة: ١٥٦.

(٤) المصدر نفسه: ١٥٧.

أوحى، وألف مائة))^(١) وقد ((أسقط عبد الله البستاني من نشرته للكتاب (بيروت - ١٩٠١م - ص/ ١٦٧) عبارة: (وباء أوحى) لأنه لم يفهم المراد منها فيما يظهر!))^(٢).
 فعندما قام الدكتور (حامد عبد المجيد) بتحقيق الكتاب (١٩٨١م - ١٩٨٣م) سأل الدكتور (رمضان عبد التواب) عن الياء الزائدة - زعموا - في: (أوحى)، وكانت تجارب الطبع لهذا الكتاب ماثلة بين يدي الدكتور عبد المجيد! وعندما تأمل الدكتور عبد التواب النصَّ عرف أنَّه أمام تحريفة شنيعة، لم يهتد بسرعة آنذاك إلى كشف النقاب عمَّا وراءها! وعندما ذهب إلى بيته، لم ينم ليلتها إلا بعد أن قلبَ جملةً من المصادر، بحثًا عن صحَّة هذه العبارة المحرَّفة، ووجد بغيته أخيرًا في كتاب: (أدب الكتاب للصولي)، والعبارة فيه: ((وزيدت (الواو) في: يا أَوْحَى، لتفصل بين التصغير وبين الاسم على جهته))^(٣).

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((نحن إذن أمام كلمة: (أخ) مصغرة مضافة إلى ياء المتكلم يزيدون فيها في الخط وأوا عند النداء، فتصير: (يا أَوْحَى) ليفرقوا بينها وبين كلمة: (يا أخي) المكبرة المضافة إلى ياء المتكلم كذلك. ولا أساس للقول بزيادة مزعومة للياء في (أوحى)... وزيادة الواو هنا طريقة قديمة للدلالة على نوع الحركة، لا على كمها، وهذه الطريقة هي التي نسير عليها الآن في كتابة بعض الأعلام الأجنبية بحروف عربية، فزيد فيها وأوا، أو ألفا، أو ياء؛ للدلالة على الضمة أو الفتحة أو الكسرة القصيرات، استغناءً عن الضبط بالحركات القصيرة لهذه الأعلام؛ مثل: (جولد تسيهر) الذي ينطق بضمة قصيرة بعد الجيم، ومثل (بروكلمان) الذي ينطق بفتحة قصيرة بعد الميم، ومثل: (فيشر) الذي ينطق بكسرة قصيرة بعد الفاء، وغير ذلك))^(٤).

وبعد تلك الليلة التي قضاها الدكتور عبد التواب في كشف النقاب عن هذا التحريف أتصل في الصباح الباكر بمحقِّق الكتاب، يزف إليه البشري، ويوضِّح له

(١) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ٢ / ١٢٥.

(٢) مناهج تحقيق التراث...: ١٣٦ الحاشية.

(٣) أدب الكتاب للصولي: ٢٥١.

(٤) مناهج تحقيق التراث...: ١٣٧.

جلية الأمر، ولكّنه فوجئ بالكتاب يصدر بعد ذلك، وفيه آثار التحريف ما تزال باقية، فقد جعل النصّ: (وباء أوْحَيّ) بدلا من: (ويا وأْحَيّ)^(١).

رابعاً: الغمغمة: وهو من ألقاب اللهجات العربية القديمة وينسب هذا اللقب إلى قضاة، وهو من الألقاب التي أبهم اللغويون العرب في تحديدها؛ فقالوا في تعريفه كلاماً عاماً لا يفيدنا؛ يقول المبرد، وهو يشرح كلام الرجل الجرمي أمام معلوية: ((والغمغمة أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف))^(٢). ويقول ابن يعيش: ((الغمغمة أن لا يتبين الكلام. وأصله أصوات الثيران عند الذعر، وأصوات الأبطال عند القتال))^(٣).

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((وفي النفس شيء من هذا اللقب، وأكاد أميل إلى إنّه تحريف قديم لكلمة: (عجعة قضاة)، وقع فيه الجاحظ، ومن جاء بعده، ممن روى خبر الرجل الجرمي أمام معلوية، وحاولوا تفسيره!)^(٤).

وقد قرّر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في دورته الخامسة والأربعين (١٩٧٩م) - بناءً على اقتراح من الدكتور رمضان عبد التواب في لجنة اللهجات بالمجمع - حذف هذا اللقب من ألقاب اللهجات العربية. ونصّ القرار هو: ((لعلّ الغمغمة المنسوبة لقضاة، هي عجعة قضاة عيذها، أصابها التحريف، في خبر الرجل الجرمي. وبناءً على ذلك تحذف الغمغمة، من ألقاب اللهجات، بحيث لا ينسب لقضاة إلا العجعة))^(٥).

خامساً: جاء في كتاب المزهر للسيوطي النصّ الآتي: ((قال ابن دُرستويه في شرح الفصيح: قول العامة: نُدويُّ لُغويُّ على وزن: جَهْلٌ يَجْهَلُ، خطأً أو لغةً

(١) ينظر: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ١٢٥/٢، ومناهج تحقيق التراث...: ١٣٧.

(٢) الكامل في اللغة والأدب: ٢٢١/٢.

(٣) شرح المفصل: ٤٩/٩.

(٤) فصول في فقه العربية: ١٣٨.

(٥) مجموعة المصطلحات - المجاد (٢١) ١٩٧٩م، ص ١٢٤، نقلا عن: فصول في فقه العربية: ١٣٨.

رديئة^(١)) وقال محققو المزهري في هامشه تعليقا على عبارة (نحوي لغوي): ((لم نقف على ضبط هذه العبارة)).

وهذا الذي لم يقف على ضبطه محققو المزهري تكفل به الدكتور رمضان عبد التواب؛ إذ وجد النص المضبوط في: تصحيح الفصيح لابن دُرستويه، وهو قوله: ((فتقول: غوي يَغوي، نحو: جهيل يَجْهَل))^(١).

سادسا: استشهد ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) في شرحه لألفية ابن مالك، على جواز نصب المفعول لأجله، إذا كان محلى بالألف واللام، بقول قريط بن أنيف: فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شئوا الإغارة فرسانا وركبنا^(٢)

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((والبيت على هذه الرواية، التي جاءت في كتاب ابن عقيل، ليس فيه شاهد على هذه المسألة؛ لأن الإغارة مفعول به، وليس مفعولا له. والذي في شعر قريط بن أنيف: (شئوا الإغارة). ويقول التبريزي في تفسيره: (ويروى شئوا الإغارة، أي فرقوها. ومن روى: شئوا الإغارة، فليس الإغارة مفعولا به، ولا انتصابها على ذلك، لكن انتصابها انتصاب المفعول له، أي (شئوا للإغارة) ويبدو - والكلام لعبد التواب - أن ما في كتاب ابن عقيل، تحريف للرواية الأخرى: (شئوا)، وأن المراد: شئوا الخيل للإغارة، وإن كان شرّاح شواهد، كالشيخ عبد المنعم الجرجاوي، والشيخ قطة العدوي، يريان حذف المفعول به هنا أيضا؛ فيقولان: (إن المعنى: شئوا أنفسهم لأجل الإغارة على العدو)، مع أن الذي في المعجم: (شئ الإغارة) أي فرقها، ولم يقل: (شئوا أنفسهم) فيما وقفت عليه من نصوص العربية))^(٣).

فهذا عرض موجز لمقتطفات من معالجات هذا الأستاذ القدير في هذا الميدان. تشير إلى ثقافة عربية فسيحة كان يتمتع بها؛ إذ استدرك ذلك على آثار لها مكانتها

(٦) المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ٢٢٥/١.

(١) تصحيح الفصيح: ١١٩/١، وينظر بحوث ومقالات في اللغة: ١٦٢.

(٢) شرح ابن عقيل: ١٨٩/٢٢.

(٣) بحوث ومقالات في اللغة: ١٥٩.

العلمية العالية في التراث اللغوي، علاوة على أنها قد طُبعت محققة من قِبَل علماء لهم باعٌ طويلٌ في هذا الميدان.

وأما معالجاته في المخطوطات التي حَقَّقها ونشرها فهي غنيَّة عن التعريف بها، ولو تتبعناها هنا لطالت بها الصفحات، ولكن نقول لمن يريد الاستزادة عليه مراجعة تحقيقات الدكتور عبد التواب للكتب التي ذكرناها في الفصل الأول من هذه الرسالة، وسيجد المتفحص لها كم كان هذا المحقق صبورًا وأمينًا ومرهف الحس، يفتن إلى أي سقم في المخطوطات التي يحقِّقها، ويعالجه بأمانة ودقَّة وإخلاص.

المبحث الثالث

جهوده في نقد تحقيق التراث اللغوي

لقد تسرّب التصحيف والتحريف والخطأ والاشتباه إلى عدد كبير من المظان اللغوية والأدبية منذ عصور عدّة، وغدا إصلاح النصوص المزالة عن جبتها وحقيقتها مطلباً عسيراً، لا يتصدى له إلا العارفون المطلعون؛ وبسبب ذلك انبرى الكثيرون من علماء اللغة إلى الكتابة في هذا الباب، وكان أن نشرت كتبٌ كثيرة، هي مظاننا في اللغة والأدب والتاريخ وسائر علوم العربية، ولم يتهيأ لكثير من المحققين أن يفوا بالغرض، فيحكموا النصّ إحكاماً قائماً على الصواب والسداد، فيحفظوا العلم، ويجنبوا الباحثين والدارسين الوقوع في الخطأ والوهم.

وفي هذا المبحث سأبين أمثلة من جهد الدكتور رمضان عبد التواب في الكشف عن أغلاط المحققين وهفواتهم ومناقضاتهم التي مرّت بهم من دون أن ينتبهوا عليها. فابتعدوا بذلك عن الصواب. فقد تعقّب عبد التواب جملة ليست بالقليلة من الكتب ما بين لغة وأدب، واستدلّ على صحّة ما ذهب إليه بالمظانّ اللغوية والأدبية القديمة، وسنعرض لبعض ما تعقّبه على النحو الآتي:-

أولاً: {المزهر في علوم اللغة وأنواعها}:

لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ):-

حقّق هذا الكتاب مجموعة من العلماء الأفاضل، وهم: محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي. ونشروه بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م.

وقد عرض رمضان عبد التواب لمحققي (المزهر) بالنقد والتّقييم، فقال: ((إنّ الكتاب مليء بالجهد، ولكنّه للأسف جهد ضائع؛ لأنّه قام على غير أساس من التحقيق العلمي الدقيق))^(١)، فكانت له جملة من الملاحظات والنقود، والتي يمكن بيئتها على النحو الآتي:

(١) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: ٢٣٠.

١ - إغفال محققى الكتاب الاطلاع على مخطوطات الكتاب: أخذ عبد التواب على المحققين أنهم لم يقوموا ((بالاطلاع على أية مخطوطة من مخطوطات هذا الكتاب الموجودة في مصر وشتى بلاد العالم على كثرتها، بل اكتفوا بعمل الوراق القديم، وهو إعادة طبع الكتاب بالاعتماد على نسخة مطبوعة من قبل))^(١).

إذ قال ناشرو الكتاب في مقدّمتهم له: ((رجعنا إلى دار الكتب، نرجو اطلاعنا على نسخ الكتاب المخطوطة، فأجابنا الثقات فيها أنّ المطبوعة الأميرية لا تختلف في حرف واحد عن النسخ المخطوطة من الكتاب))^(٢). وسخر الدكتور رمضان تواب من قولهم هذا، وقال: ومن المضحك حقاً أن يقول ناشرو الكتاب ذلك، ((فأية نسخ تلك التي يقصدها الثقات في دار الكتب؟ أهي النسخ الموجودة في شتى المكتبات؟ وهل اطّلع الثقات على كل هذه النسخ؟ أم أنهم يقصدون النسخ الموجودة في دار الكتب المصرية؟ وحتى هذه كان يجب أن يطّلع عليها الناشرون!))^(٣).

٢ - الإضافات الكثيرة إلى صلب النص: أذكر الدكتور رمضان تواب على المحققين الإضافات الكثيرة التي أضافوها إلى صلب النص من كتب أخرى^(٤). وقال: إنها بدعة جديدة ابتدعتها ناشرو الكتاب لم نعرفها من قبل في تحقيق النصوص، فقد ((نفهم أن يضيف محقق الكتاب إلى نصّه حرفاً أو لفظاً يقتضيه السياق، ويضعه بين قوسين تنبيهاً على ذلك. أمّا أن يذلل المحقق إلى صلب النص عبارات وجمل كاملة من كتب أخرى، دون^(٥) حاجة إلى ذلك، فهو ما لا نستطيع تعليقه. إنّ المحافظة على نص المؤلف كما كتبه، من أقدس الواجبات في التحقيق، وإذا ارتأى الناشر أن تلك

(١) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: ٢٢٤.

(٢) الجزء ١/، هامش: ص (ب).

(٣) مناهج تحقيق التراث...: ٢٢٤.

(٤) ينظر مثلاً: المزهري...: ١/ ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، وغير ذلك كثير.

(٥) الصواب: من دون.

الإضافات ما يفيد الباحث مكانها في الهامش لا في صلب النص، على أن تكون مختصرة^(١).

٣ - إغفال ضبط بعض العبارات: أخذ الدكتور عبد التواب على محققي كتاب المزهري إغفالهم ضبط بعض العبارات مع وجود الحاجة الماسة إلى ضبطها، وتركهم الإشارة إليها في ذيل الصفحات الموجودة فيها. وأعطى مثلاً على ذلك، قول السيوطي في المزهري: ((فقال أبو عبيد في الغريب المصنّف: لا يعرف في كلام العرب: فعليل ولا فعليل، إنما هو فعليل))^(٢). فقد تركوا ضبط هذه العبارة، يقول عبد التواب: ((ولو رجع الناشر إلى مخطوطات الغريب المصنّف - ومنها نسخة في دار الكتب المصرية - لاستطاعوا ضبطها، وصواب الضبط كما في مخطوطات الغريب المصنّف: (لا يعرف في كلام العرب فعليل ولا فعليل، وإنما هو فعليل))^(٣).

٤ - ضبط بعض الألفاظ خطأ: وجد الدكتور رمضان عبد التواب أن المحققين ضبطوا بعض الألفاظ ضبطاً مغلوطاً مع أنّ المؤلف نفسه قد ضبطها في كلامه؛ فأخذ عليهم ضبطهم لفظتي (الثأداء والدأثناء) الوارديتين في قول المصنّف: ((قال أبو عبيد في الغريب المصنّف: قال الفراء: الثأداء والدأثناء: الأمة. والسحناء: الهيئة، على فعلاء بفتح العين، ولم أسمع أحداً يقول ذلك غيره، والمعروف عندنا بجزم العين))^(٤)، فقال عبد التواب: ((مقتضى كلام المؤلف ضبط الهمزة بالفتح في كلمتي: الثأداء والدأثناء، ولكن محققي الكتاب ظنوا أنّ ضبط المؤلف يرجع إلى كلمة: (السحناء) لا غير؛ ولذلك ضبطوها وحدها بالفتح، وتصدّروا في الكلمتين الباقيتين،

(١) مناهج تحقيق التراث...: ٢٢٥.

(٢) المزهري...: ٤٧/٢.

(٣) مناهج تحقيق التراث...: ٢٢٦.

(٤) المزهري...: ١٣٢/١.

دون(هـ) أن يرجعوا إلى كتاب أبي عبيد نفسه. والنصّ في مخطوطاته كما يلي: (الفرّاء: المسخّاء: الهيئة. والثّأداء: الأمة، هذان على فعلاء بفتح العين. وقال غيره: هُما على مثال: فعلاء بجزم العين. قال والمعروف عندنا بجزم العين)...^(١)).

٥ - الرجوع إلى مصادر ثانوية: ومما أخذَه على المحقّقين رجوعهم في تصحيح العبارة إلى مراجع ثلثوية، مع وجود المصدر الأصلي مطبوعاً؛ فأخذ عليهم رجوعهم إلى (لسان العرب) في تصحيح النصّ الوارد في المزهر: ((وفي الجمهرة: الخطّ: بسيف البحرين وعمان))^(٢). وعلق المحقّقون في حاشية الصفحة نفسها: ((في الأصل: البحر. والتصحيح عن اللسان)). فيقول عبد التّواب: ((وهذه طريقة غير مأمونة العاقبة))^(٣).

٦ - التحريف: وقف عبد التّواب على التحريف في النصّ الوارد في متن المزهر: ((وأبزّت له وهبّزّت له))^(٤)، وتعليق المحقّقين في حاشية الصفحة نفسها، وهو قولهم: ((أبزّ لغة في هبّزّ: إذا مات فجأة، وليس فيما بين أيدينا من كتب اللغة: أبزّ له وهبّزّ له. وفي الأمالي: أنزّت له وهذرتّ له، فهو تحريف)). فيقول عبد التّواب: ((إنّ محققي الكتاب يقرّون التحريف... ويخطّئون المصادر الأخرى الصحيحة... والواقع أنّ: (أبزّت له وهبّزّت له) التي أبقى عليها الناشر هي التحريف. والصحيح ما يوجد في الأمالي؛ قال القالي: (ويقال: أنزّت له وهذرتّ له)^(٥). والدليل على ذلك أنّ السيوطي نقل هذا الموضع من كتاب (الإبدال) - الذي لم يره

(هـ) الصواب : من دون.

(١) مناهج تحقيق التراث...: ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢) المزهر...: ١ / ٤٢٨.

(٣) مناهج تحقيق التراث...: ٢٢٧.

(٤) المزهر...: ١ / ٤٦٢.

(٥) الأمالي: ٢ / ٦٨.

الناشرون - ليعقوب ابن السكيت، كما ذكر هو اسمه. وفي هذا الكتاب نقرأ:
(وقد أترتُ له وهنرتُ له) ((^(١)).

٧- التكرار في العبارات: أخذ عبد التواب على المحققين أنهم كرّروا بعض العبارات التي وردت في المتن، من ذلك مثلاً: ((ويفعل يرنج، ويفعل يرنج لغة))^(١)، فقال: ((وفي الكتاب كذلك بعض العبارات المكررة، التي كان من الممكن إصلاحها، لو اطلع محققو الكتاب على مخطوطاته المختلفة))^(٢).

٨- الأخطاء المطبعية: وجد الدكتور عبد التواب أن الكتاب يحتوي على بعض الأخطاء المطبعية. ومن أمثلة ذلك: ((وفي المرصع: ابنا سديت: وهما رجلا))^(٣) وصحتها: (رجلان)... وغير ذلك كثير كثير؛ فقال ((كان يجب أن تصح في جدول خاص بذلك في آخر كل جزء))^(٤).

٩- الفهارس: فحص الدكتور رمضان عبد التواب الفهارس المنظمة للأعلام والكتب التي نظمها المحققون في هذه الطبعة فتبين له أنها ليست جديرة بالثقة بها؛ ((فقد ذكر محققو الكتاب أرقام صفحات ليس فيها اسم الشخص أو الكتاب المنشود، كما تركوا - على العكس من ذلك - أرقام صفحات ورد فيها اسم هذا الشخص أو ذلك الكتاب))^(٥).

وقد ضرب مثلاً على ذلك لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتابه الغريب المصنف، فوجد ما يأتي:^(٦)

- (٦) مناهج تحقيق التراث...: ٢٢٨.
(١) المزهر...: ٢ / ١٨.
(٢) مناهج تحقيق التراث...: ٢٢٨.
(٣) المزهر...: ١ / ٥٢٢.
(٤) مناهج تحقيق التراث...: ٢٢٩.
(٥) المصدر نفسه: ٢٢٩.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٩ - ٢٣٠.

- صفحات ليس فيها أبو عبيد وذكرت في الفهرس: الجزء الأول / ٨٦، ٥٦٠
والجزء الثاني / ١٢٨، ١٢٩، ١٥٣، ١٧٠، ١٨٣، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٣٦، ٢٥٩،
٣١٦، ٣٢١، ٣٣٠.
- صفحات ذكر فيها أبو عبيد ولم تذكر في الفهرس أرقامها: الجزء الأول /
٩٦، ١٣٢، ٥٦٥، الجزء الثاني / ١٢٦، ٣٨٧، ٣٩٢.
- صفحات ليس فيها الغريب المصنّف وذكرت في الفهرس: الجزء الأول /
٢٧٣، والجزء الثاني / ١٢٧، ٢١٥، ٢٤٠.
- صفحات ذكرت في الغريب المصنّف وليست في الفهرس: الجزء الأول /
٢٨٣، ٥٥٩، ٥٦٤، ٥٦٥، ٦١٥، والجزء الثاني / ١٢٨، ١٢٩، ٢١٤، ٢٩٠،
٣٢٠، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٥٥.

وأخيرًا: قرّر الدكتور عبد التواب: أنّ ((كتاب المزهر - على الرغم من طبعته
الحديثة الأنيقة، والجهد الذي بذل فيه - في حاجة إلى تحقيق من جديد))^(١).

ثانيًا: رسائل في النحو واللغة:-

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة قيمة، تضم ثلاث رسائل في النحو واللغة،
كتاب: (تمام فصيح الكلام) لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، وكتاب: (الحدود في النحو)
للرّماني (ت ٣٨٤ هـ)، وكتاب: (منازل الحروف) للرماني كذلك، ونشره محققًا
المحققان الدكتور مصطفى جواد، ويوسف يعقوب مسكوني.
وقد وقف الدكتور (رمضان عبد التواب) على هذا الكتاب، فقال: ((بذل
المحققان جهدًا كبيرًا في التحقيق والمقابلة، غير أنّهما تعجّلوا في نشر تلك المجموعة
الثمينة، ففاتهما لذلك الشيء الكثير))^(٢). وأخذ على المحققين جملة ملاحظات، نبينها
على النحو الآتي:-

(١) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: ٢٣٠.

(٢) مناهج تحقيق التراث...: ٣٣٢-٣٣٣.

١ - لم يجد المحققان حرجًا في نقل ترجمة ابن فارس عمّا كتبه عنه الدكتور (فيصل دبدوب)، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق^(٣)، وقالوا: ((فقد كفانا الدكتور دبدوب مؤونة التعمق في حياته وأثاره))^(٤). و اقتبسنا ترجمة الرمائي من مقدمة كتاب: (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق الأستاذين: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغول سلام. وقد نتج عن ذلك أنهما لم يلاحظا أخطاء من قبلهما، مثل: الخطأ الذي وقع فيه الدكتور فيصل، حين خلط بين كتاب الشيات (الثياب) والحلي، وكتاب الصاحبى في فقه اللغة، فجعلهما كتابًا واحدًا^(٥).

و فاتهما الإشارة إلى بعض كتب ابن فارس التي لم يذكرها من نقلوا عنه؛ مثل ((كتاب: الأمالي (الذي ذكره معجم البلدان ١/٣٧٥)^(٦))، وفضل الصلاة على النبي ﷺ (الذي ذكر في كشف الظنون ١٢٧٩ وهدية العارفين ١/٦٩)، والمحصّل في النحو (الذي ذكر في كشف الظنون ١٦١٥ وهدية العارفين ١/٦٩)، ومحنة الأريب، والوجوه والنظائر (الذين ذكرا في هدية العارفين ١/٦٩))^(٧).

٢ - لم يصف المحققان مخطوطتي الكتاب اللتين رجعا إليهما في التحقيق وصفًا كاملاً، ولم يعرفا نسخة ثالثة من هذه الرسائل، وهي بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٥٢٣ لغة، وهي مكتوبة في عام ٣٤٥١ هـ، ويرى عبد التواب أنّ مراجعتها كانت ضرورية لتصحيح كثير من الأوهام التي وقعا فيها، والتي ذكر منها عبد التواب سبعة وعشرين خطأ كان صوابه موجودًا في المخطوطة التيمورية، مثل: في ص ١١/١٨: (وَعَوَتِ السَّخْلَةُ). صوابها في مخطوطة التيمورية: (وَعَوَيْتِ)^(٨).

(٣) العدد (٤٢) لسنة ١٩٦٧م: ٢٣٦ وما بعدها.

(٤) رسائل في النحو واللغة: ١١.

(٥) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ٣٣٢ / ٣٣٥.

(*) الجزء الأول / ٢٨٣، في (طبعة دار الفكر - بيروت) التي اعتمدت عليها.

(٦) مناهج تحقيق التراث...: ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٧) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ٣٣٥ - ٣٣٩.

٣ - سقوط عبارات من النصّ، بسبب انتقال النظر فى بعض الأحيان، وقد ذكر عبد التواب سبعة مواضع وقع فىها ذلك، منها مثلاً: ٧/١٨: (وعلىّيت علاء). وفى المخطوط (وعلىّيت فى المكارم علاء)^(٤).

٤ - ذكر الدكتور رمضان عبد التواب أربعة مواضع فىها أخطاء فى المخطوطات كلّها، ولم ينتبه عليها المحققان، ومن أمثلة ذلك: فى ١٢/١٥: ((وگمسن الودك ىگمسن إذا جمد))، كذا فى المخطوطات كلّها، والصواب: ((وگمسن الودك ىگمسن إذا جمد)) كما فى اللسان^(١).

٥ - الخطأ فى فهم بعض عبارات الكتاب، ومحلولة تصحيحها، أو الاعتراض عليها. وقد ذكر عبد التواب ثلاثة مواضع فى الكتاب تشهد على ذلك. نذكر منها مثلاً: ما ورد فى النصّ (١٢/٤٣) عبارة: ((والعلم الذى لا يتعدى إلى مفعولين ما عدا العلم)) علق المحققان عن ذلك فى الحاشية: ((كذا ورد)). ويرى عبد التواب أنّ العبارة صحيحة؛ لأنّ الرمائي يقصد أنّ (العلم) يعبر عنه بكلمات كثيرة، مثل: علم، وعرف، وترى... الخ، وأنّ ما عدا (علم) منها لا يتعدى إلى مفعولين^(٢).

٦ - التحريفات التى وقعت فى الآيات القرآنية الكريمة؛ مثل: فى ١/٥٢: (فالتقطه آل فرعون لى فرعون لى يكون عدواً وحزناً). وصوابه: ﴿فالتقطه آل فرعون لىكون لهم عدواً وحزناً﴾^(٣). وهو كذلك فى المخطوطة^(٤).

٧ - إغفال المحققين ترجمة كثير من الأعلام الواردة فى الكتاب؛ مثل: (على) الواردة فى النصّ (١/٢٥): ((وسمعت علىّيا يقول: سمعت ثعلبنا يقول: سمعت ابن الأعرابي)). وهذا ممّا يشكل؛ فهو (على بن إبراهيم بن سلمة

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٩ - ٣٤٠.

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٠ - ٣٤١، ولسان العرب: (جمن) ٣٤١/٧.

(٢) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ٣٤١ - ٣٤٢.

(٣) القصص / ٨.

(٤) وينظر أمثلة أخرى فى: مناهج تحقيق التراث...: ٣٤٢.

القطّان^(٥) من شيوخ ابن فارس. وقد روى عنه ابن فارس كثيرًا في كتابيه المقاييس والمجمل^(٦)، بهذا السند نفسه.

٨ - إغفالهم تخريج كثير من الشواهد الشعرية، وقد خرّج الدكتور عبد التواب طائفة كبيرة من الشواهد الشعرية؛ إذ بلغ مجموع ما خرّجه أربعة وثلاثين شاهدًا^(٧).

وأخيرًا: يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((فما أظنّ أنّ الأستاذ الجليل، والعالم الكبير، المرحوم الدكتور مصطفى جواد، قد شارك بالفعل في تحقيق هذه الرسائل؛ لأنني أجله عن أن يقع فيما وقعت فيه هذه النشرة من أخطاء، تسمو عنها مكانته العلمية، وقدره المحفوظ بين علماء هذا الجيل))^(٨).

ثالثًا: رسائل في اللغة:-

نشره محققًا الدكتور إبراهيم السامرائي في بغداد سنة ١٩٦٤م، يضم أربعة كتب مهمة في نصوص الأغة. نقد الدكتور رمضان عبد التواب هذا الكتاب، فقال: ((لم يبذل فيه الدكتور السامرائي جهدًا يذكر، بل تعجّل في إخراجه ونشره. ولسنا بذلك نحط من قيمة هذه النشرة، أو نطعن في قدرة الدكتور السامرائي ومكانته العلمية، ولكننا نرى أنه تعجّل، ولو تريث ووقف عند كلّ نصّ يحاول فهمه، ويعرضه على المصادر المختلفة، لجا عملُه متقنًا خاليًا من التصحيف والتحريف))^(٩).

وقد أخذ على المحقق مأخذ كثيرة، وسأعرض بعض الأمثلة من هذه المآخذ على تحقيق كلّ كتاب من الكتب الأربعة التي نشرها السامرائي في مجموعته، وهي على النحو الآتي:-

(٥) ينظر: معجم الأدباء: ٨٢/٤، ونزهة الألباء: ٣٢٠، وبغية الوعاة: ٢/٢٤٢.

(٦) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ٣٤٢.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٣ - ٣٤٧.

(٨) المصدر نفسه: ٣٤٧.

(٩) مناهج تحقيق التراث...: ٢٦٦.

١ - خلق الإنسان، لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) (٤):

وقف الدكتور رمضان عبد التواب عند كتاب (خلق الإنسان) للزجاج بتحقيق إبراهيم السامرائي، فأخذ عليه جملة أمور، سأذكرها على النحو الآتي (٥):

١ - لم يرَ السامرائي كتاب بروكلمان (تأريخ الأدب العربي) ولذلك فإنه ذكر كتب الزجاج المخطوطة التي ذكرها بروكلمان، وهي: كتاب (سر النحو)، و(الإبانة عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم)، و(معاني القرآن)، و(حروف المعاني) و(الشجرة).

٢ - لم يترجم السامرائي للأعلام الواردة في النصّ فوق التصحيف والتحريف في كثير من هذه الأعلام، ومن ذلك: ((أخبرنا الشيخ أبو طاهر أحمد بن عبد الله بن سوار المقرئ)) (١). والصواب - كما يقول عبد التواب -: ((أبو طاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن سوار المقرئ)) (٢).

والحقيقة أن هذا العلم لم يحرف في الطبعة الأولى - مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م)، فقد ورد في النص مثلاً ذكره عبد التواب. ويبدو لي أنّ التحريف قد وقع نتيجة خطأ في الطباعة في كتاب (رسائل في اللغة)، الذي نشر سنة (١٩٦٤ م).

٣ - لم يهتم السامرائي كثيراً بإثبات الفروق بين نسخ الكتاب، أو لعله لم يرَ من هذه النسخ إلا أوراقها الثلاث التي لم ينشر غيرها في الكتاب كله، وإلا كيف يفسر وهمه في ذكر رقم نسخة دار الكتب المصرية وعدد أوراقها، إذ

(٤) طبع سنة ١٩٦٢ م من قبل مطبعة المجمع العلمي العراقي، وقد أعاد نشره ضمن كتاب (رسائل في اللغة) مطبعة الإرشاد - بغداد - ١٩٦٤.

(٥) ينظر: مناهج تحقيق التراث...: ٢٦٦ - ٢٧٦.

(١) رسائل في اللغة: ٨.

(٢) مناهج تحقيق التراث...: ٢٦٧. وأرى أنّ الصواب في هذا هو ((أبو طاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سوار الحنفي البغدادي))، المتوفى سنة (٤٩٦ هـ)، صاحب كتاب (المستتير في القراءات العشر)، دراسة وتحقيق: عمار أمين الدوّ، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب / جامعة بغداد - سنة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- ذكر أنّها (تحت رقم ٣٣٤ و عدد أوراقها ١٥ ورقة)^(١). والصواب - كما يقول عبد التواب - (٢٣٤ مجاميع، وعدد أوراقها ١٣ ورقة).
- ٤ - سقط من النص كلمات وعبارات كاملة نتيجة انتقال النظر في القراءة، ومن أمثلة ذلك: ((يقال جدع الله أنفه، وعبد أكشم وأجدع))^(١). والصواب: ((... جدع الله أنفه، وكشم أنفه، وعبد أكشم وأجدع)، كما في مخطوطة دار الكتب المصرية))^(٢).
- ومن ذلك أيضًا ((والأنامل أطراف الأصابع الأولى من مفاصل كلّ الأصابع يقال لها: الأطرة وجمعها أطُر))^(٣). والصواب: ((... يقال لها من اليدين والرجلين جميعًا. والوترة التي حول الظفر يقال لها: أطرة...)) كما في المخطوط))^(٤).
- ٥ - هناك كلمات وعبارات أخرى سقطت، بسبب انتقال النظر، بل بسبب التهاون في مقابلة النصّ، والعناية بتصحيحه وضبطه، وقد استدرك رمضان عبد التواب ذلك بعد أن قابل النصّ المحقّق على مخطوطة دار الكتب المصرية، مثل: ((وأنا أسمع ذلك في شهر رمضان))^(٥). والصواب: ((وأنا أسمع ذلك في شهر رمضان))^(٦).
- ومن أمثلة ذلك أيضًا: ((ما خرج عن الجسد من الخنصر))^(٧). والصواب: ((ما خرج من الجسد من حدّ الخنصر))^(٨).

(٣) بنظر خلق الإنسان للزجاج: ٧.

(١) المصدر نفسه: ٢٤.

(٢) مناهج تحقيق التراث...: ٢٦٨.

(٣) خلق الإنسان: ٣٦.

(٤) مناهج تحقيق التراث...: ٢٦٩.

(٥) خلق الإنسان: ٧.

(٦) مناهج تحقيق التراث...: ٢٦٩.

(٧) خلق الإنسان: ٤٨.

(٨) مناهج تحقيق التراث: ٢٧٠.

٦ - هناك عبارات حرّفت في النصّ ممّا أدت إلى تشويه النصّ والإضرار به،

مثل: ((والقرع واحدة قزعة))^(١)، والصواب: ((والقرع واحده قزعة))^(٢).

ومن ذلك: ((والبتع شندق العنق))^(٣) والصواب: ((والتبع شدّ العنق))^(٤).

٢- القول في ألفاظ الشمول والعموم والفصل بينهما، لأبي علي أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقي (ت ٢١٤ هـ) :-

وقف الدكتور رمضان عبد التواب عند هذا الكتاب فأخذ على المحقّق جملة

مأخذ سأذكرها على النحو الآتي:-

١ - أهمل السامرائي الرجوع إلى كتاب بروكلمان (تأريخ الأدب العربي) عند

ترجمته للمرزوقي، واعتمد على المقدمة التي صنعها الأستاذ عبد السلام

هارون لشرح ديوان الحماسة للمرزوقي وحدها؛ ولذلك ذكر - على غير

عادته - ((المخطوط من كتب المرزوقي والمطبوع، وأرقام المخطوطات

وأماكنها، وهو ما فعله الأستاذ عبد السلام هارون بترتيبه وعباراته. وإذا

كان الأستاذ عبد السلام هارون قد نسيّ كتابًا للمرزوقي، وهو (غريب

القرآن)، الذي ذكر بروكلمان أنّ منه نسخة بالمدينة المنورة، فلا تعجب

بعد هذا إذا لم نعر، لاسم هذا الكتاب عند الدكتور السامرائي على أثر))^(٥).

٢ - اعتمد السامرائي على نسخة المتحف العراقي ١٣٩٥ ل لغة وحدها في نشر

هذا الكتاب، مع أنّ هناك قطعة من هذا الكتاب برقم ١٤٠، أدب في دار

الكتب المصرية، ممّا جعله غير قادر على أن يقوم ما اعوجّج من نسخة

المتحف العراقي، وقد ذكر الدكتور رمضان عبد التواب في صفحتين

اثنتين خمسة أمثلة من هذا العوج، نذكر منها: ما ورد في النصّ ((ومنها ما

يفيد الشمول في التذكير على وجه، ويفيده في التعريف على وجه))^(١).

(١) خلق الإنسان: ١٣.

(٢) مناهج تحقيق التراث: ٢٧١.

(٣) خلق الإنسان: ٤٤.

(٤) مناهج تحقيق التراث: ٢٧١.

(٥) المصدر نفسه: ٢٧٢.

(١) رسائل في اللغة: ٧٤.

والصواب: ((ومنها ما يفيد الشمول في التكبير...)) كما في قطعة دار الكتب المصرية^(٢).

٣ - لم يقابل السامرائي النصوص بمصادر المنقولة عنها، ممّا أدى إلى خلط النصوص بما ليس منها من عبارات المرزوقي؛ مثل: ((وقال سيويوه: وهذا لفظه الجمع بالألف والتاء، والواو والنون، لثلاث أدنى العدد إلى تعشيره))^(٣). فيقول عبد التواب: ((لو راجع الدكتور السامرائي كتاب سيويوه (٢: ٢٢/١٤١) لعرف أنّ عبارة (هذا لفظه) ليست من كلام سيويوه، وإنما هي من كلام المرزوقي نفسه، يريد من ورائها أنّه ينقل العبارة عن كتاب سيويوه بنصّها))^(٤).

٣- ما يفكر ويؤث من الإنسان واللباس، لأبي موسى سليمان بن محمد الحامض (ت ٣٠٥ هـ):-

هو رسالة صغيرة بإزاء كتب المذكر والمؤنث الأخرى؛ إذ شغل أربع صفحات فقط في نشرة إبراهيم السامرائي ضمن كتاب (رسائل في اللغة) الذي طبع ببغداد سنة ١٩٦٤م. ثم أعاد تحقيقه ونشره الدكتور رمضان عبد التواب سنة ١٩٦٧م. وبعد، فالذي لاحظته عبد التواب في نشرة السامرائي ما يأتي:-

١ - اعتمد على مخطوطتين متأخرتين جدًّا، هما: مخطوطة المتحف العراقي المرقومة (١٤٥٩/ لغة)، وهي من مخطوطات الشيخ محمد بن الشيخ طاهر السماوي، وقد نسخها بخطّ يده، ومخطوطة أخرى في المتحف نفسه وجدها تحت الرقم (١٦٧٧/ لغة)، وهي أيضًا بخطّ السماوي، وقد نسخهما معًا سنة (١٣٣٢هـ). ولم ينتبه السامرائي على مخطوطة الاسكوريال المرقومة (١٧٠٥)، وهي بخطّ الجواليقي اللغوي المشهور (ت ٥٣٩هـ). وهناك ثلاث مخطوطات أخرى لم يعرفها ولم يشر إليها، وهي مخطوطة بايزيد باستانبول المرقمة (٣١٧٨) ومخطوطة عاطف أفندي باستانبول المرقومة (٢٠٠٣)، ومخطوطة دار الكتب المصرية ٢ مجاميع ش. وهذه النسخ

(٢) ينظر: مناهج تحقيق التراث: ٢٧٢- ٢٧٣.

(٣) رسائل في اللغة: ٩٣.

(٤) مناهج تحقيق التراث: ٢٧٤.

جميعها قد اعتمد عليها الدكتور رمضان عبد التواب حين أعاد تحقيق هذه الرسالة^(١).

٢ - ترجم الأسمراني لأبي موسى الحامض ترجمة موجزة غير وافية شملت ستة أسطر فقط. ولم يرجع في ترجمته إلى الفهرست لابن النديم، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، وطبقات النحويين لابن قاضي شهبه الأسدي، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، وغيرها من المظلل التي تعينه على الإلمام بسيرة أبي موسى الحامض^(٢).

٣ - لم يترجم للأعلام الواردة في النصّ على الإطلاق، ممّا أدى إلى بقاء التحريف الحاصل في الأعلام بالمخطوطتين؛ ومن ذلك ((عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري))^(٣) والصواب: ((عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري))^(٤).

٤ - لم ينسب الأبيات التي وردت في النصّ والتي لم تنسب إلى قائلها، على الرغم من شهرتها وورودها في كثير من المصادر الأدبية واللغوية. وقد أدى ذلك إلى إغفال إتمام الأبيات التي ورد شطر منها في النصّ. ومن ذلك: ((وقال الشاعر:.... والعين بالإثمد الحارّي مكحول))^(٥). فلم يعرف الأسمراني أنّ هذا البيت لطفيل الغنويّ، وهو من شواهد كتاب سيبويه وتاممه:

(١) ينظر مناهج تحقيق التراث....: ٢٧٤، والتذكير والتأنيث في اللغة: ٢٠ - ٢٣.

(٢) ينظر مناهج تحقيق التراث....: ٢٧٤.

(٣) رسائل في اللغة: ١٠٥.

(٤) مناهج تحقيق التراث: ٢٧٥، وتتنظر: ترجمته في: تاريخ بغداد: ١٠ / ٢٨٩.

(٥) رسائل في اللغة: ١٠٥.

إذ هي أخوى من الرّبعيّ حاجبه والعين بالإثميد الحاريّ مكحول^(١).
ومن ذلك أيضًا: ((وأنشد: ما حملت عاتقي سيفي...))^(٢). ولو خرّج
السامرائي هذا الشعر لعرف أنّه من بيتين لأبي عمر جدّ العباس بن مرداس
هما:

لا صلح بيني فأعلموه ولا بينكم ما حملت عاتقي
سيفي وما كنا بنجد وما فرقر فرقر الواد بالشاهق^(٣).

٥ - أصاب النصّ سقط بسبب انتقال النظر في القراءة إلى أسفل الأسطور، ولم
ينتبه الأستاذ السامرائي على ذلك. ومن أمثلة ذلك: ((الرأس ذكر والهامة
أنثى، وربما ذكّرت. وفيها عللٌ في تنكيرها. وقال الشاعر: والعين بالإثميد
الحاريّ مكحول^(٤)؛ إذ ليس في هذا الشاهد ذكر للرأس أو الهامة.
والصواب - كما في نشرة عبد التواب أخذًا من نسخة مخطوطة الجواليقي
:- ((الرأس ذكر، والهامة أنثى، والدماغ ذكر والأذن أنثى، والعين أنثى،
وربما ذكّرت...)). وهكذا ترى بعد تصحيح العبارة، أنّ البيت شاهد على
تذكير العين التي ورد ذكرها في النص^(٥).

٦ - لم ينتبه السامرائي على التصحيف الواقع في قسم من المفردات التي وردت
في النصّ. ومن ذلك: (يقال ساعدٌ غَيْلٌ، إذا كان ممتلئًا)^(٦). وصوابه: بخط
واضح في مخطوطة الجواليقي: (يقال: ساعدٌ غَيْلٌ، إذا كان ممتلئًا). هذا
إلى أنّ المعاجم العربية تصف الساعد الممتلئ بالغَيْل. أمّا الغَيْل فهو الذراع
الضخم^(٧).

(١) الكتاب: ١ / ٢٤٠ (بولاقي).

(٢) رسائل في اللغة: ١٠٦.

(٣) لسان العرب: (قمر) ٥ / ١١٥.

(٤) رسائل في اللغة: ١٠٥.

(٥) ينظر: مناهج تحقيق التراث: ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٦) رسائل في اللغة: ١٠٦.

(٧) ينظر: مناهج تحقيق التراث: ٢٧٧ - ٢٧٨.

٧- ترك السامرائي من نصّ الرسالة جزءًا في خاتمتها، بحجة أنّه لا علاقة له بالتذكير والتأنيث. وكان الواجب إثباتها أداءً للأمانة العلمية في التحقيق^(١).

٤ - المسائل و الأجوبة، لابن السيّد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ):-

أخذ الدكتور رمضان عبد التواب على تحقيق السامرائي هذا الكتاب الملاحظات

الآتية:

١ - نشر السامرائي لدقتر ضئيل من هذا الكتاب القيم، فيقول عبد التواب: ((ولسنا ندري، لماذا حررنا الناشر من النصّ الكامل لهذا الكتاب العظيم؟ وما الفائدة من أن ينشر منه جزءًا يسيرًا؟! ألكي يزداد به (رسائل في اللغة فحسب؟))^(٢).

٢ - اعتماد السامرائي في نشرته على مخطوطة حسن حسني الصمادحي - من علماء تونس - وحدها، وهي حديثة الخطّ نسخت عام ١٢٩٩ هـ، بخطّ محمد الطيّب بن إبراهيم الرياحي التونسي، مع إهماله الاتام لندسختين أخريين، واحدة في الإسكوريال برقم (١٥١٨)، والأخرى في جامع القرويين برقم (١٢٤٠)^(٣).

٣ - برغم زعم المحقق أنّه رأى كتاب بروكلمان، فإنّه لم يعرف أنّ بعض الكتب التي ذكرها للبطليوسي، ما يزال مخطوطًا، مثل: كتاب (المثلاث)^(٤)، و (شرح سقط الزند للمعري)، و (الحروف الخمسة)^(٥)، و (الحلّ ل في شرح أبيات الجمل)^(٦). كما أنّه لم يعرف كتاب: (الاسم والمسمى) وهو

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٨.

(٢) مناهج تحقيق التراث: ٢٧٨.

(٣) ينظر: مناهج تحقيق التراث: ٢٧٩.

(٤) نشره محققًا (صلاح مهدي الفرطوسي) في بغداد ١٩٨١ م.

(٥) نشره محققًا (حمزة النشترتي) باسم (ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة) بالقاهرة سنة ١٩٨٣ م.

وكان قد حققه قبل ذلك الدكتور علي زوين ضمن رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الآداب -

جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦ م، التي طبعت فيما بعد ببغداد باسم (الفرق بين الحروف الخمسة).

(٦) نشره محققًا الدكتور (مصطفى إمام) بالقاهرة ١٩٧٩ م.

مخطوط آخر للبطلبيوسي. وكلّ ذلك ذكره بروكلمان في كتابه: (تأريخ الأدب العربي)^(١).

٤ - تعليق المحقق في الحاشية على أبياتِ دَكرِ البطلبيوسي، أنّ أبا تمام أنشدها في الحماسة لرجل من فقّيس، أنّه ((لم ترد الأبيات في حماسة أبي تمام إلى أيّ من الفقّيسين))^(٢)، وهي في حماسة أبي تمام ٢٢٩/١ رقم ٥٧ من شرح المرزوقي.

وفي الصفحة نفسها يرد النصّ الآتي: ((وقال ربيعة بن مفرغ، في نحو من هذا الشعر، أنشده أبو تمام:

وكم من حاملٍ لي ضدبٌ ضيغٍ بعيد قلبه حلو اللسان)).

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((ووبدلاً من أن يحدث الدكتور في حماسة أبي تمام عن هذا الشعر - وهو هناك لـ (ربيعه بن مقروم) في الحماسية رقم (٤٠٧) من شرح المرزوقي ١٣٥/٣ - طاق في الحاشية على ربيعة بن مفرغ (المحرّفة) بقوله: الصحيح هو: يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ. انظر: الخزانة: ٢/ ٢١٢، وإرشاد الأريب ٧/ ٢٩٧، والشعر والشعراء ٢١٩، فأكثر الدكتور السامرائي من ذكر مصادر ترجمة (ابن مفرغ)، ولم يدرك أنه تحريف: (ابن مقروم))^(٣).

٥- استهانة السامرائي تماماً بمقابلة النصوص بمصادرهما، فيقع لذلك في سلسلة طويلة من الأخطاء والتحريفات، مثل: في نصّ نقله البطلبيوسي عن ابن قتيبة في (أدب الكاتب): ((وإذا اجتمعت الظنّ والمعز وكثرتا، قيل لها

(١) ينظر مناهج تحقيق التراث: ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) رسائل في اللغة: ١٥٢ هامش ١.

(٣) مناهج تحقيق التراث: ٢٨٠.

ثلاثة))^(٤). وأن الصواب في أدب الكاتب^(٥): (ثَلَاثة) لا (ثلاثلة). وكذلك أخذ عليه أخطاءً في ثمانية مواضع نتيجة تغاضيه كتب الأمثال^(٦).
٦ - الكثير من التصحيقات والتحريفات في النص سببها عدم توخي الدقة في التحقيق. ذكر منها عبد التواب أحد عشر تصحيحاً وتحريفاً في تسع صفحات فقط من الكتاب^(١).

رابعاً: العُمد في التصريف لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ):-

وهو كتاب صدر بتحقيق الدكتور (البدر اوي زهران)، وقد تصفح الدكتور رمضان عبد التواب هذا الكتاب، فأخذ على المحقق جملة من المآخذ، نتلونها على النحو الآتي^(٢):-

١- وجد الدكتور رمضان عبد التواب أن كتب التراجم تذكر هذا الكتاب من بين مؤلفات عبد القاهر الجرجاني باسم (العُمد في التصريف) وليس (العُمد في التصريف) كما جاء به المحقق، وقد ذكر عدداً من التراجم التي رجع إليها وهي: بغية الوعاة، ١٠٦٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥ / ٥، وطبقات المفسرين للداوودي ١ / ٣٣١، ووفيات الأعيان ١ / ٦١٣، وشذرات الذهب ٣ / ٣٤٠، وطبقات ابن قاضي شهبة الأسدي ٢ / ٩٢، وكشف الظنون ٢ / ١١٦٩، وهدية العارفين ١ / ٦٠٦.
أما المحقق فيزعم أن في العنوان تصحيحاً؛ إذ يقول في الصفحة الخامسة من الكتاب: ((كيف يكون العُمد في التصريف، وهو ليس الأصل، وليس المرجع، وليس الغاية، وليس النهاية))، ثم يسوق المسوّغ لاختيار العنوان الذي جاء به من عنده فالكتاب ((بنصّ عبارته جملة من القول في التصريف، كل جملة هي أساس وركيزة، أو هي عمود من أعمدة

(٤) رسائل في اللغة: ١٥٦.

(٥) ينظر: أدب الكتاب: ١١٤.

(٦) ينظر: مناهج تحقيق التراث: ٢٨١ - ٢٨٢.

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٢) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ٢٥١ - ٢٨٢.

التصريف، فالكتاب يقدم ركائز وأسس علم التصريف، أو يضع عمده أو أعمدته، فهو العمُد وليس العمدة))^(٣).

وعندما قال عبد القاهر الجرجاني، في أول كتابه هذا: ((هذه جُمَل من القول في التصريف))^(١) علق المحقق على ذلك في الهامش بقوله: (لهذه الكلمة أهميتها، فعلى نحو ما بدأ كتابه (الجُمَل) بقوله: (هذه جمل رتبتيها ترتيبيًا قريبًا...) بدأ هنا كتابه هذا بقوله: (هذه جمل من القول في التصريف)، وهذه الأسس هي عمُد فن التصريف)). وعلق الدكتور رمضان عبد التواب على كلام المحقق هذا، قائلاً: ((وإذا كان الدكتور البدرائي، يتمادى على تبرير فعلته على هذا النحو، الذي لا يوافق عليه أحدٌ ممن تمرّس بفنّ التحقيق، و عرف توثيق عنوان الكتاب، فإني أسأله بكلّ حبّ وإخلاص، فأقول له: لماذا لم تطالب بتغيير اسم كتاب (الجمل) إلى (العمُد) كذلك؟، ما دمت تستخدم هذا التسلسل الدلالي التلازمي))^(٢).

٢ - تتبّع الدكتور رمضان عبد التواب ثلاثة وخمسين موضعاً صحّحت وحرّفت ألفاظها^(٣). من ذلك لما وقف على النصّ (٥/١٢٢): ((وَحَصَّنَتِ الْمَرْأَةَ فِيهِ حَصَانٌ))، فذكر صوابه: ((وَحَصَّنَتِ الْمَرْأَةَ فِيهِ حَصَانٌ)). ثم قال: ((وقد تابع البدرائي ما في المخطوطة من التصحيف، وهو مخالف لما في المعاجم))^(٤).

٣ - تتبّع الدكتور رمضان عبد التواب الاسقط الحاصل في قول المصنّف في ثمانية عشر موضعاً ولم ينتبه عليه المحقق^(٥).

٤ - أخذ على المحقق تصحيح بعض الأخطاء في المخطوطة من دون إشارة إلى ما في المخطوطة^(١).

(٣) دراسات وتعليقات في اللغة: ٢٥٣.

(١) ص ١١٩، نقلاً عن المصدر نفسه: ٢٥٤.

(٢) دراسات وتعليقات في اللغة: ٢٥٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٦ - ٢٦٤.

(٤) المصدر نفسه: ٢٥٨.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٤ - ٢٦٦.

- ٥ - لم يفتن المحقق إلى أنّ هناك زيادات لازمة لإقامة النصّ.
- ٦ - وهناك جملة أمور أخرى أخذها عبد التواب على المحقق منها وضعه زيادات توضيحية بين أقواس في متن الكتاب وليس في الحاشية، وهناك نقول في حواشيه، لم يذكر مصدرها الأصلي، والتزيّد الذي لا مسوّغ له في حواشي التحقيق، وفهمه للنصوص فهمًا خاصًا وتحميلها فوق ما تحتمل، وإغفال الدقّة في النقل عن المصادر، وترك شرح ما كان ينبغي شرحه، وأخطاء الإملاء في بعض المواضع، وكذلك الاضطراب في وضع علامات الترقيم، وغيرها من المآخذ^(١).
- وهذه الأمثلة التي اخترناها من بين جهود كثيرة قام بها هذا المحقق الفذ، في نقد التحقيق، لتكشف عن مكانته العلمية العالية في هذا الميدان؛ إذ وجدناه ينقد ويقوم ويصحّح مستدرّجًا على ما غفل عنه أكابر العلماء في هذا الفنّ.
- ويُزادُ على ذلك أنّه على الرغم من كثرة الجهود التحقيقية للدكتور رمضان عبد التواب فإننا لم نجد نقدًا ذا بالٍ يؤخذ عليه، ويوجّه على عمله التحقيقي.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٧.

(١) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ٢٦٩ - ٢٨٢.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة التي قضيتها مع الأستاذ الدكتور (رمضان عبد التواب وجهوده في اللغة)، تجلّى لنا بوضوح أنّه كان علماً من أعلام النهضة والتنوير في مصر والعالم العربي، الذين آثروا الحياة العلمية في القرن العشرين، إذ هو عالم ضليع من علماء اللغة المعاصرين، تنوّعت بحوثه وتأليفه على وفق مناهج البحث اللغوي الحديث، بل هو الفارس المجتلي في ميدان الدراسات المقارنة؛ لإحاطته الواسعة والعميقة باللغات السامية (الجزرية)، فكشف اللثام عن كثير من أسرار اللغة العربية الفصحى ولهجاتها.

ولأهمية هذه الشخصية العلمية الثرة اتخذتُ منه عنواناً لكتابي هذا. فجاء في خمسة فصول، وكان الأول من فصول الكتاب في (حياته وأثاره العلمية) أمّا الفصل الثاني فكان في مناهج اللسانيات الحديثة وتطبيقات المنهج المقارن في دراساته وبحوثه اللغوية. وقد عُيّنَ الفصل الثالث بجهوده في دراسة اللهجات العربية. أمّا الفصل الرابع فتضمّن جهوده في دراسة اللغة في ذاتها، تناولت فيه جهوده الصوتية والصرفية والدلالية. وجاء الفصل الخامس وهو الأخير مهتمّاً بجهوده في تحقيق التراث اللغوي ونقده.

هذه نبذة مختصرة من محتويات الكتاب. أمّا النتائج التي توصلت إليها فيمكن بيان أبرزها على النحو الآتي:-

- ١ - بيّنت هذه الرسالة السمات الرئيسية لشخصية هذا العالم وسيرته، وكشفت عن موقعه ومكانته العلمية بين علماء اللغة المعاصرين الذين اهتموا بالدراسات اللغوية؛ إذ أفضت في ذلك؛ لأنّ هذه الشخصية اللغوية البارزة لم يتناولها أحدٌ من الدارسين - بحسب علمي - في الجامعات العراقية في أقل تقدير.

- ٢ - إنَّ ثقافة الدكتور رمضان عبد التواب ثلاثية التركيب: ثقافة مصرية، وأوروبية وعربية؛ وقد مكَّنته هذه الممازجة في الثقافة من التصدي إلى المشكلات التي عاشتها اللغة العربية وعانت منها.
- ٣ - إنَّ هاجس النشر، كان ملازمًا للدكتور عبد التواب ممَّا جعل القارئ يسجِّل عليه بعض المآخذ المنهجية في تأليفه. فالتكرار في قسم منها ظاهرة بارزة، فضلاً عمَّا نجده من مظاهر الاعتداد بالنفس في مقدمات تلك المؤلفات.
- ٤ - تمَّ في هذه الرسالة إحصاء جميع ما ألفه وحققه وترجمه عن اللغات الأجنبية، وقد بلغت (٥٩) كتابًا، وما نشره من بحوث ومقالات في المشرق والمغرب، وقد بلغ ثلاثين و مائة بحثٍ ومقالٍ. وهذا الجهد الواسع والكبير ينمُّ عن تضلُّعه في أفانين اللغة العربية ورحابها الواسعة، وفهم ثاقب لأمرارها اللغوية، ودقائقتها البليغة، ولم يتخصَّص في مجال لغوي واحد فحسب بل برع في المجالات اللغوية المختلفة، وذلك ينمُّ عن عقلية متفتحة، وثقافة واسعة. كانت حصاد سنين عديدة قضاهها بالبحث والدراسة لم تختتم إلا بوفاة.
- ٥ - قام الدكتور رمضان عبد التواب بالكشف عن السر في كتابة بعض الكلمات بالهمز وهي في الأصل غير مهموزة ، وبهذا الكشف انتفى البحث الصعب عن مسوغ صوتي لانقلاب الواو والياء همزة في بعض أمثلة العربية وأحلَّ محله قانون القياس الخاطئ والحذقة كما اصطاح عليهما.
- ٦ - كان الدكتور رمضان عبد التواب من أوائل اللغويين العرب المعاصرين الذين أفادوا من المناهج اللغوية الحديثة، ودرسوا العربية في ضوءها، فخلصوا من دراساتهم إلى آراء ناضجة، صحَّحت أوهام اللغويين القدماء، وحلَّت كثيرًا ممَّا استغلق من الظواهر العربية في الأصوات والمفردات والتراكيب والظواهر اللغوية الأخرى.

٧ - أثبت الدكتور رمضان عبد التواب أن التنوين في الأعلام لتتكبيرها، لأن في كل علم شيء من الشبوع، وإن كان أقل من شبوع الذكرة؛ إذ كثيرون يسمون بمحمدٍ وعليٍّ وغيرهما، فالتنوين في الأعلام للدلالة على هذا الشبوع النسبي؛ ولذلك نراه يزول عندما يوصف العلم بكلمة (ابن)؛ لأن الدائرة قد ضاقت بهذا الوصف، وأصبح العلم محدّدًا غاية التحديد، وكذلك عندما يتحدّد تعريف العلم تحديداً قاطعاً بالنداء، مُنَعِ التّنوين؛ كقولنا (يا محمد).

٨ - أعطانا الدكتور رمضان عبد التواب فكرة جيدة عن حركة التطور اللغوي؛ إذ إن الظاهرة اللغوية تبدأ جديدة وغريبة على المجتمع اللغوي، ثم يحدث الصراع بين أنصار الشكل القديم، وأنصار الشكل الجديد وبعد مدة يصبح قديماً ما كان بالأمر جديداً، فيتصارع مع جديد آخر، وتضمحل لغة العصر الأسبق أو تندثر، بيد أن كل جديد لا يظهر فجأة، ولا يقضي على القديم بين يوم وليلة، بل يظل الصراع بينهما لفترة قد تطول أو تقصر، غير أن الانتصار يكون في النهاية للشكل الجديد.

٩ - بينت الدراسة أن جهود الدكتور رمضان عبد التواب في مجال التطور اللغوي واسعة ومتشعبة، فيها آراء قيمة في مظاهر التطور اللغوي وقوانينه؛ إذ يمكن أن تكون دراسة مستقلة بذاتها.

١٠ - أبرزت الدراسة جهوده في مجال دراسة اللهجات العربية القديمة، وأثبتت أن اللهجات المعاصرة - عند عبد التواب - لا تمثل انحطاطاً لغوياً بقدر ما تمثل تطوراً أصاب اللهجات العربية القديمة بدليل أن طائفة من الخصائص اللهجية القديمة ما تزال تعيش في اللهجات العربية المعاصرة.

١١ - ناقشت هذه الدراسة الآراء اللغوية التي جاء بها رمضان عبد التواب، في المجال الصوتي والصرفي والدلالي بعد عرض جملة منها، فخلص من ذلك كله إلى آراء علمية سديدة أفادت اللغة العربية، وعُدّت إضافة إلى

البحث اللغوي القديم. وتبيّن أنّ عبد التّواب قد عني بالدراسات اللغوية أكثر ممّا عني بالمباحث النحوية

١٢- إنّ الدكتور عبد التّواب ليس من التّراثيين الذين يؤمنون بأنّ اللغويين العرب القدامى قد سبقوا إلى كلّ شيء، وأنّ الله ليس بالإمكان أبدع ممّا كان، بل هو ممن يدعون إلى أن نفتح عيوننا على كلّ جديد، وأن ندرسه ونتأمّله ونأخذ منه ما يفيدنا.

١٣- الدكتور رمضان عبد التّواب أوّل من ربط جهود المحدثين بجهود القدامى من علماء العربية في فنّ التحقيق، وبذلك ردّ ما استقرّ في أذهان بعض الدارسين من أنّ هذا الفنّ وافدٌ علينا من الغرب.

١٤- نهج الدكتور رمضان عبد التّواب بتحقيق التراث منهجاً يقوم على الاستقصاء في التّخريج، حتى أصبحت له مدرسة تعرف في الوسط العلمي بالمدرسة الرمضانية في تحقيق التراث العربي. وإنّ قدرة عبد التّواب على التّمعن والدقّة والإتقان مع سعة الثقافة التي يمتلكها مكنته من أن يكون علماً في مجال تحقيق النصوص ونشرها، فهو ذو علم واسع وخبرة فائقة في هذا المجال.

١٥- بيّنت هذه الدراسة جهد عبد التّواب في الكشف عن أغلاط المحقّقين وهفواتهم ومناقضاتهم التي مرّت بهم من غير أن ينتبهوا عليها، فابتعدوا بذلك عن الصواب. علاوةً على أنّنا لم نجد نقدًا ذا بال يوجّه إلى تحقيقاته، وذلك ينمّ عن مكانته العلمية العالية بين علماء عصره من المحقّقين وأنه ضليع في عمله اللغوي.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين. والله أسألُ أن يتقبّل عملي هذا بأحسن القبول وأنّ ينفع به إنّه نعم المولى ونعم النصير...

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

* المخطوطة:

١. محاضرات في علم الصرف: إعداد الدكتور رمضان عبد التواب، وهي مخطوطة بخط يده بالقاهرة سنة ١٩٩٦م، حصلت عليها من أبنائه (كمال، وعمرو، وإيمان) سنة ٢٠٠٦م بوساطة إحدى زميلاتي في الدراسة.

* المطبوعة:

٢. أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: رشيد العبيدي، بغداد، ١٩٨٨م .
٣. الإبدال: لأبي الطيّب اللغوي (ت ٣٥١هـ)، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق ١٩٦٠م.
٤. الإبدال والمعاقبة والنظائر: أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٩هـ)، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق، ١٩٦٢م.
٥. أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية: علي جابر المنصوري، ط ١، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٧م .
٦. أثر القرآن في تطوّر النقد الأدبي: محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.
٧. الإحكام في أصول الأحكام: لأبن حزم الأندلسي (ت ٥٦٤هـ)، مطبعة الإمام، القاهرة، (د. ت).
٨. أخبار النحويين البصريين: لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه الزيني، القاهرة، ١٩٥٥م.
٩. الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة: هاشم الطعان، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.

١٠. أدب الكاتب: لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تحقيق: يوسف البقاعي، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م.
١١. أدب الكتاب: للصولي، تصحيح: محمد بهجة الأثري، القاهرة، ١٣٤١هـ.
١٢. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: مرجلويوت ليدن، لندن، ١٩٠٧ - ١٩٢٦م.
١٣. إزالة القيود عن ألفاظ المقصود في فن الصرف: عبد الملك عبد الرحمن السعدي، ط ٢، دار الأنبار للطباعة والنشر، ١٩٩٣م.
١٤. الأزهية في علم الحروف: للهروري (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دمشق، ١٩٧١م.
١٥. أسس علم اللغة: لماريو پاي، ترجمة: أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ١٩٩٣م.
١٦. الأشباه والنظائر: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ط ٢، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٩هـ.
١٧. الاشتقاق: لابن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٨م.
١٨. الاشتقاق: لعبد الله أمين، القاهرة، ١٩٥٦م.
١٩. الاشتقاق والتعريب: عبد القادر المغربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧م.
٢٠. الإصابة: لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
٢١. الأصمعيات: اختيار الأصمعي (٢١٦هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط ١، دار المعارف، بمصر ١٩٦٤م.
٢٢. أصوات العربية بين التحوّل والثبات: حسام سعيد النعيمي، جامعة بغداد، ١٩٧٩م.
٢٣. الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ط ٤، مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٧١م.

٢٤. أصول التفكير النحوي: علي أبو المكارم، منشورات الجامعة الليبية، دار العلم، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٥. الأصول في النحو: لابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين القتلي، بغداد ١٩٧٣م.
٢٦. أصول نقد النصوص ونشر الكتب: لبرجشتراسر، إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، القاهرة، ١٩٦٩م.
٢٧. الأضداد: لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٠م.
٢٨. الأضداد في اللغة: محمد حسين آل ياسين، ط ١، مطبعة المعارف، بغداد ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٢٩. الأفعال: أبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطائع الصقلي (ت ٥١٥هـ) ط ١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣م.
٣٠. الاقتراح في علم أصول النحو: لجلال الدين السيوطي، حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٦٠هـ - ١٣٦١هـ.
٣١. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: لابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، تحقيق: حامد عبد المجيد، القاهرة، ١٩٨١م - ١٩٨٣م.
٣٢. الألفاظ الفارسية المعربة: لأدي شير، بيروت، ١٩٠٨م.
٣٣. ألف باء: لأبي الحجاج البلوي (ت ٦٠٤هـ)، القاهرة، ١٢٧٨هـ.
٣٤. الأمالي: لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، دار الكتب، بالقاهرة ١٩٢٦م.
٣٥. أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقہ: للإمام السهيلي (ت ٥٨١هـ) تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٣٦. الأمالي الشجرية: لابن الشجري هبة الله بن علي (ت ٥٤٢هـ)، حيدر آباد الدكن، بالهند، ١٣٤٩هـ.
٣٧. الأمثال: لأبي فيد المورج السنوسي (ت ١٩٥هـ)، تحقيق: أحمد محمد الطيب، القاهرة، ١٩٧٠م.

٣٨. الأمثال: لأبي فيد الأمورج السدوسي، تحقيق: رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٧١م.
٣٩. الأمثال العربية القديمة: المستشرق الألماني رودلف زلهيم، ترجمة وتحقيق: رمضان عبد التواب، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
٤٠. إنباه الرواة على أنباه النحاة: لجمال الدين القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط ١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
٤١. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: لأبي البركات الأدباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦١م.
٤٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٩١هـ) إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٤٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٦، دار الندوة الجديدة، لبنان ١٩٦٦م.
٤٤. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل: لأبي بكر بن الأدباري (٣٢٨هـ) تحقيق: محيي الدين رمضان، دمشق، ١٩٧١م.
٤٥. البارع في اللغة: لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ) تحقيق: هاشم الطعان، بيروت ١٩٧٥م.
٤٦. البحث اللغوي: محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، القاهرة، (د. ت).
٤٧. البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: أحمد مختار عمر، ط ٦، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م.
٤٨. البحث النحوي عند الأصوليين: مصطفى جمال الدين، بغداد، ١٩٨٠م.

٤٩. البحر المحيط: أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيّان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض (د.ت).
٥٠. بحوث ومقالات في اللغة: رمضان عبد التواب، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨م.
٥١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط ١، مطبعة عيس الببلي الحلبي وشركاه، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
٥٢. البلاغة: لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط ١، دار مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٥م.
٥٣. البلدان: لليعقوبي (ت ٢٨٤هـ)، النجف الأشرف، ١٩٧٥م.
٥٤. البلاغة في الفرق بين المذكر والمؤنث: لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦م.
٥٥. البيان والتبيين: لأبي عمرو الجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٥٠م.
٥٦. تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، ط ٤، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٤م.
٥٧. تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، ترجمة: الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور رمضان عبد التواب والدكتور السيد يعقوب بكر، القاهرة، ١٩٥٩م - ١٩٧٧م.
٥٨. تاريخ بغداد أو مدينة السلام: للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، القاهرة، ١٩٣١م.
٥٩. تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري): لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٠ - ١٩٧٠م.
٦٠. تاريخ العربية: إبراهيم السامرائي، المركز الثقافي في جامعة الموصل، ١٩٧٧م.
٦١. تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين: جورج مايبه، ترجمة: بدر الدين القاسم، دمشق، ١٩٧٢م.

٦٢. تاريخ اللغات السامية: إسرائيل ولفنسون، ط ١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.
٦٣. تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ)، دار صادر، ١٩٦٠م.
٦٤. تحفة الأدباب في النحو والصرف والإعراب: رمضان عبد التواب ورجب عثمان، دار الفردوس للطباعة، منشية السدّ العالي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٦٥. تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره: عبد المجيد ذياب، القاهرة، ١٩٨٣م.
٦٦. تحقيق الذصوص ونشرها: عبد السلام هارون، ط ٢، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٥م.
٦٧. التذكير والتأنيث في اللغة، مع تحقيق رسالة أبي موسى الحامض في المذكر والمؤنث: رمضان عبد التواب، ط ١، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٦٧م.
٦٨. الترادف في اللغة: حاكم مالك لعبيي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
٦٩. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ)، تحقيق: محمد كامل بركت، القاهرة، ١٩٦٧م.
٧٠. تصحيح التصحيف وتحريير التحريف: صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: السيد الشرقاوي، ط ١، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م.
٧١. تصحيح الفصيح: لابن درُستويه (ت ٣٤٧ هـ)، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد، ١٩٧٥م.
٧٢. التصوّر اللغوي عند الأصوليين: السيد أحمد عبد الغفار، ط ١، دار عكاظ، جدّة، ١٩٨١م.
٧٣. التضاد في ضوء اللغات السامية: ربحي كمال، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٥م.
٧٤. التطوّر اللغوي التاريخي: إبراهيم السامرائي، ط ٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م.
٧٥. التطوّر اللغوي، مظاهره وعمله وقوانينه: رمضان عبد التواب، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٣م.

٧٦. التطور النحوي للغة العربية: المستشرق الألماني برجشتراسر: أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٤م.
٧٧. التعريفات: محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، مطبعة الطائي، القاهرة، ١٩٣٨م.
٧٨. التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام: للإمام السهيلي (ت ٥٨١هـ)، القاهرة، ١٩٣٨م.
٧٩. تفسير أسماء الله الحسنى: لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقلق، بيروت، ١٩٨٦م.
٨٠. التلخيص في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، ط١، مصر، ١٩٠٤م.
٨١. التمهيد: لأبي يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
٨٢. التنبيه على حدوث التصحيف: حمزة بن حسن الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بغداد، ١٩٦٧م.
٨٣. تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين بن مري بن حزام (ت ٦٧٦هـ) ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
٨٤. تهذيب الألفاظ العامية: محمد علي الدسوقي، القاهرة، ١٩١٣م.
٨٥. تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، القاهرة، ١٩٦٤م - ١٩٦٧م.
٨٦. التوطئة: لأبي علي الشلوبين (ت ٦٤٥هـ)، تحقيق: يوسف أحمد المطوع، القاهرة ١٩٧٣م.
٨٧. التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، استنبول، ١٩٣٠م.

٨٨. ثلاثة كتب في الأضداد: للأصمعي والسجستاني وابن السكيت، تحقيق: أوغست هفنز، مطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م.
٨٩. ثلاثة كتب في الحروف: للخليل وابن السكيت والرازي، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط ٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٩٥م.
٩٠. جامع البيان عن تأويل أي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) دار الفكر، (د. ت.).
٩١. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد أبو عبد الله القرطبي (٦٧١هـ) تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط ٢، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
٩٢. جمهرة أنساب العرب: لأبن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٢م.
٩٣. جمهرة اللغة: لابن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) تحقيق: كرنكو، حيدر آباد الدكن، بالهند، ١٣٤٤هـ - ١٣٥١هـ.
٩٤. الجنى الداني في حروف المعاني: للمرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، حلب، ١٩٧٣م.
٩٥. الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري: عفيف عبد الرحمن، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.
٩٦. الأحروف: لأبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ) تحقيق: مدسن مهدي، بيروت، ١٩٦٩م.
٩٧. الحلل في شرح أبيات الجمل: لابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، تحقيق: مصطفى إمام، القاهرة، ١٩٧٩م.
٩٨. الحيوان: للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر (د. ت.).
٩٩. خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي (ت ١٠٨٩هـ)، بولاق، ١٢٩٩هـ.

١٠٠. الخصائص: لابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م - ١٩٥٦م.
١٠١. خصائص العربية في الأسماء والأفعال، دراسة لغوية مقارنة: إسماعيل أحمد عميرة، ط ٢، دار حنين، عملن، ١٩٩٢م.
١٠٢. الخطب والمواعظ: لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٦م.
١٠٣. خلق الإنسان: أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٢م.
١٠٤. دراسات في الأدوات النحوية: مصطفى النحاس، ط ٢، شركة الربيعين للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
١٠٥. دراسات في علم اللغة (القسم الأول): كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م.
١٠٦. دراسات في علم اللغة (القسم الثاني): كمال محمد بشر، ط ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
١٠٧. دراسات في فقه اللغة: صبحي الصالح، ط ٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م.
١٠٨. دراسات في اللغة: إبراهيم السامرائي، ط ١، مطبعة العاتي، بغداد، ١٩٦١م.
١٠٩. الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: محمد حسين آل ياسين، ط ١، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠م.
١١٠. الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين: عبد الجبار جعفر القزاز، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.
١١١. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
١١٢. دراسات وتعليقات في اللغة: رمضان عبد التواب، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٤م.

١١٣. دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ط ٤، دار الكتب، القاهرة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
١١٤. دراسة اللهجات العربية القديمة: داود سلوم، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٩٧٦ م.
١١٥. درة الغواص في أو هام الخواص: لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦ هـ) طبعة بالأوفسيت عن طبعة لايبزك (١٨٧١ م)، مكتبة المثنى، بغداد.
١١٦. دروس في علم أصوات العربية: جان كلنتيو، ترجمة: صالح القرماذي، تونس ١٩٦٦ م.
١١٧. دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ط ٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦ م.
١١٨. دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة: كمال محمد بشر، ط ٣، القاهرة ١٩٧٣ م.
١١٩. ديوان الأعشى (الصبح المنير في شعر أبي بصير): للابديعي، تحقيق: جابر، لندن، ١٩٢٨ م.
١٢٠. ديوان امرئ القيس: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٨ م.
١٢١. ديوان حاتم الطائي: تحقيق: شولتهس، لبيزج، ١٨٩٧ م.
١٢٢. ديوان ذي الرمة: عنّي بتصحّحه وتنقيحه: كارليل هنري مكارتي، مطبعة كلية كمبردج، ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م.
١٢٣. ديوان زيد الخيل الطائي: تحقيق: نوري حمودي القيسي، النجف الأشرف، ١٩٦٨ م.
١٢٤. ديوان الطرماح: تحقيق: عزة حسن، دمشق، ١٩٦٨ م.
١٢٥. ديوان العباس بن مرداس السلمي: تحقيق: يحيى الجبوري، بغداد، ١٩٦٨ م.
١٢٦. ديوان عبيد بن الأبرص: تحقيق: حسين نصّار، القاهرة، ١٩٥٧ م.
١٢٧. ديوان كثير عزة: جمع وشرح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

١٢٨. ديوان كعب بن زهير = شرح ديوان كعب للأسكري: دار الكتب المصرية، بالقاهرة ١٩٥٠م.
١٢٩. ديوان الهذليين = شرح ديوان الهذليين للأسكري: تحقيق: عبد الستار فرّاج، القاهرة، ١٩٦٥م.
١٣٠. رسائل في اللغة: إبراهيم السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٤م.
١٣١. رسالتان في اللغة: علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤م.
١٣٢. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: لأبي حاتم الرازي (ت ٣٢٢ هـ)، تحقيق: حسين الهمداني، القاهرة، ١٩٥٧م - ١٩٥٨م.
١٣٣. السبعة في القراءات: لأبي بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف ن مصر، (د.ت).
١٣٤. سر صناعة الإعراب: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط ١، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ١٩٥٤م.
١٣٥. سنن البيهقي الكبرى: أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
١٣٦. سيبويه جامع النحو العربي: فوزي عبد العزيز مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
١٣٧. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٨٥م.
١٣٨. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: مطبعة عيس البابي الحلبي بالقاهرة، (د، ت).
١٣٩. شرح التسهيل: لابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد، القاهرة، ١٩٧٤م.
١٤٠. شرح التصريح على التوضيح: للشيخ خالد الأزهرى، القاهرة، ١٣٥٢ هـ.

١٤١. شرح الحماسة: للمرزوقي (ت ٩٠٥ هـ)، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٥١ - ١٩٥٣ م.
١٤٢. شرح الرضي على الكافية في النحو: للرضي الاستربادي (ت ٦٨٦ هـ)، استانبول ١٣١٠ هـ.
١٤٣. شرح الشافية: للرضي الاستربادي، تحقيق: محمد الزفزاف وآخرين، القاهرة، ١٣٥٦ م.
١٤٤. شرح شنور الذهب: ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط ١، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ١٩٨٤ م.
١٤٥. شرح شواهد الشافية: لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٨٩ هـ)، تحقيق: محمد الزفزاف وآخرين، القاهرة، ١٣٥٦ هـ.
١٤٦. شرح شواهد المغني: لجلال الدين السيوطي، تصحيح الشنقيطي، القاهرة، ١٣٢٢ هـ.
١٤٧. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: لأبي بكر بن الأندباري (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٣ م.
١٤٨. شرح قطر الندى وبل الصدى: لأبن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١١، مصر، ١٩٦٣ م.
١٤٩. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: لأبي الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (ت ٣٨٢ هـ)، تحقيق: عبد العزيز أحمد، ط ١، مطبعة البابي الحلبي، مصر ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
١٥٠. شرح مراح الأرواح: لديكنقوز، القاهرة، ١٩٣٧ م.
١٥١. شرح المفصل: لابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ)، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د. ت).
١٥٢. الشعر والشعراء: لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: أحمد شاکر، القاهرة، ١٩٦٦ م.

١٥٣. شواذّ القراءات: لرضي الدين شمس القراء أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق: شمران العجلي، ط١، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٥٤. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من النخيل: لشهاب الدين الخفاجي، القاهرة ١٣٢٥هـ.
١٥٥. الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، ١٩٦٤م.
١٥٦. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطبعة الكتاب العربي، مصر، ١٣٧٧هـ.
١٥٧. الصرف: حاتم صالح الضامن، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١م.
١٥٨. صفة جزيرة العرب: للحسن بن أحمد للهمداني (ت ٣٣٤هـ)، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، الرياض، ١٩٧٤م.
١٥٩. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر بيروت، (د.ت).
١٦٠. ظاهرة التآييث بين اللغة العربية واللغات السامية، دراسة لغوية تأصيلية: إسماعيل أحمد عمارة، ط ٢، دار حنين، عمان، ١٩٩٣م.
١٦١. العربية بين أمسها وحاضرها: إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م.
١٦٢. العربية ولهجاتها: عبد الرحمن أيوب، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م.
١٦٣. العصر الجاهلي: شوقي ضيف، ط ٣، دار المعارف، مصر، (د.ت).
١٦٤. العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، القاهرة، ١٩٤٨م - ١٩٥٣م.

١٦٥. علم الأصوات اللغوية: مناف مهدي الموسوي، ط ١، منشورات جامعة السليح من أبريل، ليبيا، ١٩٩٣م.
١٦٦. علم الدلالة: أحمد مختار عمر، ط ١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٢م.
١٦٧. علم النسائيات الحديثة: عبد القادر عبد الجليل، ط ١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠٠٢م.
١٦٨. علم اللغة العام: توفيق محمد شاهين، ط ١، دار التضامن، القاهرة، ١٩٨٠م.
١٦٩. علم اللغة العام، الأصوات: كمال محمد بشر، ط ٥، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩م.
١٧٠. علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية: محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م.
١٧١. علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي: محمود السعران، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.
١٧٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: للحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) القاهرة، ١٩٠٧م.
١٧٣. عون المعبود: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٧٤. العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
١٧٥. غريب الحديث: لأبي عبد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٦٤م - ١٩٦٧م.
١٧٦. الفائق في غريب الحديث: للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م.

١٧٧. الفرق بين الحروف الخمسة: لابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، تحقيق: علي زوين، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٥م.
١٧٨. الفصحى والعامية: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ١٩٥٨م.
١٧٩. فصول في فقه العربية: رمضان عبد التواب، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.
١٨٠. الفعل زمائه وأبنيته: إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
١٨١. فقه اللغات السامية: كارل بروكلمان، ترجمه عن الألمانية: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
١٨٢. فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٥٦م.
١٨٣. فقه اللغة في الكتب العربية: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.
١٨٤. فقه اللغة وسر العربية: للشعالبي (ت ٢٩٤هـ)، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ت).
١٨٥. الفهرست: لابن النديم (ت ٣٨٥هـ)، القاهرة، ١٣٤٨هـ.
١٨٦. في الأدب الجاهلي: طه حسين، ط٩، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.
١٨٧. في البحث الصوتي عند العرب: خليل إبراهيم العطية، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٣.
١٨٨. في علم اللغة العام: عبد الصبور شاهين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
١٨٩. في الفكر اللغوي: محمد قتيح، دار الفكر العربي، القاهرة ن ١٩٨٩م.
١٩٠. في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، القاهرة، ١٩٦٥م.
١٩١. القاموس المحيط: مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، القاهرة ١٩١٣م.

١٩٢. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).
١٩٣. القراءات واللهجات: عبد الوهاب حمودة، القاهرة، ١٩٥٨م.
١٩٤. القلب والإبدال: لابن السكيت (ت: ٢٤٤هـ)، (ضمن كتاب الكنز اللغوي) تحقيق: هفتر، ١٩٠٣م.
١٩٥. الكامل في اللغة والأدب: لأبي العباس المبرّد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، القاهرة، ١٩٥٦م.
١٩٦. الكتاب: أبو بشر عمرو الملقب بسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق، مصر، ١٣١٧هـ.
١٩٧. الكتاب: لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٦م - ١٩٧٧م.
١٩٨. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بـ (حاجي خليفة) (ت: ١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
١٩٩. الكفاية في علم الرواية: لأحمد بن علي بن ثابت أبي بكر الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي عبد الله السوقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، (د.ت).
٢٠٠. لحن العمامة والتطور اللغوي: رمضان عبد التواب، ط ١، القاهرة، ١٩٦٧م.
٢٠١. لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥ - ١٩٥٦م.
٢٠٢. اللسانيات من خلال النصوص: عبد السلام المسدي، ط ١، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
٢٠٣. لغات البشر، أصولها، طبيعتها، تطوّرها: ماريو باي، ترجمة: صلاح العربي، القاهرة ١٩٧٠م.
٢٠٤. اللغة: لفندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان النحو، ١٩٥٠م.
٢٠٥. اللغة بين المعيارية والوصفية: تمام حسّان، دار الثقافة، المغرب، ١٩٨٠م.

٢٠٦. اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، دراسة في علم اللغة الحديث: مصطفى لطفي، معهد الاتحاد العربي، ١٩٨١م.
٢٠٧. اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ط ٢، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٩م.
٢٠٨. لغتنا والحياة: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، القاهرة، ١٩٦٩م.
٢٠٩. اللغة والمجتمع: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧١م.
٢١٠. اللهجات العربية الغربية القديمة: جيم رابين، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٦م.
٢١١. اللهجات العربية في التراث: أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٨م.
٢١٢. اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الراجحي، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦م.
٢١٣. لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: غالب المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٨م.
٢١٤. لهجة قبيلة أسد: علي ناصر غالب، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٠م.
٢١٥. ما يجوز للشاعر في الضرورة: للقرآز القيرواني (ت ٤١٢هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، كالحاهرة، ١٩٩٢م.
٢١٦. مباحث لغوية: إبراهيم السامرائي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م.
٢١٧. المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية: مصطفى جواد، ط ٢، بغداد ١٩٦٥م.
٢١٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لأبي الفتح نصر الله بن محمد بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طباطبة، دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ت).
٢١٩. المثلث: لأبن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، تحقيق ودراسة: صلاح مهدي علي الفرطوسي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.

٢٢٠. مجالس ثعلب: لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٠ م.
٢٢١. مجمع الأمثال: لأحمد بن محمد الميداني (ت ٥١٨ هـ)، القاهرة، ١٣١٠ هـ.
٢٢٢. مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، القاهرة - بيروت، ١٤٠٧ هـ.
٢٢٣. محاضرات الأدباء: للراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ)، بيروت، ١٩٦١ م.
٢٢٤. محاضرات في اللغة: عبد الرحمن أيوب، دار المعارف، بغداد، ١٩٦٦ م.
٢٢٥. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، القاهرة، ١٣٨٦ هـ.
٢٢٦. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: لعلي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: مصطفى الأسقا وحسين نصّار، ط ١، مصطفى الأبلبي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٨ م.
٢٢٧. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (ت بعد ٦٦٦ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٢٢٨. مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع: لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، عني بنشره: ج. برشتراسر، دار الهجرة، (د. ت).
٢٢٩. المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة: اغناطيوس غويدي، الجامعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٠ م.
٢٣٠. المخصّص في اللغة: لابن سيده الأندلسي، بولاق، ١٣١٦ هـ - ١٣٢١ هـ .
٢٣١. مدخل إلى الألسنية: يوسف غازي، ط ١، منشورات العالم العربي الجامعية، دمشق ١٩٨٥ م.
٢٣٢. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي: محمود الطناحي، القاهرة، ١٩٨٤ م .
٢٣٣. المدخل إلى علم الأصوات العربية: غاتم قدوري الحمد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٢ م.

٢٣٤. مدخل إلى علم اللغة: محمود فهمي حجازي، ط٢، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨م.
٢٣٥. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.
٢٣٦. مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: سباتينو موسكاتي وآخرون، ترجمة: مهدي المخزومي وعبد الجليل المطلبي، (مصورة في كلية اللغات جامعة بغداد)، ١٩٨٥م.
٢٣٧. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: مهدي المخزومي، القاهرة، ١٩٥٨م.
٢٣٨. المذكر والمؤنث: للفرّاء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٩٠م.
٢٣٩. المذكر والمؤنث: للمبرد، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، القاهرة ١٩٧٠م.
٢٤٠. المذكر والمؤنث: لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: طارق عبد عون الجنابي، ط١، مطبعة العائلي، بغداد، ١٩٧٨م.
٢٤١. المزهري في علوم اللغة وأنواعها: لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم وآخرين، القاهرة، ١٩٥٨م.
٢٤٢. مسائل خلافية في النحو: لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.
٢٤٣. المسائل المشكّلة المعروفة بالبغداديات: لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العائلي، بغداد، ١٩٨٣م.
٢٤٤. مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية: هاشم الطعان، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨م.
٢٤٥. المستدرّك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

٢٤٦. المستشرقون ومناهجهم اللغوية، المنهج التاريخي والمنهج المقارن، والمنهج الوصفي: إسماعيل أحمد عميرة، ط ١، دار الملاحى، الأردن، ١٩٨٨م.
٢٤٧. مستقبل اللغة العربية المشتركة: إبراهيم أنيس، القاهرة، ١٩٦٠م.
٢٤٨. المستوى اللغوي للفصحى واللهجات والنثر والشعر: محمد عيد، عالم الكتب، دار الثقافة العربية للطباعة، القاهرة، ١٩٨١م.
٢٤٩. مسند الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).
٢٥٠. مشكلة الهمزة العربية: رمضان عبد التواب، ط ١، مكتبة الخاتجي، القاهرة، ١٩٨٦م.
٢٥١. معالم دراسة في الصرف، الأقيسة الفعلية المهجورة، دراسة لغوية تأصيلية: إسماعيل أحمد عميرة، ط ٢، دار حنين، عمان، ١٣١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٥٢. معاني القرآن: للأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: فائز فارس، ط ٢، الكويت، ١٩٨١م.
٢٥٣. معاني القرآن: للفرأء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح شلبي، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م - ١٩٧٢م.
٢٥٤. معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الجليل شلبي، بيروت، ١٩٧٣م.
٢٥٥. معجم الأدباء: لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، نشر: أحمد فريد رفاعي، القاهرة، ١٩٣٦م.
٢٥٦. المعجم الأوسط: لأبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٢٥٧. معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت، (د. ت).
٢٥٨. معجم الشعراء: للمرزباني (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبد الستار فرّاج، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٥٩. المعجم الكبير: أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣م.
٢٦٠. المعجم اللغوي التاريخي: لأوجست فيشر، القاهرة، ١٩٦٧م.
٢٦١. المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: أبو منصور الجواليقي (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٦١هـ.
٢٦٢. مفاتيح العلوم: للخوارزمي (ت ٣٨٣هـ)، القاهرة، ١٣٤٢هـ.
٢٦٣. المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي بو ملح، ط ١، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٦٤. مغني اللبيب عن كتب الأعراب: لأبن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة (د. ت).
٢٦٥. مغني اللبيب عن كتب الأعراب: لأبن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط ١، مؤسسة الصادر، طهران، ١٣٧٨هـ.
٢٦٦. مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر، القاهرة، ١٣٦ هـ - ١٣٧١هـ.
٢٦٧. الممتع في التصريف: لابن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق فخر الدين قبولة، حلب، ١٩٧٠م.
٢٦٨. المقتضب: للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت (أوفسيت).
٢٦٩. المقدمة: لابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، القاهرة، ١٣٤٢هـ.
٢٧٠. مقدمة أبن الصلاح ومحاسن الإصلاح: لأبن الصلاح الشهرزوري، تحقيق: بنت الشاطي، لقاهرة، ١٩٧٦م.
٢٧١. المقرَّب: لابن عصور الأشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبوري، ط ١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧١م.
٢٧٢. مميزات لغات العرب: لحفي ناصف، القاهرة، ١٩٥٧م.

٢٧٣. مناهج البحث في اللغة: تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م .
٢٧٤. مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: نعمة رحيم العزاوي، منشورات المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠١م.
٢٧٥. مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: رمضان عبد التواب، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.
٢٧٦. المنصف: شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، إدارة الثقافة العامة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر (د.ت).
٢٧٧. منهج تحقيق النصوص ونشرها: نوري حمودي القيسي وسامي مكي العتاي، بغداد ١٩٧٥م.
٢٧٨. موجز تاريخ علم اللغة: روبنز، ترجمة: أحمد عوض، الكويت، ١٩٩٧م .
٢٧٩. مولد اللغة: الشيخ أحمد رضا العاملي، بيروت، ١٩٥٦.
٢٨٠. النحو العربي، نقد وبناء: إبراهيم السامرائي، ط ١، دار الصادر، بيروت، ١٩٦٨م.
٢٨١. النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج: عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
٢٨٢. نزاهة الألباء في طبقات الأدباء: لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٧م.
٢٨٣. نشوء اللغة ونموها واکتھالها: الأب أنستاس ماري الكرملی (ت ١٩٤٧م) القاهرة، ١٩٣٨م.
٢٨٤. نصب الراية: عبد الله الزيعلي (ت ٧٦٢هـ)، تحقيق: محمد يوسف، دار الحديث، مصر، ١٣٥٧هـ.
٢٨٥. نصوص ودراسات لغوية مهداة لشيخ المدرسة الرمضانية، الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب من تلاميذه والمحبين في عيد ميلاده السبعين: دار الفردوس للطباعة، القاهرة ٢٠٠١م.

٢٨٦. نظرات في اللغة والنحو: طه الراوي، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٢م.
٢٨٧. نظريات في اللغة: أنيس فريحة، ط ٢، دار الكتاب، بيروت، ١٩٨١م.
٢٨٨. نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي: غراتشيا غابوتشان، ترجمة: جعفر ذك الباب، مؤسسة الوحدة، دمشق، (د.ت).
٢٨٩. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: نهاد موسى، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م.
٢٩٠. النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، القاهرة، ١٩٦٣م - ١٩٦٥م.
٢٩١. النوادر في اللغة: لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ)، نشر: سعيد الشرتوتي، بيروت ١٩٩٤م.
٢٩٢. هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين: لإسماعيل باشا البغدادي (ت ١٩٢٠م) استنبول، ١٩٥٥م.
٢٩٣. همع الهوامع شرح جمع الجوامع: لجلال الدين السيوطي، القاهرة، ١٣٢٧هـ.
٢٩٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان، (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م - ١٩٧٢م.
- * البحوث والمقالات المنشورة في المجلات العلمية:-
٢٩٥. أبنية الفعل في اللغات السامية: رمضان عبد التواب، مجلة (كلية اللغة العربية) بالرياض، عدد (٤)، ص (٥٥ - ٦٨)، لسنة ١٩٧٤.
٢٩٦. أحرف الحلق وأثرها في التغيرات الصوتية: رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة الأستاذ، كلية التربية، العدد (١) لسنة ١٩٧٨م.
٢٩٧. أداة التعريف في العربية: غالب المطلبي، مجلة المورد العراقي، العدد (٢) لسنة ١٩٩٠م.
٢٩٨. أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه: رمضان عبد التواب، مجلة مجمع اللغة العربي بدمشق، عدد ٤٩ / ٢، ص (١٦١ - ٣٥٢) لسنة ١٩٧٤م.

٢٩٩. إصلاح المنطق، لابن السكيت: رمضان عبد التواب، مجلة التراث الإنسانية، مجلد (٨)، عدد (١)، ص (١ - ١٨) لسنة ١٩٧٠م.
٣٠٠. الأضداد اللفظية، بحث في العلاقة الدلالية بين الألفاظ في العربية: مكي نومان مظلوم الدليمي، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد (١٦) العدد (١)، ص (١٠ - ٢١) لسنة ٢٠٠٥م.
٣٠١. التطور اللغوي وقانون السهولة والتيسير: رمضان عبد التواب، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد (٣٦)، ص (١٩٦ - ٢٠٥) لسنة ١٩٧٥م.
٣٠٢. ثلاثة كتب في الحروف، للخليل وابن السكيت والرازي: رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة معهد المخطوطات العربي، مجلد (٢٠)، ج / ١، ص (٥١ - ١٢٤)، في ربيع الأول لسنة ١٣٩٤هـ.
٣٠٣. الخط العربي وأثره في نظرة اللغويين القدامى إلى أصوات العلة: رمضان عبد التواب، مجلة (المجلة) بالقاهرة، عدد (١٣٩)، ص (٥٦ - ٦٢)، تموز ١٩٦٨م.
٣٠٤. رسائل في اللغة: رمضان عبد التواب، مجلة الأقلام العراقية، ج / ٨، ص (١٥٥ - ١٦٥) لسنة ١٩٦٦م.
٣٠٥. رسائل في النحو واللغة، نقد بقلم الدكتور رمضان عبد التواب، مجلة الأقلام العراقية، ج / ١٠، ص (١٠٥ - ١١٠)، لسنة ١٩٧١م.
٣٠٦. صيغة (افعالاً) في العربية، وأثر الوزن الشعري في أبنية العربية: رمضان عبد التواب، مجلة (مجمع اللغة العربية) بدمشق، ج / ٤٨، ص (٥٦٢ - ٦٩٥) لسنة ١٩٧٣م.
٣٠٧. في درس اللغوي عند العقاد: رمضان عبد التواب، مجلة منبر الإسلام، العدد (٢)، لسنة ١٩٩٣م.
٣٠٨. القرآن الكريم محور الدراسات العربية: رمضان عبد التواب، مجلة منبر الإسلام بالقاهرة، العدد (٧)، ص (٢١٩ - ٢٢١)، لسنة ١٩٦٧م.
٣٠٩. كراهة توالي الأمثال في أبنية العربية: رمضان عبد التواب، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد (١٧) لسنة ١٩٦٩م.

٣١٠. اللغة العامية توأمة اللغة الفصحى: الأب أنستاس الكرمل، مجلة المقطف، المجلد (٤١)، ص (٥٧٥)، لسنة ١٩١٢م.
٣١١. مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء: رمضان عبد التواب، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد (٢١)، لسنة ١٩٧١م.
٣١٢. المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية: أحمد مختار عمر، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (٢٠) العدد (٣)، لسنة ١٩٨٩م.
٣١٣. المصوتات عند علماء العربية: غانم قدوري الحمد، مجلة كلية الشريعة، جامعة بغداد، العدد (٥)، ص (٣٩١ - ٤٥٦)، لسنة ١٩٧٩م.
٣١٤. الممدود والمقصور، لأبي الطيب الوشاء (ت ٣٢٥هـ): رمضان عبد التواب، مجلة (كلية اللغة العربية) جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، العدد (٧)، ص (٥٦ - ١٢٦)، لسنة ١٣٩٧هـ.
٣١٥. من امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة: رمضان عبد التواب، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٣٥ / ١، ص (١٧٣ - ١٩٢)، لسنة ١٩٨٤م.
٣١٦. من خرافات التلمود: رمضان عبد التواب، مجلة مذبر الإسلام بالقاهرة، العدد (١٠)، ص (٤٩ - ٥١)، لسنة ١٩٦٩م.
- * الرسائل الجامعية:-
٣١٧. التعريف والتنكير في العربية، أطروحة دكتوراه لـ (حيدر ناجي مظلوم)، كلية التربية / الجامعة المستنصرية، بإشراف الدكتور: محمد عبد المطلب البكاء، ٢٠٠١م.
٣١٨. حركة التصويب اللغوي في العصر الحديث: أطروحة دكتوراه لـ (محمد ضاري حمادي)، كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٩٧٨م.
٣١٩. (المستنير في القراءات العشر) لأبي طاهر أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن سوار الحنفي البغدادي (ت ٤٩٦هـ) دراسة وتحقيق: أطروحة دكتوراه لـ (عمار أمين الدّوّ)، كلية الآداب / جامعة بغداد، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



* الرسائل الشخصية:-

٣٢٠. رسالة من عائلة الدكتور (رمضان عبد التواب) في جمهورية مصر العربية

بتاريخ: ٢٠٠٦ / ٩ / ١.

* المكالمات الهاتفية:-

٣٢١. المكالمة الهاتفية مع الأستاذ (كمال نجل الدكتور (رمضان عبد التواب) المقيم

في مصر بتاريخ: ٢٠٠٧ / ٩ / ١٨، حصلت فيها على معلومات تخص وفاة

الدكتور عبد التواب وكان دفنه وشيء عن سيرته (رحمه الله).

* اللقاءات الشخصية:-

٣٢٢. اللقاء الذي أجرته مع المرحوم (كريم سلمان الحمد) الأستاذ المساعد في قسم

اللغة العربية في كلية التربية - جامعة ديالى، بتاريخ ٢٠٠٦ / ١ / ١ م تحدث

لي في هذا اللقاء عن خلق الدكتور عبد التواب وشيء عن سيرته العلمية، من

خلال لقاءاته به عندما كان طالباً للماجستير بالقاهرة.

٣٢٣. شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت).
